

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( إنهم يكيدون كيدا )

إعداد

أ/ أحمد إسماعيل زيد

محاضر بالأكاديمية الإسلامية

لدراسات الأديان والمذاهب

محاضر بقناة الأمة الفضائية

## الإهداء

إلى العلماء العاملين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وزوداً عن  
حياض الإسلام ونخص بالذكر:-

\* فضيلة الأستاذ الشيخ / أبو إسلام أحمد عبد الله ..رئيس قناة الأمة ، فلقد  
عاونني كثيراً وأخذ بيدي إلى الصواب فجزاه الله خيراً

\* وفضيلة الأستاذ الشيخ / وحيد عبد السلام بالي ..الداعية الإسلامي ، فلقد قدم  
لي العديد من الخدمات والتي أسهمت في إخراج أعمالى إلى النور فأدعوا الله أن  
يجعلها في ميزان حسناته وأن يوفقه وينفع به العباد ..

\* كما اهدى هذا العمل إلى زوجتى وأولادى الذين سهروا معى في إعداد هذا  
العمل الطيب فكثيراً ما كنت أكلفهم بالبحث عن رقم الآيات أو تخريج الأحاديث  
النبويه فجزاهم الله خيراً .

\* ولا ننسى الأخوة الأخيار الذين دعوا الله أن يوفقنى في هذا العمل الطيب  
فجزى الله الجميع خيراً .

المؤلف :-

أحمد إسماعيل زيد

## المقدمة :

ما تعجبت من قوم قدر تعجبي من بنى إسرائيل ؛ يرسل الحق سبحانه وتعالى إليهم الأنبياء والمرسلين فإذا بهم ( فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ) ولما سئلوا لما تقتلون الأنبياء قالوا ( قلوبنا غلف ) وأنزل الحق سبحانه وتعالى على أنبياءهم الكتب لتخرجهم من الظلمات إلى النور ؛ فإذا بهم يحرفون الكلم عن مواضعه ظانين أن الكتب لم تأتي بما قهواه أنفسهم وسولت لهم أنفسهم أن يغيروا فيها ما يوافق أهواءهم زاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه .

وبرغم قتلهم الأنبياء وابتعادهم عن منهج الله سبحانه وتعالى وتماديهم في الباطل وإصرارهم على البغى والعدوان إلا أن الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى أمهلهم وأرسل إليهم وإلى العالم أجمع سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ليرحم به العالم كله ؛ فقال سبحانه وتعالى ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) فناداهم الحق سبحانه وتعالى هم وأمثالهم مبينا لهم أنه جل وعلا ( لا يرضى لعباده الكفر )

فقال سبحانه وتعالى ( وربك الغفور ذو الرحمة ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ) فهذا أكبر دليل على أن الحق سبحانه وتعالى إنما يريد لعباده الخير فلوا أراد بهم شرا لأخذهم من أول خطأ يرتكبونه وحينها لن يبقى على ظهر الأرض من دابة . فيالرحمة الله سبحانه وتعالى !!!

ولأن بنى إسرائيل خالفوا وعاندوا كثيرا حتى اختلف أول كتبهم عن آخرها: فإذا تصفحت العهد الجديد تجد أصحابه حرصوا كل الحرص على مخالفة ما هو مراد منهم في العهد القديم ، ومن ثم حين اطلعوا هم على الكتاب المقدس اعترض بعضهم على بعض ؛ فمنهم من يؤمن بالكتاب كله ، ومنهم من يؤمن ببعض أسفاره ويكفر بالآخر حتى كفر بعضهم بعضا وسجل القرآن إختلافهم فقال سبحانه وتعالى { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } البقرة ١١٣

وليس هذا فحسب بل قاتل بعضهم بعضا ولذا جاء القرآن الكريم ليهديهم إلى التي هي أقوم ولبيان لهم الذي هم فيه يختلفون فقال سبحانه وتعالى { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } النمل ٧٦

ولذا دعاهم سبحانه وتعالى إلى ما دعا إليه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وامته حين أمره سبحانه وتعالى بقوله جل وعلا {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} آل عمران ٨٤

ولبنى إسرائيل يهودا أو نصارى أمرهم الحق سبحانه وتعالى بقوله جل وعلا {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} البقرة ١٣٦

ولأن الصهاينة وأعوامهم استطاعوا في غفلة من المسلمين انتزاع قطعة غالية من أرضنا الحبيبة وملاؤا الدنيا ضجيجا زاعمين إنما هي لهم وقاموا بقتل الأطفال والرجال والنساء غير مبالين بالعواقب وكأهم لا يرون أمامهم أحدا يعملون له أى حساب لدرجة ظن معها الأجيال الحالية أنهم على حق .

ولذا رأيت أن استعرض في هذا الكتاب حقيقة بنى إسرائيل من بدايتهم إلى وقتنا الحاضر والحقيقة أنى كنت قد نويت أن أجعل (إسرائيل من المهد إلى اللحد) عنوانا لهذا الكتاب إلا أنى وجدت صفحات الكتاب وصلت إلى ما يزيد عن ثمانئة صفحة فآثرت أن اكتفى بحياة بنى إسرائيل من المهد إلى الآن وأن يكون عنوان الكتاب النداء الذى نادانا به القرآن الكريم محذرا إيانا من صنيعهم ألا وهو قوله تعالى ( إنهم يكيدون كيدا )

وحرصت أن أضع في الكتاب صورة من الجازر التى قام ويقوم بها بنوا إسرائيل ضد المسلمين حين يكون الأمر لهم ،ورغم تباعد الزمان والمكان بين الأحداث الماضية والحاضرة إلا أنها شديدة الشبة لدرجة تشعرك أنهما من صنع نفس الأفراد .

وحتى لا يندع بعض أبناء جلدتنا بما يقول بنوا إسرائيل وبما يظهره لنا من مظاهر براقية لأنها فى الحقيقة ما هى إلا بريق الأفعى التى جعلوها عنوانا ورمزا لهم ولعل قومنا يدركوا حقيقة هؤلاء القوم وان يعملوا بقول الله سبحانه وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} المائدة ٥١

## بين يدي الكتاب

إن مما أنعم به الحق سبحانه وتعالى على أمتنا الإسلامية أن أنزل إلينا خير كتبه القرآن الكريم . وإن من أجل ما نادى به القرآن الكريم أن بين لنا ما يصلح أحوالنا في الدنيا والآخرة كما أن القرآن الكريم بين لنا كيف نتعامل مع الآخرين وكيف نجادلهم بالتي هي أحسن . وبين لنا سبحانه وتعالى أن بنى إسرائيل من الجماعات الذين يجب أن نتعامل معهم بحذر لأنهم خانوا الله من قبل ألا يجدر بهم أن يبذلوا قصارى جهدهم ليضلوا الناس عن سواء السبيل ولذا يجب أن ننتبه لما يفعله هؤلاء، فالحق جل وعلا حذرنا منهم ، فعلينا أن نأخذ الأمر بجد لأن القاعدة العامة تقول ( من حذرك فقد سلحك )

ومع هذا يرى البعض أن اليهود من القوة بمكان إلا أنهم مخطئون لأن اليهود ما هم إلا جناء ؛ لا مكر لديهم ولا ذكاء لأن الذكي أو الماكر هو من يتحايل لمصلحته ومصصلحة أهله . أما هؤلاء فدمروا أنفسهم وأهليهم فقتلوا أنفسهم بعبادة العجل والباقي دمرهم أهل بابل وأشور ثم الفرس والرومان إلى أن شتتهم الروم تحت كل سماء وفي كل أرض . ولما رأوا فينا هذا الإستسلام وتلك الحبة وهذا الهدؤ الغير مبرر فإذا يهـم يسومونا سؤ العذاب وما يحدث في فلسطين والعراق ليس عن العيون ببعيد وقد يتخيل البعض أن إعتداء بنى إسرائيل يهودا أم مسيحين هي وليدة الظروف والأحداث إنما هي مبيتة منذ أمد بعيد .

فمن يطالع التاريخ و يرى الحروب الصليبية وما فعلوه مع أجدادنا وبعدها الحروب العالمية وما فعله بنوا إسرائيل مع بنى جلدتهم ومعنا وما خلفته تلك الحروب من دمار . ولا زالت بعض البلاد تعاني من جراء تلك الحروب ولذا رايت أن القى الضوء على حدثين قاما بهما بنوا إسرائيل يهودا و مسيحين ضد المسلمين ورغم أن الحدثين بينهما ما يقرب من ألف ومائتي عام إلا أن النتائج متشابهة وتكاد تكون واحدة كما لو كان القائمون أمام بعضهم البعض ويتبارى كل منهم في إتمام الحدث الموكل إليه .

فالحدث الأول هو ما قام به النصارى من بنى إسرائيل مع أجدادنا المسلمين فى الأندلس وما قاموا به من مذابح ومجازر والأخر ما يقوم به اليهود من بنى إسرائيل فى فلسطين من مذابح ومجازر وما أشبه الليلة بالبارحة وصدق الحق حين قال { إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ } الممتحنة ٢

ولكن من يطالع القرآن الكريم ويرى الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل يظن أنها تتناول اليهود فحسب بل إن الأمر يتعداهم إلى إخوانهم وشركائهم في الدين وهم النصارى . ومن رحمة الله وعدله وكذلك من حكمة الله سبحانه أنه جل وعلا أعطى كل ذى قدر قدره فلما وقف اليهود لأنبيائهم بالمرصاد وقتلوا فريقا منهم وكذبوا الآخرين وناصروا كل نبي العداة دون وجه حق فقال جل وعلا عنهم {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} المائدة ٨٢

ولما كان إستقبال النصارى لنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم أخف وطأة من اليهود وقبلوا النقاش معه صلى الله عليه وسلم كما حدث من وفد نصارى نجران والنجاشى فقال جل وعلا عنهم {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} المائدة ٨٢

وهكذا فلم يخس القرآن الكريم أحدا حقه فمن المعتاد عند كثير من الناس إن كان الخطأ أكثر من تسعين في المائة يقولون الكل مخطئ ؛ إلا القرآن الكريم فرغم تدمير بنى إسرائيل على نبي الله موسى عليه السلام ورفضهم دخول الأرض المقدسة إلا أن هناك رجلين وقفا وقفة صدق مع نبي الله موسى عليه السلام فقال عنهما القرآن الكريم {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} المائدة ٢٣

وكذلك حين آمن عدد قليل من قوم موسى عليه السلام قال سبحانه وتعالى {فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ} يونس ٨٣ وقال جل وعلا {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} الأعراف ١٥٩

وحين آمن بنى الله عيسى عليه السلام عدد من قومه ونصروه ضرب الحق جل وعلا بهم المثل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} الصف ١٤

إذن فالقرآن الكريم أعطى كل ذى حق حقه بخلاف العهد القديم أو الجديد الذين بذل كاتبوها فيهما جهدا ليشوهوا صور الأنبياء بل وقالوا عن الحق سبحانه وتعالى مالا يليق بجلاله جل

وعلا { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } المائدة ٦٤ والجزء من جنس العمل فقال سبحانه وتعالى { غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعُنُوا بِمَا قَالُوا } وأكد سبحانه وتعالى الحقيقة الواضحة للعيان فقال جل وعلا (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) ثم بين جل وعلا جزاءهم فقال تعالى { وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } المائدة ٦٤

ولذا رأيت ان أستعرض في هذا الكتاب إجابات على بعض الأسئلة الهامة والتي تشغل بال الكثيرين ومنها :

مدى علاقة بنى إسرائيل بالمسلمين ؟ وكيف تصرفوا مع المسلمين حين كانت الدولة لهم ؟ وهل عاملهم المسلمون بالمثل حين تمكنوا منهم ؟ وما هو واجب الأمة الآن نحو التحالف الصهيوي- نصراني ؟ وكذلك كيف استوطن الصهاينة في وسط المسلمين ومن اتى بهم الى هنا ؟ ومن أهان المسلمين في الأندلس ومن يهينهم في العراق وفي افغانستان وكذلك في فلسطين ؟

وركزت على ما حدث في تلك البلدان وما يحدث لأنهما من النشابه لدرجة ترى معها أن الأيدي المنفذة للقتل والتدمير هي نفس الأيدي ونفس القلوب المتحجرة وإن اختلفت الأزمان والعهود .

فسبحان الله القائل (أتواصوا به ) وكان كل جيل يوصى من يليه بما يفعله مع المسلمين إن تمكنوا منهم .

ولذا فإن نظرنا لليهود على أنهم فقط هم العدو نكون قد إختزلنا القضية في عدد بسيط من أهل الكتاب وأهملنا العدد الكثير الذي يسوم إخواننا سوء العذاب وهم المسيحيون ، والعجيب أنهم متفقون فتراهم يقومون بخدمة بعضهم بشكل منقطع النظر .

ألم تراهم وهم يدمرون العراق لجرد أن صرح رئيسها صدام حسين يوماً أو هدد بأنه من الممكن أن يضرب إسرائيل وكذلك شغلوا بال العالم بضرب افغانستان لجرد أن علموا أن بها مقاومة إسلامية قد تمتد وتعاون الأقطار الإسلامية أو تمدهم بالمقاومين .

إذن فما هما إلا وجهان لعملة واحدة وجهه يرتب والأخر ينفذ والنتيجة بالنسبة لنا واحدة ؛ أنهم هم العدو فعلياً أن نحذرهم وألا نكون من البلاده لهذه الدرجة العجيبة التي لا نعرف فيها العدو من الصديق .

وبفضل الله تعالى قد قسمت هذا الكتاب إلى أربعة عشر بابا متدرجا من بداية بني إسرائيل منذ أن كانوا إثنا عشر ولدا ثم رحيلهم إلى مصر وخروجهم منها ثم ما أصابهم من إحتلال وسي وتشريد إلى أن أكرمهم الله جل وعلا بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكيف عاملهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتي هي أحسن وكيف قابلوا ذلك الإحسان بالإساءة إلى أن تم طردهم من الجزيرة ثم ما خططه بنوا إسرائيل يهودا كانوا أم مسيحين لإغتصاب قطعة غالية من أرض المسلمين ليفعلوا بما فعلوه من قبل في الأندلس .



## الباب الأول

**تمهيد: - أولاً: من هم الصهاينة وكيف جاؤا إلينا وكيف ينظمون**

### **حياتهم؟**

إن المجتمع الإسرائيلي ليس مجتمعاً ملائكياً كما يشيع البعض أو كما يحاول الإسرائيليون أن يظهروا أمام العالم . بل إن هذا المجتمع هو مجتمع وحشي مادي لا يحترم أي قوانين أو أعراف سماوية كانت أم وضعيه . فالصهاينة يرتكبون من الفواحش مالا يحظر لاحد على بال فلقد أكدت صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية أن إسرائيل تعتبر أكبر مركز للدعارة في العالم حيث تبيح الزنا في مراكز متخصصة ومعدة لهذا الغرض وتجنبي من وراء هذه المهنة القدرة أموالاً طائلة حيث تحصل إسرائيل على أكثر من مليون دولار ونصف في صورة ضرائب تدفعها مراكز المتع الجنسية .

هذا بالإضافة إلى الملايين الطائلة التي تحصل عليها من خدمة التليفون الجنسي التي تقدمها لمواطنيها كما أن إسرائيل لا تقدم الجنس بطريقته المعتادة فقط بل أيضاً تقدم مراكز متخصصة للخدمات الجنسية الشاذة كاللواط و السحاق .. وتعتبر دعارة القاصرات في إسرائيل من أكثر التجارات ربحاً .

حيث يوجد في تل أبيب وحدها أكثر من ٢٠٠٠ طفلة تعمل بالدعارة بعضهن يمارسها في المراكز المتخصصة للمتعة الجنسية وبعضهن يمارسها علناً في الشارع و البعض الآخر يمارسها في مراكز التدليك و اللياقة البدنية .

ويوجد في إسرائيل قوادون يجلبون القاصرات من دول الكومنولث حيث يضغطون عليهم عن طريق المال بسبب حالتهم الاقتصادية الصعبة و قد استوردت إسرائيل ٤٠٠,٠٠٠ فتاة للعمل بالزنا من أوكرانيا وحدها وتؤكد بعض هؤلاء العاهرات من اللاتى يعملن في ماخور تروبيكانا ( أكبر ماخور في إسرائيل ) أن أكثر المترددين عليهن من جنود الجيش الإسرائيلي أو من الشخصيات الإسرائيلية العامة .

وبالنسبة للتحصيل الدراسي عند التلاميذ الإسرائيليين فقد أكدت دراسة أجرتها وزارة المعارف الإسرائيلية أن التلاميذ الإسرائيليين يعانون من زيادة معدلات الغباء وأرجعت ذلك إلى حالة القلق التي يعيشها هؤلاء التلاميذ وفي الوقت نفسه لم تستطع

الوزارة تبرير تفوق التلاميذ العرب بالرغم من أن حالة القلق التي يعيشها هؤلاء التلاميذ أكثر من الإسرائيليين .

وفي الوقت نفسه الذي يعلن فيه الإسرائيليون وقوفهم بجانب المرأة وإيمانهم بتحريرها لقيت أكثر من ١٧ سيدة إسرائيلية مصرعهن علي أيدي أزواجهن من شدة الضرب المبرح في عام ١٩٩٦ و الأكثر من ذلك أن إحصائية إسرائيلية أكدت أن ٢٠٠,٠٠٠ سيدة إسرائيلية تتعرض للضرب المبرح من أزواجهن سنوياً هذا هو المجتمع الذي يدعي أنه رسول سلام للبشرية ويدعي بأنه يحمل رسالة حب و سلام لكل البشرية. وهذا ما هو الا صورة مصغرة للمجتمع الغربي المنحل .

وسنورد فيما بعد بابا نتحدث فيه عن الصهاينة وكيف تكونت هذه العصابات ورايت أن أسردها في سياقها ليكتمل المعنى . أما الآن فسنتحدث عن أقسام المجتمع الصهيوني .

## ثانياً: أقسام المجتمع الصهيوني

ينقسم المجتمع الصهيوني إلى عدة أقسام :-

### القسم الأول: اليهود الغربيون الأشكنازيم

وهم اليهود القادمون من أوروبا. وهم الجماعة الأكثر تأثيراً في الدولة من النواحي السياسية والإقتصادية والإجتماعية حيث يتمتعون بمستوى عال من الكفاءة والمؤهلات، وإليهم تعود المهجرات اليهودية الأولى بل وغالبية المهجرات قبل قيام الدولة الصهيونية. وإليهم يعود كذلك الفضل في الإعداد العسكري والإقتصادي والسياسي لقيام دولة إسرائيل .  
وبناء على ذلك فليس غريباً أن نراهم يسيطرون على الحياة السياسية سواء السلطة التنفيذية أم السلطة التشريعية فهم كانوا يشكلون الغالبية السكانية بالنسبة لليهود الشرقيين .

### القسم الثاني: اليهود الشرقيون السفارديم

وهم اليهود الذين هاجروا من دول آسيا وأفريقيا وخاصة دول الشرق الأوسط ومنها الدول العربية. أكبر الطوائف الشرقية في إسرائيل اليوم هم اليهود المغاربة يليهم العراقيون ثم اليمنيون والإيرانيون وهؤلاء اليهود الشرقيون ينتمون الى الطبقات الوسطى والفقيرة ولا يتمتعون بمواقع متقدمة في الدولة والجيش وغالبيتهم يمتحن المهن المتواضعة

### القسم الثالث: يهود الصابرا

وهم اليهود الذين ولدوا في فلسطين بغض النظر عن منشأ آبائهم شريكون كانوا أم غربيون. ولأنهم الجيل الجديد فينظر إليهم بأنهم جيل الوطنية ورمزها حيث أن ميلادهم في فلسطين يترتب عليه التزامهم بالولاء للأرض التي لم يعرفوا غيرها ونسبة هؤلاء تزداد باستمرار وذلك لتراجع الهجرة وازدياد نسبة المواليد وهذا الجيل هو الجيل الذي اخذ يصل الى المواقع المتقدمة في الدولة ليخلف بدوره الجيل القديم من الأشكنازيم .

والسؤال الآن من أين جاء هؤلاء وكيف ؟ وهل الصهاينة الآن هم أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام ؟ وما هي الأساليب التي سلكوها لإقتطاع واغتصاب أرض المسلمين ؟

### ثالثا : بنوا إسرائيل ولماذا أتوا إلى مصر قديما :

أما إسرائيل :- فهو سيدنا يعقوب بن سيدنا إسحاق بن سيدنا إبراهيم عليهم جميعاً وعلى نبينا محمد صلوات الله وسلامه ويذكر العهد القديم أن سبب تغير الإسم من ( يعقوب ) الى ( إسرائيل ) هو :

أن يعقوب كان يصارع الرب طوال الليل حتي قدر عليه ومن ثم غير الرب اسمه من يعقوب إلى إسرائيل فيقول العهد القديم في ذلك تحت عنوان يعقوب يصارع مع الله ) فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتي طلوع الفجر ولما رأي أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلم حق فخذ يعقوب في مصارعة معه وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني فقال له ما اسمك؟ فقال يعقوب فقال لا يدعي اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال أخبرني بإسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك)١

أما تعريف إسرائيل في الإسلام فيذكر الإمام القرطبي في المجلد الأول في سورة البقرة ص ٣١١... أن ابن عباس قال :- إن إسرائيل ينقسم إلى (إسرا) وهي تعني بالعبرانية عبد، أو صفوة وأما (إيل) فتعني ( الله ) جل وعلا

وعليه فإن إسرائيل تعني عبد الله أو صفوة الله . والقرآن الكريم ذكر الاسمين يعقوب وإسرائيل فقال جل وعلا (أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له

١ تكوين ٣٢/٢٤، ٢٩.

مسلمون) البقرة ١٣٣. وقوله تعالى "ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة" المائدة ١٢ .

رابعا: أبناء يعقوب عليه السلام هم بنو إسرائيل وهم اثني عشر وهم:-

١- رأوبين ٢- شمعون ٣- لاوي ٤- يهوذا ٥- زبولون ٦- يساكر  
٧- دان ٨- جاد ٩- أشير ١٠- نفتالي ١١- يوسف ١٢- بنيامين.  
ويسمون الأسيباط ، والأسيباط في بني إسرائيل كالقبايل في العرب ويقول القرآن الكريم  
"وقطعناهم في الأرض اثني عشر أسيباط أمماً".

وكان يوسف عليه السلام أحب إلي أبيهم لصغر سنه ولعلمه من الله تعالى بأن ليوسف عليه السلام مستقبلاً عظيماً وبأنه ستحدث في حياته أموراً لا يتحملها إلا نبي ومن هنا كان يعقوب عليه السلام ينظر إلي سيدنا يوسف يا شفاق إلا أن الأخوة الكبار لم يدركوا هذه المعاني السامية التي يشعر بها سيدنا يعقوب عليه السلام ولذا دبروا لأخيهم مكيدة كادت أن تودي بحياته لولا عناية الله جل وعلا .

ونجاه الحق سبحانه وتعالى كما نجا أبيه إبراهيم عليه السلام من قبل وصدق الحق حين قال ( وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين) الصافات ٩٨. وسرعان ما عقد أخوه يوسف اجتماعاً خطيراً يدبرون فيه النهاية التي يرغبون بها التخلص من أخيهم يوسف عليه السلام وكان الرأي الأول قاتلاً فقالوا "كما حكى عنهم القرآن الكريم (اقْتُلُوا يُوسُفَ) يوسف ٩ .

إلا إنهم شعروا أن مسألة القتل مسألة عنيفة وقد تكون عاقبتها وخيمة فأرأوا رأياً آخر فقالوا كما حكى عنهم القرآن الكريم: (أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا) يوسف ٩ . والعجيب أنهم ظنوا ذلك يرضي أباهم أو أن يشعر بهم ثم يتوبوا بعد ذلك ويكونوا قوماً صالحين ( يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ) يوسف ٩ .

وهم بذلك مخطئون لأن سيدنا يعقوب عليه السلام لم يكن يفرق بين أبناءه. فإن الأنبياء هم أعلم الناس بالأمور الأسرية ولكنهم عميت عيونهم وبصائرهم عن رضي أبيهم. ولذلك رحم الله الجميع بأن جعل أخوة يوسف يفكرون في حل آخر وهو كما حكى القرآن الكريم :  
-( قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) يوسف ١٠ .

و شاء الله أن تمر قافلة وأخذت يوسف عليه السلام وذهبت به إلي مصر ( وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ

وَشَرُّهُ بَشَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ  
لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (يوسف ١٩-٢٠). والحمد لله الذي نجا  
يوسف عليه السلام بقدرته وحكمته وبدلاً من العيش في البداوة والجفاف أراد الله جل وعلا له  
أن يربي في قصر العزيز.

ليضيف إلي عظمة النبوة مكانته من الملك ومرت الأيام والسنون سريعاً إلي أن أصبح يوسف  
عليه السلام بعد مرور الصعوبات والعقبات والتي تحتاج إلي مجلدات لتوضيحها ولكننا نريد هنا  
أن نركز على سبب مجي بني إسرائيل إلي مصر واستقرارهم فيها فترة من الزمن.

### خامسا : رحلات أبناء يعقوب عليه السلام إلى مصر

وحين أكرم الله جل وعلا سيدنا يوسف عليه السلام وأصبح على الخزانة وشاءت حكمة الله  
جل وعلا أن ينقذ مصر ويجعلها مقصداً للجميع آنذاك لأنه وبفضل الله الذي علم سيدنا  
يوسف تأويل الأحاديث والرؤى حافظ على المزروعات وأنقذ مصر من مجاعة محققة.

ولأن البلاد المجاورة ليس بما سيدنا يوسف عليه السلام فقد عانت الكثير من الجوع فكانوا  
يأتون إلي مصر ليأخذوا منها ما يسد به رمقهم ومن صفوف الذين كانوا يأتون إلي مصر أخوة  
يوسف ( وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) يوسف ٥٨.

فأراد يوسف عليه السلام أن يعرفهم بنفسه ولكن رأي أن الوقت لم يجن بعد ولكن طلب منهم  
طلباً ربما يكون المطلوب منه أن يحضر أخيه الشقيق ليكون بجانبه في هذا القصر أو بهذا الطلب  
يعرف أبوه بفضل الله وبالنبوة ويطمئن على وجوده وحين جاءوا المرة الثانية ومعهم أخوهم

( آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يوسف ٦٩. ولذلك فكر  
يوسف عليه السلام في حيلة يبقي بها على أخيه معه في القصر ( فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ  
السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ) يوسف ٧٠ وحتى لا تكتشف  
الحيلة بدأ بتفتيشهم أولاً قبل أخيه (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ)  
يوسف ٧٦. وكان حكم السرقة آنذاك أن يؤخذ السارق فيخدم من سرقة مقابل سرقة ( مَنْ  
وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) يوسف ٧٥.

وقال الحق جل وعلا في ذلك ( كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ  
يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) يوسف ٧٦.

إلا أن الأخوة كانوا قد قطعوا ميثاقاً مع أبيهم على أن يعودوا بأخيهم ولكن لم يكن في حسابهم ما حدث ومن ثم قال أخوهم الأكبر ( قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ) يوسف ٨٠ .

وحين عادوا إلي أبيهم نصحهم أن يعودوا إلي مصر مرة ثالثة قائلاً: - ( يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ) يوسف ٨٧ . وفي المرة الثالثة دخلوا على يوسف عليه السلام : - ( قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ) " يوسف ٨٨ .

وهنا أدرك يوسف عليه السلام أنه قد حان الوقت أن يعرفهم بنفسه ولكن بطريقة مهذبة فقال ( قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ) يوسف ٨٩ . ويبدو أن الوقوف والحديث المتكرر بينهم وبين سيدنا يوسف قد قرب المسافة بينهم وجعل دماء الإخوة تتحرك لأنه حين وجه يوسف عليه السلام هذا النداء في الحال قالوا ( أَأَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ) يوسف ٩٠ . وبدل ذلك على أنهم كانوا قد اقتربوا من معرفته ولكن كانت مكانة يوسف عليه السلام وهيبته تمنعهم من التجرؤ وتوجيهه السؤال إليه ولكن حين كلمهم سيدنا يوسف عليه السلام ( قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ) يوسف ٩٠ .

ثم بين لهم حقيقة إيمانية قائلاً: - ( إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ) يوسف ٩٠ . وهنا أدرك أخوة يوسف ما فعلوه قديماً ولكنهم توسموا في أخيهم الصلاح والتقوى والعفو وأدركوا أن أخيهم يوسف عليه السلام عرفهم من أول مرة ولو أراد أن ينتقم منهم لأنتقم ولذلك قالوا ( تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ) يوسف ٩١ ثم ظهرت عظمة النبوة فقال يوسف عليه السلام ( لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ) يوسف ٩٢ ثم قال ( اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنْزِلْنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ) " يوسف ٩٣ .

وحين وضعوا القميص على وجه أبيهم ورد الله عليه بصره ، انطلقوا جميعاً إلي مصر وهذه هي المرة الرابعة لدخول الأخوة مصر ولكن هذه المرة معهم والديهم وبنيتهم للإستقرار في خير مصر وبجوار أخيهم الذي أصبح في مكانة راقية وأصبح عزيز مصر وجمع الله له بعد العبودية الملك والنبوة فقال لأهله ( اذْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ) يوسف ٩٩ .

( وَرَفَعَ أَبُو يَهُ عَلَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ) يوسف ١٠٠ . حينئذ قال يوسف عليه السلام معلناً فضل الله عليه وعلى أهله ( وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ

أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . رَبِّ قَدْ  
 آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا  
 وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ " يوسف ١٠٠/١٠١

### سادسا : استنقرار أبناء يعقوب عليه السلام في مصر

واستقر أخوة يوسف عليه السلام وهم جميعاً بنوا إسرائيل:-

**\* ودخل إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مصر في سنة وسبعين نفساً من ولده وولد  
 ولده فأمني الله عددهم وبارك في ذريته حتى خرجوا إلي البحر يوم فرعون وهم ستمائة  
 ألف من المقاتلة سوي الشيوخ والذرية والنساء"١**

وكان هذا الدخول في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وتذكر كتب التاريخ:- أن الملك لم يسمح  
 لأهل يعقوب بدخول وادي النيل للإقامة وذلك لأن المصريين حين كانوا في تلك الفترة خلال  
 حكم الأسرة الثامنة في القرن السادس عشر قبل الميلاد يضعون قيوداً على هجرة الكنعانيين إلي  
 بلادهم لأنه حدث قبل ذلك بثلاثة قرون أن نرح عدد كبير من الأقوام الآسيوية ليقيموا في  
 الأرض الخصبة في الدلتا الشرقية وكانت قليلة السكان في تلك الفترة ومع مرور الزمن أتى  
 هؤلاء الأقوام بجماعاتهم وعائلاتهم للإقامة معهم .

وصاروا يشكلون أغلبية السكان في المنطقة الواقعة بين فرع النيل وسيناء وتحين هؤلاء فرصة  
 وجود ملوك ضعفاء على عرش مصر وفرضوا إرادتهم على كل الدلتا ثم بعد ذلك على مصر  
 كلها وهم الهكسوس الذين استمرت سيطرتهم على مصر ما يزيد على مائة عام إلي أن تمكن  
 أحسن من طردهم وتأسيس الأسرة الثامنة عشر ومن يومها والمصريون يتخوفون من السماح  
 لجماعات كبيرة من الرعاة بالهجرة إلي بلادهم "٢ .

<sup>١</sup> ول ديورانت ، قصة الحضارة ، المجلد الأول ، ص ٣٦٦ .

<sup>٢</sup> احمد عثمان ، الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

## الباب الثاني

### من بعثة موسى عليه السلام إلى الخروج من مصر

أولاً : ميلاد سيدنا موسى عليه السلام

رأينا كيف جاء بنوا إسرائيل إلى مصر وأين استقروا بها . فيذكر العهد القديم انه بعد رحيل سيدنا يوسف عليه السلام حكم مصر ملك جديد لم يكن يعرف يوسف عليه السلام وبالتالي لم يحسن لأخوته لأنه كان يخشي أن يحدث في عهده ما حدث لأجداده من قبل ويترك المجال لهم ليزيدوا حتى يسيطروا على البلاد .

"ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هو ذا بنوا إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا ولم نحتمل لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلي أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي بذلوهم بأثقالهم" ١ وازداد بطش الحاكم والذي كان يلقب آنذاك فرعون حتى أصدر امراً . بقتل الأبناء الذكور من أبناء بنى إسرائيل واستحياء البنات " وكلم ملك مصر قابلي العبرانيين... وقال حينما تولدان العبرانيات وتنتظرانهن على الكراسي إن كان أبنا فاقتلناه وإن كان بنتاً فتمجيا ولكن القابلتين خافنا الله ولم تفعل كما كلمهما ملك مصر... " ٢ وحين اكتشف ملك مصر ذلك الأمر أصدر أوامره "ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً:-

**كل أبين يولد يطرحونه في النهر لكن كل بنت تستحيونها" ٣.**

والقرآن الكريم يؤكد ذلك بقول الحق جل وعلا :- " نُنَلُّوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " القصص ٢، ٣.

ولكن يضيف القرآن الكريم أن الحق جل وعلا أراد أن يفرج هم هؤلاء المكرويين وأن يأخذ بأيديهم وأن يلحق فرعون درساً غالياً ومن ثم قال جل وعلا ( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

<sup>١</sup> خروج ١١، ٨/١ .

<sup>٢</sup> خروج ١٧/١٥/١ .

<sup>٣</sup> خروج ١: ٢٢ .



اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ " وَنُفِصْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ  
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) القصص ٥-٦

في هذه الأثناء تزوج عمران بن فاهت بن لاوى من يوكايد بنت لاوى ومن المعلوم أن لاوى  
من أبناء يعقوب عليه السلام فأنجبا سيدنا موسى إلا أن العهد القديم يذكر أموراً كثيرة في شأن  
موسى عليه السلام . أن النبي تلقته ابنة فرعون وهي تغتسل في النهر فوجدته بين  
الهلثا على جانب النهر فأمرت الجوارى أن يأتين به فلما رأته رقت له فقالت أخت سيدنا  
موسى عليه السلام سأتيكم بمرضعة من العبرانيات فجاءت بأمة وأرضعته وأطلقت  
عليه اسم موسى أي إني انتشلته من الماء ١.

والقرآن الكريم يصح هذه المفاهيم فيقول جل وعلا:-( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ  
فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.  
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ وَقَالَتْ  
امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنٌ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)  
القصص ٧، ٨، ٩.

وأوفى الحق سبحانه وتعالى بوعده لأم موسى عليه السلام فحرم عليه المراضع مما جعلهم في  
حاجة إلي مرضعة ، حينئذ تدخلت أخته كناصحة قائلة :- (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه  
لكم وهم له ناصحون) القصص ١٢ . وفي الحال وافقوا فجئى بأم موسى عليه السلام وصدق  
الحق حين قال ( إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) القصص ٧ . فقال سبحانه ( فَرَدَدْنَاهُ  
إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) القصص ١٣ .

وبفضل الله نشأ موسى عليه السلام في قصر فرعون ليعلم الجميع أن الله جل وعلا قادر على أن  
"يحول بين المرء وقلبه" وبلغ موسى عليه السلام مبلغ الشباب وأتاه الله جل وعلا الحكمة والقوة  
والعلم فيقول سبحانه " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ  
"القصص ١٤ .

### ثانياً: خروج سيدنا موسى عليه السلام من مصر

إلا أن حين سيدنا موسى لقومه وتعاطفه معهم وإشفاقه لما يحدث لهم من فرعون وجنوده جعله  
يسارع لنجدة أحدهم وهو يتشاجر مع أحد المصريين وفي هذا يقول القرآن الكريم: ( وَدَخَلَ

<sup>١</sup> خروج ١٠/٢ .

الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ - القصص ١٥ .

إلا أن القدر كان أسرع واسبق فشاء الله أن تنتهي حياة المصري في اللحظة التي وكره فيها موسى عليه السلام وهذا من ترتيب الله جل وعلا فكأن الحق جل وعلا : يريد لموسي أن يتعلم ويتربى في صحبة نبي فيصبح مهياً للرسالة كما أن الحق جل وعلا أراد لموسي عليه السلام أن ينتعد فترة عن فرعون وجنوده حتى إذا عاد إليهم استطاع أن يواجههم ويخاطبهم .

والله سبحانه وتعالى أراد لموسي عليه السلام وهو في عودته إلي مصر يمر في طريقه بجبل الطور في سيناء ليتلقى الرسالة . وإلا كيف كان يعيش موسى الأربعون عاماً في قصر فرعون ثم يخرج عليهم قائلاً:- إنه نبي ورسول رب العالمين . فعلى الرغم من أن موسى عليه السلام كان بعيداً لفترة، وتلقى الرسالة بعيداً عن فرعون إلا أن فرعون لم ينس أنه رباه صغيراً قائلاً كما حكى القرآن الكريم" (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ) الشعراء ١٨ .

ولذلك حين مات المصري ( فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) القصص ١٨ . إلي أن جاء ناصح أمين قائلاً: ( وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ . وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) القصص ٢٠/٢١ . وشاء الله جل وعلا أن يتجه إلي مدين حيث نبي الله شعيب عليه السلام وليس هذا فحسب بل دخل المدينة بشكل عزيز مشرف فيحكي القرآن الكريم :-

(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) القصص ٢٣-٢٤ .

وسرعان ما اخبرت الفتاتان اباهما عن شهامة وشجاعة وعفة موسى عليه السلام فأمر بأن تعود إحداهما إليه وتدعوه إليه في الحال ، إن دل ذلك فإنما يدل على مدي ثقة النبي شعيب بنبي الله موسى عليه السلام وهذا دليل على أن الأنبياء كلهم يرون بنور الله جل وعلا ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) القصص ٢٥ .

ومجرد أن دخل موسى عليه السلام المنزل ودار الحوار بينه وبين نبي الله شعيب ( فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ) القصص ٢٥ .

حينئذ قالت أحدي الفتاتين (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ( القصص ٢٦ .

والحمد لله الذي قال ( قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ) النمل ٥٩ . ومن ثم أراد نبي الله شعيب عليه السلام أن يكون وجود نبي الله موسى عليه السلام وجوداً سليماً شرعياً حتى لا يكون هناك مدخل لمناقض أو متصيد ولذا قال نبي الله شعيب ( إِنْ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ) القصص ٢٧ . بهذا أصبح البيت وكأنه بيت موسى عليه السلام فسيدنا شعيب وزوجته حمواه وإحدى البنات زوجته والأخرى محرمة عليه ( قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ فَصِيَّتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ) القصص ٢٨ .

كما سبق رأينا كيف تناول القرآن الكريم حياة سيدنا موسى عليه السلام قبل البعثة بشكل منطقي وبطريقة سهلة يسيرة وصدق الحق حين قال: - ( وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ الْقَمَرِ ١٧ .

إلا أن العهد القديم ذكر أموراً غريبة لا تليق بنبي الله موسى عليه السلام منها، أولاً: - يقول العهد القديم عن الرجل المصري الذي وكزه موسى عليه السلام "ولما كبر موسى أنه خرج إلي إخوانه لينظر في أثقالهم فرأى رجلاً مصرياً يعذب رجلاً عبرانياً من إخوته فالتفت إلي هنا وهناك ورأى أن ليس أحداً فقتل المصري وضمه في الرمل" ١ هنا أخطاء واضحة وهي :-

١- العهد القديم يركز على أن المصري هو الذي يضرب الإسرائيلي وكأنهم يريدون أن يظهروا المصريين معتدين على الدوام بسبب وبدون سبب في حين حكي القرآن الكريم كما ذكرنا "رجلين يقتتلان" إذا فهما أي المصري والعبراني يقتتلان .

٢- يذكر العهد القديم أن موسى عليه السلام حين شاهد المنظر التفت إلي هنا وهناك مثل اللص أو المجرم (حاشاه) الذي يخطط لإرتكاب جريمة ونبي الله موسى عليه السلام برئ من هذه التهمة ولكنها طبيعة اليهود الدنيئة فأرادوا أن يجعلوها سنة متبعة ولم لا وقد أكدوها في التلمود بقولهم

<sup>١</sup> خروج ١٢/١١/٢ .

**"إذا وجدت إنسان في بئر فانظر حولك فإذا وجدت أحداً فكن أول من ينقذه وإذا لم تجد أحداً فأردم البئر عليه".**

٣- يذكر العهد القديم أن موسى عليه السلام أراد أن يخفي الجريمة فدفن المصري في الرمل وهذه عادة اليهود وحاشا لنيي الله موسى أن يفعل ذلك لأن اليهود يحاولون إخفاء معالم أي جريمة يرتكبوها ظانين أنهم بذلك يستطيعون التنصل منها ، ولكن نبي الله موسى اعترف أكثر من مرة كما ذكر القرآن الكريم (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) القصص ١٥ ثم طلب المغفرة من ربه لأنه قتل خطأ ولم يكن يقصده فقال ( قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) القصص ١٦ . وحين واجهه فرعون بعد ذلك قائلاً له كما حكي القرآن الكريم (وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) الشعراء ١٩ فرد موسى عليه السلام قائلاً ( قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) الشعراء ٢٠/٢١ .

ثانياً: - و عن بنات نبي الله شعيب يذكر العهد القديم **"وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتين واستنقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن فأتى الرعاء وضربوهن فنهض موسى ونجدهن وسقي غنمهن"** ١

وهذا لا يليق بنات نبي الله شعيب والذي يسمونه في العهد القديم "يرون" لأن القرآن الكريم ذكر أن لدى البنات من الحياء والأدب ما منعهن من الإختلاط بالرجال فقال جل وعلا ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) القصص ٢٣ ثم مكث سيدنا موسى عليه السلام في مدين عشر سنوات تزوج خلالها بنتا من بنات سيدنا شعيب عليه السلام طبقاً للإتفاق الذي كان بينهما وبعد أن قضى موسى عليه السلام المدة المتفق عليها مضى ليعود إلى مصر فآكرمه الله سبحانه وتعالى بالرسالة .

### **ثالثاً: - موسى عليه السلام والرسالة**

يذكر العهد القديم أن موسى عليه السلام أثناء عودته إلى مصر ووصل إلى جبل الله حوريب والمعروف عندنا بـ ( جبل الطور ) حينئذ قال العهد القديم **"وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة (شجرة) فنظر إذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق فقال**

<sup>١</sup> خروج ١٦/٢ .

**موسى: - أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة؟ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى، موسى فقال هأنذا فقال لا تقترب إلي هنا أخلص حذائك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه ارض مقدسة" ثم قال له**

**الرب: - "أنا إله آبائك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب" ١**

والقرآن الكريم يحكي عن ذلك فيقول جل وعلا: - ( فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ - فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) القصص ٢٩-٣٠

وفي سورة طه يكمل الحق سبحانه وتعالى ما حدث فيقول جل وعلا :-

( وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى - إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى - فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى - إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى - وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى - إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي". طه ٩-١٤

من الآيات الكريمة يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلي سيدنا موسى عليه السلام واعلمه أنه سبحانه وتعالى الإله الأعظم رب العالمين كما يتضح لنا أن في بعض نصوص العهد القديم صدق توافقها آيات القرآن الكريم وهذا له فائدة :

بما أن هناك نصوص من العهد القديم تتوافق مع الآيات من القرآن الكريم إذاً النصوص التي تختلف مع القرآن الكريم نجزم بأنها باطلة لأنها لو بقيت التوراة على حالتها لكانت كل آياتها متوافقة مع القرآن الكريم .

وحتي يطمئن سيدنا موسى عليه السلام أن النور الذي رآه هو نور الله جل وعلا وأنه حقاً رسول رب العالمين فأراه الله آيات ومعجزات لا يمكن أن يأت بها إلا الله رب العالمين:-

١-سأل الحق جل وعلا موسى عليه السلام ما يمسك بيده فأخبره موسى عليه السلام إنها عصا) فأمره جل وعلا أن يلقها فألقاها فإذا هي حية تسعى ولكون موسى عليه السلام بشراً فخاف من المنظر ولكن الحق علمه أن الرسل لا تخاف وأمره أن يمسك بها فعادت كما كانت .

<sup>١</sup> خروج ٣/٤٠٢.

وفي هذا يقول الحق سبحانه ( وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى - قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى - قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى - فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى - قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى "طه ١٧-٢١

وفي آية أخرى ( فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) النمل ١٠. وفي آية ثالثة (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) الشعراء ٣٢.

فلعل سائل يسأل هل العصا تحولت إلي حية أم إلي ثعبان أم إلي جان والحق أن الثلاثة صفات لشيء واحد فالعصا تحولت إلي ثعبان في ضخامة الحية وسرعة الجان وهو صغار الثعابين وهذه لحكمة يريد بها الحق سبحانه وتعالى فالناس اعتادوا أن يروا كل نوع من الثلاثة على حدة فالثعبان له حركة معينة تختلف عن حركة الحية وتختلف عن حركة الجان ولكن بما أنها معجزة فلا بد أن تكون خارقة للعادة ومما لا يخطر لأحد على بال وهذا الذي بهر السحرة فحين رأوا ثعبان بضخامة الحية وسرعة الجان ويلقف ما صنعوا خروا لله ساجدين معترفين بقدرته جل وعلا وصدق الله جل وعلا حين قال :- (وما يؤمن باياتنا إلا العالمون)

٢- كان سيدنا موسى عليه السلام أسمر اللون فأمره ربه أن يضع يده في جيبه والجيب هو فتحة في الثياب فوق الصدر فلما وضعها وأخرجها فإذا هي بيضاء من غير برص أو مرض وفي هذا يقول الحق سبحانه وتعالى:- ( وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) النمل ١٢.

ولكن لماذا؟ أي لماذا أظهر الحق جل وعلا هذه الآيات لموسى عليه السلام الآن؟  
أولاً:- ليتدرب عليها موسى عليه السلام وتذهب عنه الرهبة لأنه لو ظل الأمر مخبوء إلي وقت الحاجة وجمع السحرة ثم صنعوا ما صنعوا وحينها يؤمر موسى عليه السلام بالقاء العصا فلا ندري كيف كان سيتصرف موسى عليه السلام.

ثانياً:- لأن الله جل وعلا سيرسل موسى عليه السلام إلي طاغية من طواغيت الأرض ولا بد أنه سيطلب من موسى عليه السلام برهان على نبوته وأنه رسول رب العالمين كما أن الحق يعلم أن قوم فرعون بارعون في السحر فقد يقومون بأعمال لا تخطر لسيدنا موسى على بال فإذا كان هناك موقف بين فرعون وموسى عليه السلام فسيكون الموقف عصيباً لأنه ليس من المعقول أن يحضر فرعون السحرة وما معهم ثم يأتي موسى عليه السلام بلا شيء يتفوق به على هؤلاء .

تماماً مثل ما حدث مع نبي الله عيسى عليه السلام فكان قومه قد برعوا في الطب لا على درجة إلا أن الله جل وعلا أيد عيسى عليه السلام بمعجزات يعجز الطب عن القيام بها فأنى للطبيب أن يداوي الأكمة الذي ولد أعمى فيعيد إليه بصره بل والأعظم من ذلك من يستطيع أن يحيي الموتى فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس ما برع فيه قومه وتفوق عليهم بفضل الله وقدرته. وكذلك نبيناً محمد صلي الله عليه وسلم أرسله ربه إلي قوم بلغوا القمة في اللغة والبلاغة والفصاحة فجاءهم بكتاب كريم بهر عقولهم وعجزوا عن الإتيان ولا بسورة من مثله.

وهكذا حين أصبح موسى عليه السلام مستعداً لحمل الرسالة جاءت الأوامر:-

أولاً:- كان الغرض من إرسال موسى عليه السلام هو أن يسمح فرعون لبني إسرائيل بالخروج من مصر لأن موسى عليه السلام أرسل لبني إسرائيل وأراد الحق جل وعلا أن يمن عليهم وينجيهم من بطش فرعون وجبروته.

ثانياً:- لن يستطيع موسى عليه السلام أن يأخذ بني إسرائيل دون الرجوع إلي فرعون وبالتالي لا بد أن يزود موسى عليه السلام بما يجعله يستطيع به مواجهة هذا الجبار فكانت المعجزات ولم يكتف موسى عليه السلام بذلك فحين أخبره ربه جل وعلا بقوله (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ)

النازعات ١٧

على الفور دعا موسى عليه السلام ربه جل وعلا (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* واحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* واجْعَلْ لِّي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) طه ٣٧/٢٥.

واستجاب الحق جل وعلا فـ(قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ) طه ٣٦ ومن ثم أصبح سيدنا هارون مكلف بالنبوة مع سيدنا موسى عليهما السلام ومع هذا قال الحق سبحانه وتعالى لهما (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) طه ٤٣/٤٤. ويبدو أن سيدنا موسى وأخيه سيدنا هارون عليهما السلام يعرفان جيداً قوة فرعون ولذلك قالوا :- (رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ) طه ٤٥ .

إلا أن الحق جل وعلا طمأئهما بقوله سبحانه قال (لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ) طه ٤٦. وأخبرهما الحق جل وعلا أن ما عليهما إلا تبليغ الرسالة (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) طه ٤٧ .

**\*\*** يذكر العهد القديم أنه بعد ما أخبر الحق جل وعلا موسى عليه السلام بقوله "أنا إله آبائك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب"<sup>١</sup> أمره الرب أن يذهب إلي فرعون فقال الرب "فالآن هلم فأرسلك إلي فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر"<sup>٢</sup> .  
 ثم أخبره الرب أن يخبر بني إسرائيل أيضاً أنه رسول من رب العالمين "وكذا تقول لبني إسرائيل "يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم"<sup>٣</sup> . ولما أخبر موسى عليه السلام أن القوم قد لا يصدقوه " ولكن ها هم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي بل يقولون : لم يظهر لك الرب " ؟ " حينئذ قال له الرب ما هذه التي في يدك ؟ فقال موسى : - عصا فقال الله : أطرحها إلي الأرض فكانت حية فهرب موسى منها ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها فمد يده وأمسك بها فصارت عصا في يده ٥ ثم قال له الرب أيضاً: -" ادخل يدك في عبك فادخل يده في عبه ثم أخرجها وإذ يده بيضاء مثل الثلج"<sup>٦</sup>

إلا أن العهد القديم يذكر أمور أخرى غريبه منها:-

١- بخصوص عدم مقدرة سيدنا موسى عليه السلام على إيضاح الكلام ولذا طلب من ربه جل وعلا أن (أَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي) ولو طلب موسى عليه السلام أن يطلق الله جل وعلا لسانه لطلب (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) طه ٢٦ . لأن هذه طبيعة الأنبياء فهم لا يطلبون لأنفسهم إلا بقدر الحاجة ومادام موسى عليه السلام بعد استجابة ربه استطاع الكلام فلا بأس ولكن ذكر العهد القديم قول موسى عليه السلام لربه " **لَا أَنَا أَغْلَفُ الشَّفَتَيْنِ كَيْفَ يَسْمَعُ لِي فرعون؟**"<sup>٧</sup>

٢- كما يذكر أن الرب جل وعلا قال عن هارون ( **وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون له الهاً** )<sup>٨</sup> هنا يزعمون ان الرب جل وعلا جعل موسى عليه السلام الهاً لأخيه هارون والحق ما قاله القرآن الكريم ( واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان

<sup>١</sup> خروج ٦/١

<sup>٢</sup> خروج ١٠/٣

<sup>٣</sup> خروج ١٥/٣

<sup>٤</sup> خروج ١/٤

<sup>٥</sup> خروج ٣/٢/٤

<sup>٦</sup> خروج ٦/٤

<sup>٧</sup> خروج ٢٩/٦

<sup>٨</sup> خروج ١٦/٤



رسولا نبيا ونادينا من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا) مريم ٥١-٥٢.

ومع هذا يزعمون أن موسى عليه السلام اعترض على ربه قائلاً ( استنمع ايها السيد ارسل بيد من ترسل فحمى غضب الرب على موسى وقال : اليس هارون اللاوى اخاك؟ )<sup>١</sup> ولم يهدأ موسى إلا بعد هذا التصريح ( فقال الرب لموسى أنظر أنا جعلتك إله لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك )<sup>٢</sup>.

٣ - يزعمون أن الرب اخبر موسى عليه السلام بأنه جل وعلا هو الذى سيشدد قلب فرعون فلا يجعله يؤمن وقال الرب لموسى (وعندما تذهب لترجع الى مصر ، انظر جميع العجائب التى جعلتها في يدك واضعها قدام فرعون ولكنى اشدد قلبه )<sup>٣</sup> وهذا غير ممكن لأنه لو كان تشدد قلب فرعون من عند الله فلماذا إذا يعذبه الحق جل وعلا ولكن الحق ما ذكره القرآن الكريم ويبين أن فرعون كان طاغية من تلقاء نفسه وأنه استخف قومه فأطاعوه فهل الحق جل وعلا هو الذى أمر فرعون أن يخبر الناس أنه إله؟ فيقول سبحانه وتعالى ( وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ) القصص ٣٨.

٤ - يزعمون أن بنى إسرائيل بمجرد ما جاءهم موسى عليه السلام واخبرهم بما أمر به الرب جل وعلا خروا سجدا فيقولون ( ثم مضى موسى وهارون وجمعا جميع شيوخ بني اسرائيل فتكلم هارون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به وصنع الايات امام عيون الشعب ، فامن الشعب ولما سمعوا ان الرب افتقد بنى اسرائيل وانه نظر مذلتهم خرجوا وسجدا )<sup>٤</sup>

وهذا لم يحدث لأن الرب جل وعلا اخبرنا بقوله سبحانه (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) يونس ٨٣ وفى العهد القديم نصوصاً تظهر عدم إيمان بنى إسرائيل جميعاً بما جاء به موسى عليه السلام فيقولون ( فتكلم موسى امام الرب قائلاً هو ذا بنى اسرائيل لم يسمعوا لى فكيف يسمعنى فرعون )<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> خروج ١٣/٤

<sup>٢</sup> خروج ١/٧

<sup>٣</sup> خروج ٢١/٤

<sup>٤</sup> خروج ٣١/٣٠/٤

<sup>٥</sup> خروج ١٢/٦

وفي موضع آخر يذكر تدمر بنى إسرائيل على سيدنا موسى عليه السلام ( فرأى مدبرو بنى إسرائيل أنفسهم في بليه إذا قيل لهم لا تنقصوا من لبنكم امر كل يوم بيومه وصادفوا موسى وهارون واقفين للقائم حين خرجوا من لدن فرعون فقالوا لهما لينظر الرب اليكما ويقضى لأنكما انتنتما رائحتنا في عين فرعون وفي عيون عبده حتى تعطيا سيفاً في ايديهم ليقتلونا ) ١ وصدق الحق حين قال عنهم قولهم ( أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا ) الأعراف , ١٣٩

٥- يزعمون أن موسى عليه السلام ضاق صدرًا وهو في بداية الدعوة واطهر غضبه فقالوا ( فرجع موسى الى الرب وقال يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب لماذا ارسلتني ؟ فانه منذ دخلت الى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب وانت لم تخلص شعبك ) ٢  
٦ - يزعمون أن الرب خطط لقتل موسى عليه السلام فيقولون ( وقال الرب لموسى : عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك ) ( وحدث في الطريق في المنزل ان الرب التقاه وطلب ان يقتله ) ٣

٧ - يزعمون أن الرب جل وعلا وضع لبني إسرائيل خطة ليسلبوا المصريين فيقولون ( وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين فيكون حينما تمضون انكم لاتمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارها ومن نزيلة بينها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين ) ٤

٨ - يزعمون أن الرب جل وعلا طلب من بنى إسرائيل أن يعلموا بيوتهم بالدم حتى لا يهلكهم مع بيوت المصريين ولا حول ولا قوة إلا بالله فيقولون ( وخذوا باقية زوفاء واغمسوها في الدم الذي في الطشت ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطشت وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يبعد الرب عن الباب ولا يدم المملك يدخل بيوتكم ليضرب فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولأولادك إلى الأبد ) ٥

### رابعا : موسى عليه السلام وبداية الدعوة

الصعوبات التي واجهت سيدنا موسى عليه السلام:-

<sup>١</sup> خروج ٢١/٢٠/٥

<sup>٢</sup> خروج ٢٣/٥

<sup>٣</sup> خروج ٢٤/٤٠

<sup>٤</sup> خروج ٣٦/١٢

<sup>٥</sup> خروج ٢٤/٢٣/١٢

لقد رأينا كيف تعرض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لشقاق قومه له ومعاندتهم إياه ورأينا في النهاية كيف دخل جميع القبائل في دين الله أفواجا وفتح الله سبحانه وتعالى له مكة أم القرى وأقر الله عينه بهذا الفتح المبين .

والآن نستعرض بعض ما واجهه سيدنا موسى عليه السلام ولكن الغريب هنا أمران :-

١- أن القوم الذين عاندوا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الشرك والكفر ولذلك كانوا يطلبون أدلة جديدة وبراهين تثبت نبوته صلى الله عليه وسلم بينما كان ينبغي على قوم موسى عليه السلام يحمداوا الله الذي أرسل اليهم سيدنا موسى عليه السلام الذي جاء لينفذهم من بطش فرعون وجبروته إلا أنهم عاندوه وناصروه العداوة وأرهقوه أكثر من فرعون وعانى منهم عليه السلام أكثر من معاناته من فرعون لأن فرعون كان واضح العداوة مما جعل نبي الله موسى عليه السلام يدعو ربه أن يخلص قومه من فرعون وقد كان ولكن ماذا يفعل موسى عليه السلام مع قومه وبني جنسه أيدعو عليهم بالابادة وهو مرسل اليهم لهدايتهم.

٢- رأينا بفضل الله كيف هدى الله جل وعلا قريش والطائف والجزيرة كلها حتى جاءت الوفود في العام التاسع الهجري معلنةً ولائها لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وإيمانها بالله الواحد الأحد وبالرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم حتى قال سبحانه ( إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحَ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا \* ) سورة النصر .

أما قوم موسى عليه السلام لم يراعوا حق الله ولاحق رسوله موسى عليه السلام وعاندوه وآذوه عليه السلام وعبدوا العجل وتمردوا عليه وطلبوا منه عليه السلام مالا طاقة له به حتى كاد أن يهلك عليه السلام (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُنكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ) الأعراف ١٥٥ . يكفيهم أن يطلق عليهم نبي الله موسى عليه السلام ( السفهاء ) والعجيب أنهم هم الصفوة فما بالك بضعاف الإيمان والآخرين . ولذلك نشعر أن نبي الله موسى عليه السلام عانى الأمرين من قومه طيلة حياته وعانى العالم منهم بعده عليه السلام .

١- إن أول الصعوبات التي واجهت سيدنا موسى عليه السلام هي مقابلة فرعون لأن سيدنا موسى عليه السلام يعلم أنه قتل منهم نفسا ثم هو يعود اليهم الآن رسولاً ويعلم أن فرعون

جباراً فقد يفاجئهم بالعذاب أو يتجاوز الحد في العصيان على قومه وهذا ما حدث ، فقد ذكره فرعون بما سبق وزاد في تعذيب قومه وفي هذا يقول القرآن وهو يحكى عن فرعون قوله لموسى عليه السلام قال فرعون ( وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ) الشعراء ٢٣... لأن فرعون كان يزعم أنه إله فعرض السؤال على سيدنا موسى عليه السلام لعله يؤكد هذا الزعم فإذا به عليه السلام يقول ( رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ) الشعراء ٢٤ .

وفرعون ومن حوله يعلمون أن فرعون أخط من أن يكون رب السموات والأرض جميعاً ومن ثم حاول فرعون المهجوم بالقول على موسى عليه السلام قائلاً ( ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين )

فرد سيدنا موسى عليه السلام مبيناً أن ما حدث كان عن غير عمد كما أن ذلك كان في فتره صبا موسى عليه السلام ولم يكن وقتها نبيا ولا رسولا أما الآن فقد غفر له رب العالمين ومن عليه بالرسالة ثم قال موسى عليه السلام هل تربيتك ورعايتك لى تعادل استعباد بنى إسرائيل —( قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ \* فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ \* وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) الشعراء ٢٢/٢١/٢٠

حينئذ خرج فرعون بالحوار الى مجال آخر وأراد أن يستفز موسى عليه السلام أو أن يؤلب عليه ملائه —( قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ) الشعراء ٢٧ .

فشعر موسى عليه السلام بالخطر ومن ثم لا مجال ولا نجاة من هذا الموقف إلا أن يظهر الآيات الباهرات التي تثبت لفرعون ومن معه أنه رسول رب العالمين —( قَالَ أَوَلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ) الشعراء ٣٠ .( قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ \* وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ) الشعراء ٣١/٣٢/٣٣ .

وسرعان ما رماه فرعون بالسحر —( قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ) الشعراء ٣٤/٣٥ . فأشار الملاء على فرعون باحضار السحرة وتحدى موسى عليه السلام فقال سبحانه وتعالى عنهم ( قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ \* يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ) الشعراء ٣٧/٣٨ .

واجتمع الناس ليشاهدوا هذا الحدث ووعده فرعون السحرة بمكافئته عظيمه ( وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ) الأعراف

١١٣/١١٤. وهنا سأل السحرة موسى عليه السلام أن يلقى هو أو يدعهم يبدؤون  
 فـ (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) الأعراف ١١٥ (قَالَ أَلْقُوا  
 فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ) الأعراف ١١٦ .

ولأن موسى عليه السلام بشر " فأوجس في نفسه خيفة موسى " إلا أن الحق سبحانه  
 وتعالى ذكر موسى عليه السلام بأنه من المرسلين وأنهم لا ينبغي لهم أن يخافوا ولا يخشون  
 أحدا إلا الله (قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا  
 كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ) طه ٦٨/٦٩

ولكن فوجئ فرعون وملأته بل وموسى عليه السلام وقومه بما لم يخطر لهم على بال (فَأُلْقِيَ  
 السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ) طه ٧٠. وحتى لا يظن فرعون  
 أنه المقصود في السحرة أن رب العالمين هو سبحانه وتعالى ( رب موسى وهارون ) وهنا  
 استشاط فرعون غيظا وشرع يتوعد ويهدد الجميع فقال للسحرة (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ  
 لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِئَنَّ آيَدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي  
 جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ) طه ٧١ .

إلا أن السحرة تصرفوا بشكل إيماني منقطع النظير بعكس بني إسرائيل الذين كانوا أحق  
 بهذا الايمان ليشدوا من أذر نبيهم، ففوجئ فرعون بقول السحرة فـ (قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا  
 جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِمَّا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا  
 بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَىٰ) طه ٧٢/٧٣ ثم توجهه  
 فرعون لبني إسرائيل مضاعفا لهم العذاب فقال لجنوده ( سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا  
 فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) الأعراف ١٢٧ .

وهنا بدأت الآيات التي ابتلى الله بها فرعون ولكن العهد القديم يذكر كما بينا أن فرعون  
 تشدد قلبه ولم يطلق يطلق بني إسرائيل والقرآن الكريم بين أن الآيات إنما كانت تتابع على  
 فرعون لعله يفيق ويرجع عن غيه ويعلم أن الله هو الحق المبين ولذلك يقول الحق سبحانه  
 وتعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ )  
 الأعراف ١٣٣ والعجب أن مع كل ابتلاء يلجأ فرعون إلى نبي الله موسى عليه السلام قائلاً:  
 (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي  
 إِسْرَائِيلَ) الأعراف ١٣٤ .

يا سبحان الله، فرعون يعلم أن رب موسى عليه السلام هو القوى، والفعال لما يريد، قادر على أن يرسل عليهم عذاباً؛ وقادر أن يخفف عنهم العذاب؛ والغريب أن فرعون الذي يدعى الألوهية والربوبية يقول لموسى ( ادع لنا ربك ) فأين ربوبيته هو إذا؟  
 وحين كشف الحق عنه العذاب ( فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُورِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ) الاعراف ١٣٥. وتتابع الآيات وظل فرعون في عناده لانه في كل مره يصبر على ان يثبت ربوبيته والوهيته ورغم لجونه الى موسى عليه السلام وربه جل وعلا لأنها (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ) الحج ٤٦  
 إلى أن قال الحق جل وعلا ( وَلَقَدْ آرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ) طه ٥٦ فلم يبقى إذن إلا الخلاص من فرعون وملاه ولو أراد الحق سبحانه وتعالى لأهلكهم في أى آية من الآيات والإبتلاءات السابقة .

ولكن أراد الحق جل وعلا أن يأخذ فرعون وجنوده وأن ينجى بنى إسرائيل في آن واحد فأرادها الحق جل وعلا معجزه لا تنسى فاستدرجهم الحق سبحانه وتعالى من حيث لا يعلمون فجعل فرعون ينادى ( إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِلُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ) الشعراء ٥٤-٥٩

وهرع فرعون وجنوده بعدما علم أن موسى عليه السلام أسرى بقومه ليلاً ( وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ) الشعراء ٥٢ .  
 ولما انتهى بهم الأمر إلى البحر فكعادة بنى إسرائيل دائما يجزعون لاقبل الأشياء ولم يبلغوا من الإيمان ما يجعلهم يتقون في نبى الله موسى ولا في قدرة الله جل وعلا على أن ينجهم من هذا الموقف العصيب —( قالوا إنا لمدركون ) الشعراء ٦٢ .

إلا أن سيدنا موسى عليه السلام قال لهم ( كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ) الشعراء ٦٣ . وهنا أمر الحق جل وعلا موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر ( فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ) الشعراء ٦٣. ثم امر الرب جل وعلا موسى عليه السلام ( وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهْوًا ) الدخان ٢٤. حتى ينخدع فرعون ومن معه ويترلوا جميعا في قاع البحر .

أرايت كيف وصل الطغيان بفرعون درجة جعلته لا يرى هذه المعجزة الباهرة فدفعه غروره الى متابعة موسى عليه السلام وهنا حدثت المفاجاه ( وَأَرْزَلْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ ) الشعراء ٦٤ . واغرقناه ومن معه أجمعين ) والعجب أن فرعون أفاق في هذه الحظه قائلاً ( آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) يونس ٩٠ .

إلا أن الحق سبحانه وتعالى قال ( آيَاتِهِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ) يونس ٩١  
ثم أراد الحق سبحانه وتعالى أن يخرج جثة فرعون ثم يعلم أهل مصر قدره على التحنيط  
ليحنطوا بما جثة فرعون وامثاله ليظل عبرة ودلالة على قدرة الحق جل وعلا الذى لا يعجزه  
شىء لا فى الأرض ولا فى السماء وليعلم أى طاغية أنه مهما وصل من العلم والحضارة والقوة  
والجبروت فلن يصل إلى ما وصل إليه فرعون ومع هذا فما نهايته (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ  
لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) يونس ٩٢ .

وأظهر الله جل وعلا جثة فرعون هامدة ليره الجميع حتى لا يظنوا أنهم مخنفى فى مكان ما وأنه  
لم يغرق وأنه سيعود يوم ما، وأراد الحق جل وعلا أن يعلم كل من يعاون طاغية أن مصيره  
كمصير الظالم سواء بسواء فلم ينل إلا سؤ الخاتمة مع ذل الحياة سابقا لمن كان يعاونه. وقبل  
أن نتكلم عن الصعوبات التي واجهها سيدنا موسى عليه السلام مع قومه نذكر بعض  
النصوص من العهد القديم بخصوص ما سبق.

ثم كلم الرب موسى قائلا " أنت تتكلم بكل ما أمرك وهارون أخوك يكلم فرعون ليطلق  
بنى اسرائيل من ارضه ولكنى اقسى قلب فرعون واكثر آياتى وعجائبى فى ارض مصر □  
١ - ثم يذكر العهد القديم أنه بعد معجزة العصا التي ابتلعت ثعابين السحرة إذداد طغيان  
فرعون ( فطرم هارون عصاه امام فرعون وامام عبديه فصارت ثعباناً فدعا فرعون أيضا  
الحكماء والسحرة. إطرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين ولكن عصا هارون  
ابتلعت عصيهم . وقسى الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما ) ٢

هذا النص يصور لنا أن موسى عليه السلام تحول إلى مرشد وموجه لهارون عليه السلام فى  
حين أن النبى موسى عليه السلام هو صاحب معجزة العصا وكان هارون عليه السلام بمثابة  
المعين حيث قال جل وعلا على لسان سيدنا موسى عليه السلام ( وأخى هارون هو أفصح منى  
لسانا فأرسله معى رداء يصدقنى إني أخاف أن يكذبون ) القصص ٣٤

ولم يطلب موسى عليه السلام أن يتحمل هارون عليه السلام المشقة وحده، إلا أن النص فى  
العهد القديم يذكر أن هارون هو الذىلقى العصا أولا ثم القى الآخرون ما معهم ، والحكمة  
تقتضى أن يلقى الآخرون أولاً ليكون للتحدي معنى وقوة وليشعر فرعون ومن معه ولو للحظة  
بنشوة العزة والغلبة حتى إذا قهرهم الحق بعزته وهزمهم بعظمتته وأمر موسى عليه السلام أن

<sup>١</sup> خروج ٢٠/٧  
<sup>٢</sup> خروج ١١/١٠

يلق عصاه فتلقف ما صنعوا فتكون الحسرة مضاعفة وهذا ما حكاه القرآن الكريم كما بيننا من قبل .

– ثم يذكر النص أن فرعون ظل قاسياً ولم يسمع لما أراده موسى وهارون عليهما السلام ومن ثم بدأت الضربات تنزل عليه وعلى قومه فيذكر العهد القديم أن ماء النهر تحول دماً ( ورفع هارون العصا وضرب الماء الذي فى النهر امام عين فرعون وامام عيون عبيده فتحول كل الماء الذي فى النهر الى دما) وعن ضربة الضفادع (فمد هارون يده على مياه مصر فصعدت الضفادع وغطت ارض مصر ) ١

( فدعا فرعون موسى وهارون وقال صلبا الى الرب ليرفع الضفادع عنى وعن شعبي فاطلق الشعب ليمجدوا الرب ) ٢ ويذكر العهد القديم أن فرعون طلب من موسى وهارون عليهما السلام أن يصليا للرب لنتهى الضفادع .

( ثم خرج موسى وهارون من لدن فرعون وصرخ موسى الى الرب من اجل الضفادع التى جعلها على فرعون ففعل الرب كقول موسى فماتت الضفادع من البيوت والدور ) ٣ وهكذا مع كل ضربة ولقد ذكر العهد القديم أن مع كل ضربة يرفع هارون يده على شعب مصر فيصاب الشعب بما أراد الرب جل وعلا ثم يلجأ فرعون إلى موسى واخيه هارون عليهما السلام ليصليا إلى الرب فيرفع عنهم ما ابتلاه وشعبه به ولكن كما ذكر القرآن الكريم أن فرعون لم يؤمن رغم هذه الآيات ولم يطلق بنى إسرائيل كذلك ذكر العهد القديم فيقول ( ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بنى إسرائيل من ارضه ) ٤

### خامسا : خروج بنى إسرائيل من مصر

– وكما ذكر القرآن الكريم أن الله أمر موسى عليه السلام أن يسر بنى إسرائيل ليلاً ليخرجوا من مصر ولينجيهم من فرعون ويطشه فكذلك يقول العهد القديم فدعا موسى وهارون ليلا وقال : ( قوموا واخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً ) ٥ ثم ذكر العهد القديم أن مدة إقامة بنى إسرائيل منذ دخول يعقوب عليه السلام وأبناءه إلى مصر و إلى خروج موسى عليه السلام وبنو إسرائيل هـى : ( وأما اقامة بنى إسرائيل التى

١ خروج ٦/٨  
٢ خروج ٨/٨  
٣ خروج ١٢/٨  
٤ خروج ١٠/١١  
٥ خروج ٣٨/١٢



**اقاموها فى مصر فكانت اربعمائه وثلاثين سنة وكان عند نهايه اربعمائه وثلاثين**

**سنة فى ذلك اليوم عينه ان جميع اجناد الرب خرجت من ارض مصر)١**

كما ذكر العهد القديم عددهم ( فارتحل بنو إسرائيل من رمسيس الى سكوت نحو ست

مئه الف ماش من الرجال عدا الاولاد ) ٢ وهنا أمر عجب ألا وهو : يذكرون أن يعقوب عليه

السلام دخل مصر فى سبعين نفسا وخرجوا ستمائه الف عدا الاولاد .

**فلما أخبر ملك مصر ان الشعب قد هرب تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب) ٣ (فشد**

**مركبته واخذ قوسه معه واخذ ست منه مركب منتخبه وسائر مركبات مصر) ٤ فلما**

**اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم واذا المصريون راحلون وراهم ففزعوا**

**ومصر بنو إسرائيل إلى الرب) ٥**

وهذا لم يحدث فلم يلجأ بنو إسرائيل إلى الرب ولكنهم قالوا كما حكى عنهم القرآن الكريم

( فلم ترى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ) الشعراء ٦١ . فهذا ما حدث فهم لم

ينظروا إلى الرب ؛ بل سيدنا موسى عليه السلام هو الذى ذكرهم بأنه نبي الله رب العالمين

وأن الله لن يتركه لفرعون فقال موسى عليه السلام كما حكى القرآن الكريم فقال موسى

عليه السلام ( إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ) الشعراء ٦٢ .

وما يؤكد أنهم لم يصرخوا إلى الرب كما ذكر فى العهد القديم عند هذا الموقف : أن بنى

إسرائيل تدمروا على موسى عليه السلام قائلين ( وقال لموسى : هل لأنه ليست قبور فى

مصر أخذتنا لنموت فى البرية ؟ وماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ؟ هذا هو الكلام

الذى كلمناك به فى مصر قائلين كُف عنا فنخدم المصريين ؟ لأنه خير لنا أن نخدم

**المصريين من أن نموت فى البرية) ٦**

إلا أن موسى عليه السلام (قال لهم لا تخافوا ففوا وانظروا إلى خلاص الرب الذى يصنعه

**لكم اليوم) ٧**

ويذكر العهد القديم أن الرب أمر موسى عليه السلام أن يضرب البحر بالعصا فقال الرب

لموسى ( ما لك تصرخ الى ؟ قل لبنى إسرائيل أن يرحلوا وارفع انت عصاك ومد يدك على

<sup>١</sup> خروج ٤١/٤٠/١٢

<sup>٢</sup> خروج ٣٧/١٢

<sup>٣</sup> خروج ٥/١٤

<sup>٤</sup> خروج ٦/١٤

<sup>٥</sup> خروج ١٠/١٤

<sup>٦</sup> خروج ١٢/١٤

<sup>٧</sup> خروج ١٣/١٤

البحر وشقّه فيدخل بنى إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة<sup>١</sup> ثم يعقب قائلًا ( وتبعهم المصريون ودخلوا ورائهم جميع رجال فرعون ومركباته وفرسانه الى وسط البحر)<sup>٢</sup> فرجع الماء وغطى جميع مركبات وجيش فرعون الذى دخل ورائهم فى البحر لم يهدى منهم ولا واحد<sup>٣</sup>

---

<sup>١</sup> خروج ١٥/١٤  
<sup>٢</sup> خروج ٢٣/١٤  
<sup>٣</sup> خروج ٢٨/١٤

## الباب الثالث

من خروج بني إسرائيل من مصر وبقائهم في التيه إلى انتقال موسى عليه السلام إلى جوار ربه جل وعلا :

### أولاً: سيدنا موسى عليه السلام والألواح

يذكر القرآن الكريم أن الحق سبحانه وتعالى هو صاحب الفضل والمن على بني إسرائيل إذ نجاهم جل وعلا مما كان بفعله بهم فرعون فقال تعالى {وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ {الدخان ٣٠} ونقلهم إلى جانب الطور ومن عليهم بكرمه وفضله - {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُم جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ {طه ٨٠}

إلا أن بني إسرائيل بهم من الضعف وعدم اليقين بالله رب العالمين فبرغم المعجزة الكبرى إلا أنهم بدر منهم مالم يخطر لأحد على بال فقال تعالى عنهم - {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {الأعراف ١٣٨}

وذكرهم سيدنا موسى عليه السلام بنعم الله عليهم وفي هذا يقول القرآن الكريم {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ {إبراهيم ٦}

يذكر الزمخشري في الكشف أن سيدنا موسى عليه السلام كان قد وعد قومه إن أهلك الله عدوهم ومكنهم في الأرض أن يسأل الله أن يتزل عليهم كتاب ينظم فيه حياتهم وهذا ما كان يتمناه سيدنا موسى عليه السلام وأكده الحق جل وعلا في القرآن الكريم إذ يقول (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ) الاعراف ١٢٩ .

وما أن صدق الله وعده ومكن نبيه موسى عليه السلام وأهلك عدوه إلا وأسرع موسى عليه السلام أن يدعو ربه ليتزل عليهم الكتاب الذي وعد قومه به ليكون لهم شريعة ومنهجاً فأمره ربه أن يصوم ثلاثين يوماً واتمها الله بعشرة أيام وفي هذا يقول الحق سبحانه وتعالى (وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) الاعراف ١٤٢

ثم أمر سيدنا موسى عليه السلام أخاه أن يراعى بني إسرائيل ويشد من أذرعهم ويذكرهم بفضل الله عليهم الذي أخرجهم من مصر ونجاهم من فرعون وجنوده ووهبهم حياة جديدة

مع أنبياء عظماء (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) الأعراف ١٤٢ . ولا بأس أن ينبه سيدنا موسى سيدنا هارون عليهما السلام فهو يعلم أن بني إسرائيل قساة القلوب وأنهم قد يقدموا على أفعال فاسدة فإن لم يستطع تقويمهم فعليه أن يتحمل ولا يركن إليهم، وإن قال قائل أليس هارون عليه السلام نبياً فكيف يخشى عليه نبي الله موسى عليه السلام وكيف يحذره وينبهه ؟ نقول إن هذا يدل على تبؤ سيدنا موسى عليه السلام بما سيحدث من قومه من فساد .

وحين أتم موسى عليه السلام الميقات وذهب للقاء ربه جل وعلا أنزل الله جل وعلا عليه الألواح وكانت بمثابة التوراة الإجمالية وكان هذا في عام ١٤٤٥ ق.م وكان في الألواح بيان الحلال والحرام وتوضيح الخاسن والقبايح ليكون ذلك موعظة لهم من شأنها تؤثر في قلوبهم ترغيباً وترهباً إن تمسكوا بها وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ( وكتبنا له في الألواح كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ) الأعراف ١٤٥ .

ثم حذرهم سبحانه بأنهم إن ضلوا فإن لهم عاقبة السوء وفي هذا يقول سبحانه وتعالى (سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) الاعراف ١٤٥ . وهذا يدل على أن هؤلاء القوم لن يأخذوا بأحسنها بل سيكونوا من الفاسقين وقد كان، فقال الحق سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه السلام حين ذهب للقاء ربه الآيات التي نذكرها في الفقرة التالية .

### ثانياً : بنو إسرائيل وعبادتهم العجل

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى \* قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ \* فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي \* قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ \* فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ) طه ٨٣-٨٨ .

– فحدث ما كان يخشاه موسى عليه السلام وما نبه الحق سبحانه وتعالى عليه ولقد قام هارون عليه السلام بدوره كنبى إلا أنهم بنو إسرائيل الذين قال عنهم نبينهم موسى عليه السلام في القرآن الكريم ( السفهاء ) في قوله تعالى ( أهلكنا بما فعل السفهاء منا )

الأعراف ١٥٥ . وعن دور هارون عليه السلام قال القرآن الكريم (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ) طه ٩٠ . إلا أن بني إسرائيل رفضوا أمره فـ (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ) طه ٩١ فلما عاد إليهم سيدنا موسى عليه السلام كاد الحزن أن يفلق كبده لأنهم قوم معاندون حمقى سفهاء فإذا به ( قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) طه ٩٤ ثم اتجه موسى عليه السلام إلى السامري فقال ( ما خطبك يا سامري ) فإذا به يقول : ( قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ) طه ٩٦ .

وأما السامري فيذكر أنه رأى جبريل عليه السلام يسير أمام بني إسرائيل في البحر والقوم لم يروه ، وجبريل عليه السلام روح فسولت للسامري نفسه إن التقط شيئاً من أثره أن يدب فيها الحياة ، فالتقط قبضة من أثره ليستعملها في الوقت المناسب وإن دل ذلك فإنما يدل على نيته المبيتة للشرك ولا حول ولا قوة إلا بالله .

بدليل أنه بمجرد أن ذهب موسى عليه السلام إلى لقاء ربه جل وعلا ألقى السامري في روع القوم أن موسى عليه السلام تأخر عنهم وبما أن القوم حديثي عهد بالمصريين الذين كانوا يعبدون الأصنام فجمع السامري ذهب القوم وخلطه بالقبضة التي قبضها من أثر جبريل عليه السلام وصنع منه عجلاً له خوار وهو صوت البقر مما أدهش القوم والعجيب أنهم سرعان ما عبدوه عازفين عن نبي الله هارون عليه السلام ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولذا أمر موسى عليه السلام بالعجل فأحرق وبما أنه من ذهب فقد يزداد نقاءً فينخدع القوم ، ولذلك أرسل الله جل وعلا عليه ريحاً فألقت به رمادا في البحر، وتوعد موسى عليه السلام السامري بأنه لن يحيا في أمان ما عاش وفي الآخرة فله عذاب عظيم (قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ) طه ٩٧ .

وأكد موسى عليه السلام الحقيقة الواضحة بقوله ( إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شئ علماً ) ولكن ما جزاء من عبد العجل فهل يتركون ؟ بالطبع لا . فقد عوقبوا عقاباً أليماً يستحقونه ، ولولا أن القرآن الكريم أخبرنا بأن المفسدين من قوم نوح عليه السلام هلكوا في الطوفان لقلنا أن بني إسرائيل هم أحفاد أولئك الفاسقين فقد قال عنهم سبحانه وتعالى ( إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ) نوح ١٧

ومن ثم كتب الله جل وعلا على من عبد العجل من بنى إسرائيل الإبادة لأنهم إن فعلوا ذلك الإثم العظيم لقوله تعالى ( ان الشرك لظلم عظيم ) لقمان ١٣ ثم ظلوا بعدها على قيد الحياة منعمين ؛ هنالك سيطمخ الآخرون ويزدادوا بغيا وظلما ولذلك الحكمة تقتضى أن نتخلص من هؤلاء حتى يعتبر بهم غيرهم ولذلك حكى القرآن الكريم ( وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ) البقره ٥٤

ثم بدأت الأحكام والعبادات والمعاملات المدنية والحربية والعقوبات يترها الحق جل وعلا على نبيه موسى عليه السلام في وقت الحاجة شأنها في ذلك شأن كل الرسالات وقبل أن نواصل مع باقى الرساله نستعرض ما قاله العهد القديم في ما سبق لنرى كيف تناول هذه القضية وهل انصف الأنبياء كما نزههم القرآن الكريم عن الوقوع في الخطيئة .

فيذكر العهد القديم أنه بعد نجاه موسى عليه السلام من فرعون وجنوده واستقر بهم الأمر في سيناء فيقول ( فى الشهر الثالث بعد خروج بنى إسرائيل من أرض مصر فى ذلك اليوم جاءوا الى برية سيناء )<sup>١</sup> . ثم يذكر العهد القديم أن موسى عليه السلام ترك بنى إسرائيل وصعد إلى الجبل وعن الاستعداد للميقات قالوا ( وأما موسى فصعد الى الله وكان هناك عند الرب اربعين نهارا واربعين ليله لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد )<sup>٢</sup> .

— ثم انزل الله عليه الوصايا العشر نشرحها في وقتها ان شاء الله وأهم ما فيها ( لا يكن لك الهه اخرى امامى لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوقك وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الارض لا تسجد لمن ولا تعبدون أنا الرب إلهك إله غيبور )<sup>٣</sup>

هذا مما أوحى به الله جل وعلا نبيه موسى عليه السلام والعجيب أنهم أعادوا تلك الوصية مرة أخرى ( فقال الرب لموسى : هكذا نقول لبنى إسرائيل : أنتم رأيتم اننى من السماء تكلمت معكم . لا تصنعوا معى الهه فضه ولا تصنعوا لكم الهه ذهب )<sup>٤</sup>

ومع هذا فوجئنا بشر البلية فإذا بهم يقولون:—

<sup>١</sup> خروج ١/١٩

<sup>٢</sup> خروج ٢٨/٣٤

<sup>٣</sup> خروج ١/٢٠..... ٥

<sup>٤</sup> خروج ٢٢/٢٠

( ولما رأى الشعب أن موسى أبطل في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا الهة تسير امامنا لان هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من ارض مصر لا تعلم ماذا اصابه . فقال لهم هارون انزعوا اقراض الذهب التي في اذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم واتوني بها فنزع الشعب اقراض الذهب التي في اذانهم وأتوا بها إلى هارون فاخذ ذلك من ايديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتكم يا إسرائيل التي اصعدتكم من ارض مصر فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال غداً عيد للرب )<sup>١</sup>

يذكر هذا النص أموراً عجيبة منها :-

١- أن الشعب جاء إلى هارون عليه السلام لا ليكون على غياب نبي الله موسى عليه السلام ولا ليسألوا عن سبب استبطائه عليهم بل ليطلبوا منه أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم ، يالهم من سفهاء أغبياء بدلوا الثمين بالثفل فبعدهما كانوا يقولون " أن الرب كان يسير أمامهم في عمود سحاب وبالليل في عمود نار يهديهم الطريق فإذا بهم يطلبون من هارون أن يصنع لهم عجلاً " ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢- يزعم بنو إسرائيل أنهم ذهبوا إلى هارون عليه السلام فأمرهم أن يتزعوا أقراط الذهب التي في اذان النساء والبنين والبنات ثم صنع منها عجلاً مسبوكاً والعجيب أنهم يذكرون أن هارون عليه السلام بنى لهم مذبحاً وأعلن أن غداً عيداً للرب ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ونحن المسلمين نتبرأ إلى الله مما ذكر في حق نبي الله هارون لأنه من المستحيل أن يقدم نبي الله هارون عليه السلام على هذا الأمر لأن الحق جل وعلا قال عن هارون ( سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً ) القصص ٣٥

وقال سبحانه ( ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ) مريم ٥٣ وقال جل وعلا عنه وعن موسى عليه السلام ( وأتيناها الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم ) الصافات ١١٦ وكذلك قال تعالى ( ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ) الصافات ١٤٧ وحين آمن السحرة قالوا كما قال القرآن الكريم ( آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ) كما أن نبي الله هارون من النبيين الذين قال عنهم الحق سبحانه وتعالى ( وإلهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ) فهل بعد ذلك يريدون منا أن نصدق ما قالوه في حق نبي الله هارون عليه

<sup>١</sup> خروج ١/٣٢.....٥

السلام ولذلك نحن نحمد الله جل وعلا أن حفظ القرآن الكريم بقدرته لنعلم أن صدق الله حين قال ( الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ) النمل ٥٩ وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء جميعا ومنهم هارون عليه السلام بالطبع ( أولئك الذين هداهم الله فيهداهم اقتده ) الأنعام ٩٠ ثم يذكر العهد القديم ان الرب جل وعلا أخبر موسى عليه السلام بما حدث وبما قام به موسى عليه السلام معهم وما أمرهم الله به :-

١- فقال الرب لموسى ( **إذهب فأنزل لأنه قد فسد شعبك الذي اصعدته من ارض مصر زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوه له** ) ١ وصدق الحق جل وعلا حين قال عنهم ( فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ) ثم يذكر العهد القديم : ( **رأيت الشعب وإذ هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم** ) ٢ فهذا الجزاء الذي يستحقونه، إلا أننا نفاجا بهم يذكرون أن موسى عليه السلام خاطب ربه بطريقة غريبة من أجل هذا الشعب ( **تضرع موسى أمام الرب الهه وقال لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذي اخرجته من ارض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟** ) ٣

٢- ويزعمون أن موسى عليه السلام قال لربه جل وعلا ( **ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك** ) ٤ هل يجوز ذلك في حق الأنبياء أن يخاطبوا الرب جل وعلا بهذه الطريقة : يحث موسى عليه السلام الرب جل وعلا أن يهدأ بل ويندم على ما فكر فيه بخصوص بنى إسرائيل ولا حول ولا قوة إلا بالله والعجيب أنهم يذكرون أن الرب حاشاه أفاق وأنب نفسه وندم على ما كان سيقدم عليه فيقولون ( **فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه** ) ٥

من هذا النص نفهم أن الأمر انتهى، أي نصح موسى الرب أن يرجع عن غضبه ويندم فرجع الرب عن غضبه وندم، ولكن نرى في نص آخر أن موسى عليه السلام قال لهم ( **وكذا قال الرب إله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومرروا وارجعوا من باب إلى باب**

١ خروج ٧/٣٢

٢ خروج ١٠/٩/٣٢

٣ خروج ١١/٣٢

٤ خروج ١٢/٣٢

٥ خروج ١٤/٣٢



في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل ) ١

ويزعمون أن موسى عليه السلام قال هارون ( ماذا اصنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطيئة عظيمة فقال هارون لايجوزي غضب سيدي انت تعرف الشعب انه في شر فقالوا اصنع لنا الهة تسير امامنا ) ٢ ثم شرح هارون لموسى عليه السلام كيف قام بصناعة العجل؟

٣- يزعمون ما هو أغرب مما سبق : فيقولون أن موسى عليه السلام قال للرب (والان إن غفرت خطيئتهم والا فامحنى من كتابك الذي كتبت ) ٣ هل نصدق ذلك عزيزي القارئ ؟ وهل نصدق أن الرسالة عقد عمل مما جعل موسى عليه السلام يضغط على الرب ويهدده بأن ينسحب من هذه المهمة ومن أجل من ؟ عبدة العجل؟؟؟

٤- وأكبر دليل على افتراءهم على نبي الله هارون عليه السلام وصناعته العجل بأنه لم يحدث له شيء ولم يقتل نفسه أو يقتله أحد رغم أنه حسب زعمهم كان أولى بالقتل ( حاشاه) لأنه هو من صنع لهم العجل .

أرأيت عزيزي القارئ أن حقا قد صدق الله فيما حاكاه في القرآن الكريم لأنه في العهد القديم ذكروا أن هارون عليه السلام كان موجود بعد ما قتل ثلاثة آلاف رجل بعضهم قالوا إن هارون وجمع من بنى إسرائيل استقبلوا موسى عليه السلام ومعه الألواح ( فنظر هارون وجميع بنى اسرائيل موسى واذا جلد وجهه يلحم فخافوا ان يقتربوا منه ) ٤

ويذكر العهد القديم ان موسى عليه السلام غضب وتغير وجهه حين علم بفساد قومه وعبادتهم العجل ،

١ خروج ٢٧/٣٢

٢ خروج ٢١/٣٢

٣ خروج ٣٢/٣٢

٤ خروج ٣٠/٣٤

وعن الألواح يقول العهد القديم ( وقال الرب لموسى احضر إليّ الجبل وكن هناك فأعطيك  
لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم)١

( ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة ..لوحى حجر  
مكتوبين بإصبع الله وهذه هى الشريعة التى وضعها موسى امام بنى اسرائيل . هذه هى  
الشهادات والفرائض والاحكام التى كلم بها موسى بنى اسرائيل عند خروجهم من  
مصر)٢

( فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحى الشهادة فى يده .لوحان مكتوبان على  
جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة  
الله منقوشة على اللوحين )٣ ألا انه عليه السلام ألقى الألواح فكسرت حين علم بفساد  
قومه ( فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسروهم فى أسفل الجبل )٤

ثم قال الرب لموسى ( انحت لك لوحين من حجر مثل الأوليين فاكتب أنا على اللوحين  
الكلمات التى كانت على اللوحين الأوليين الذين كسرتهما )٥

هكذا يتبين لنا صدق الحق جل وعلا فيما أخبر به عن الألواح وإن دل ذلك فإنما يدل على  
أنه كانت هناك توراة حقيقية وبها الآيات الحقيقية كما انزلها الحق سبحانه وتعالى إلا أنه  
بمرور الوقت عجز بنو إسرائيل فى الحفاظ عليها فضاع منها الكثير، ثم بدأت الأحكام  
والشرائع تتزلز منها : وكلم الرب موسى قائلاً ( كلم بنى إسرائيل قائلاً : كل شحم ثور أو  
كباش أو ماعز لا تأكلوه وأما شحم الميتة وشحم المفترسة فيستعمل لكل عمل لكن  
أكله لا تأكلوه )٦ رأينا كيف صدق الحق جل وعلا حين قال : "وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ  
ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا  
اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ " الانعام ١٤٦

١ خروج ١٢/٢٤

٢ تثنية ٤٤/٤

٣ خروج ١٥/٣٢

٤ خروج ١٩/٣٢

٥ خروج ١/٣٤

٦ لاوين ٢٢/٧

٢- ويقول العهد القديم أيضا عن الشرائع ، ( وإن حصلت أذية تعطى نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويذا بيد ورجلا برجل وكيا بكى وجرحا بجرح ) ١ وهنا أيضا نرى صدق القرآن الكريم حين قال جل وعلا : ( وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا ) المائدة ٤٥

٣- ( لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل انسان بخطيئة يقتل ) ٢ والقرآن الكريم يؤكد ذلك المعنى بمعنى أكثر وضوحا في قوله جل وعلا ( ولا تزر وازرة وزر أخرى )

٤- ( لا يقوم شاهد واحد على إنسان فى ذنب ما أو خطيئة ما من جميع الخطايا التى يخطئ بها على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر ) ٣ وفى هذا المعنى يقول القرآن الكريم ( وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ) البقرة ٢٨٢ .

٥- ( اسمع يا إسرائيل : الرب الهنا رب واحد . فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ) ٤ وهذا النص من العهد القديم يؤكد القرآن الكريم فى قوله جل وعلا ( وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ) بل هذه الآية هي أصل العقيدة والإيمان بها يصح الإنسان مؤمنا ويدونها يصح الإنسان كافرا .

- ( أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب الهك لى تطول أيامك ولكى يكون لك خير على الأرض التى يعطيك الرب الهك ) ٥.....

وهذا النص أيضا من الأسس الأولى التى نادى بها الإسلام فقال تعالى فى القرآن الكريم ( وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا \* إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ) الإسراء ٢٣-٢٤ ...

<sup>١</sup> خروج ٢٣/٢٠.....  
<sup>٢</sup> تثنيه ١٦/٢٤  
<sup>٣</sup> تثنيه ١٥/١٩  
<sup>٤</sup> تثنيه ٤/٦  
<sup>٥</sup> تثنيه ١٦/٥

وقوله تعالى ( حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ تَتَّقِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ الْأَحْقَافَ ١٥-١٦ ....

وكثير من هذه النصوص والشرائع التي يوافقها العقل والمنطق ويوافق عليها القرآن الكريم إلا أن العهد القديم يذكر الكثير من النصوص والشرائع التي ربما كانت صالحة لزمانهم ولكن حين جاء القرآن الكريم أكد على ما هو صالح وغير ما افسدوه فجعله صالحا ومنها:

١- وكلم الرب موسى قائلاً ( كلم بنى اسرائيل قائلاً . إذا جبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسه سبعة أيام كما فى أيام طمث علتما تكون نجسه وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته ثم يقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهر كل شئ مقدس لا تمس و إلى المقدس لا تجى حتى تكتمل أيام تطهيرها وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها ثم يقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها )<sup>١</sup>

أرأيت كيف ينظرون إلى المرأة ففي أيام طمثها عدوها نجسة لا تمس شيئا والعجيب أنهم احتقروا المرأة حتى وهى طفلة فيقولون إذا ولدت أنثى تزيد فترة نجاستها من ثلاثة وثلاثين يوما إلى ستة وستين يوما بسبب الأنثى التى ولدتها ثم هم الآن يزعمون أن الإسلام هو الذى أهان المرأة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢- والأعجب من ذلك فيذكرون نسا غريبا كشرية لهم حتى تطهر من طمثها ( ومتى كملت أيام تطهرها لآجل ابن أو ابنة تأتي بخروف حولي محرقة . فرخ حمامة أو يمامة ذبيحة إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن . فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها فذه شريعة التى تلد ذكرا أو أنثى )<sup>٢</sup> ... كأنهم يعتبرون المرأة بلغت من النجاسة قدرا يحتاج إلى تكفير . ثم لماذا فتذهب إلى الكاهن فما علاقة الكاهن بالطهارة!؟

٣- يذكر العهد القديم نسا في منتهى الغرابة والعجيب أنهم يعتبرونه نسا مقدسا لأنهم يزعمون أن هذا النص ذكر فى الوصايا العشر وهو ( وجمع موسى كل جماعة بنى اسرائيل

<sup>١</sup> لاوين ١٢/٤.

<sup>٢</sup> لاوين ١٢/٦.

**وقال لهم هذه الكلمات التي أمر الرب أن تصنع : ستة أيام يعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب كل من يعمل فيه عملاً يقتل لاتشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت ١)**

في هذا النص يزعمون أن الرب جل وعلا أنما أمرهم بتقديس يوم السبت لأنه اليوم الذي استراح فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله فيقولون " فأكملت السماوات والأرض وكل جندها وفرع الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدمه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمله الله خالقاً ٣..

ويوضحون ذلك في أكثر من موضوع فيقولون ( لأنه في ستة أيام صنع الله السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدمه ٣) لا حول ولا قوة إلا بالله وهل الله جل وعلا في حاجة للراحة بعد العناء والخلق سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ولكنها عقول ونفوس بنى إسرائيل المريضة .

والحمد لله الذي حفظ القرآن الكريم وقال فيه جل وعلا (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) ق ٣٨ فإن ما يقولونه في العهد القديم عن يوم السبت لا يقبله عقل ولا منطق والعجيب أنهم لو أرادوا الراحة وجعلوه من عند أنفسهم لأتمسنا لهم العذر ولكن أن يجعلوه نصاً وشريعة هذا لا يجوز بأى حال من الأحوال وعلى سبيل المثال عندنا يوم الجمعة يوم مبارك كريم قال عنه الحق سبحانه وتعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تُوذِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

إذن المسلمون في عمل وبيع وشراء إلى وقت الصلاة ولما ينه الحق جل وعلا عن العمل في هذا اليوم ولكن أمرهم بالسعي إلى ذكر الله وإقامة الصلاة في المساجد ثم أمرهم بعد الصلاة أن

<sup>١</sup> خروج ٣١/٣٥

<sup>٢</sup> تكوين ٢٠/٢

<sup>٣</sup> خروج ١١/٢٠

ينتشروا في الأرض ويعملو فيها فيقول (جل وعلا) (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ  
وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ تَجْمَعُهُ ١٠

٤- يذكر بنى إسرائيل شيئاً عجيباً آخر فيقولون ( هذه هي الشريعة إذا مات إنسان فى  
خيمة فكل من دخل الخيمة و كل من فى الخيمة يكون نجسا سبعة أيام وكل إناء  
مفتوم ليس عليه سداد يغطي به فإنه نجس .)

أرأيت أنهم لم يحتقروا المرأة فحسب بل إن الإنسان إذا مات أصبح مهانا ونجسا وكل  
من مسه أو دخل المكان الذي مات فيه ينجس سبعة أيام ولا حول ولا قوة إلا بالله أين  
هذا الكلام الغريب الغث من قول الحق جل وعلا فى القرآن الكريم " ولقد كرمنا بنى  
آدم وهملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا "  
فله الحمد الذي منّ علينا بكرمه وأنزل علينا خير رسله ونحمده أن حفظ القرآن الكريم  
بعظمته ليصح فيه ما أفسده السابقون. وكثير من هذه الشرائع الباطلة الفاسدة التي لا  
يتسع المجال لذكرها الآن ولكن سنذكرها فى حينها إن شاء الله .

ولكن نؤمن بأن الشرائع حين نزلت على سيدنا موسى كانت شرائع سليمة يقبلها العقل  
والمنطق لأنها من عند الله العزيز الحميد ولكن يبدو أن ما ذكر فى العهد القديم من شرائع  
باطلة هو من عند أبناء القردة والخنازير بدليل أننا رأينا نصوصا وشرائع لا يقبلها العقل  
والمنطق .

: فقالوا " وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى حامل تابوت عهد الرب  
وأمرهم موسى قائلاً فى نهاية السبع سنين تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل فى  
مسامعهم" ١

إلا أن الرب جل وعلا أخبر موسى عليه السلام بما سيحدث من بنى إسرائيل من تمرد يجلب  
عليهم غضب الرب وانتقامه ( ها أنت تترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء  
آلهة الأجنبيين فى الأرض التي هو داخل إليها فى ما بينهم ويتركني وينكث عهدي  
الذي قطعته معه فيشتعل غضبى عليه فى ذلك اليوم واتركه واجب وجهي عنه

<sup>١</sup> تثنيه ٩/٣١

فيكون مأكله وتصيبه شرور كثيرة وشدائد حتى يقول في ذلك اليوم إما لأن الهي ليس في وسطي اصابتني هذه الشرور ) ١

ولذا حذر موسى عليه السلام قومه قائلاً ( لأنني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبه هو ذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى ) ٢

وجمع شيوخ الأسباط من بنى إسرائيل لكي يشهدهم على ما قد يحدث منهم فقال (لأنني عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام لأنكم تعملون الشر إمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم ) ٣ وأوصاهم سيدنا موسى عليه السلام أن يعملوا بالتوراة فقال ( وجهوا قلوبكم الى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا بها أولادكم ليجرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة لأنها ليست أمراً باطلا عليكم بل هي حياتكم ) ٤

ثم تذكر التوراة بعد ذلك أن موسى عليه السلام صعد إلى الجبل ومات هناك ودفن وأكد بنوا إسرائيل أنه لم يرقم فيهم نبي مثله ( وصعد موسى من عربات مؤاب إلى الجبل الذي قبالة اريحا . فمات هناك موسى عبد الرب في ارض مؤاب حسب قول الرب ودفن في الجواء في ارض مؤاب.. ولم يرقم بعد في بنى إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه ) ٥ وكان عمر سيدنا موسى حينئذ مائة وعشرون عاماً وكان هذا في عام ١٤٠٦ ق.م

١ تثنيه ١٦/٣١

٢ تثنيه ٢٧/٣١

٣ تثنيه ٢٩/٣١

٤ تثنيه ٤٦/٣٢

٥ تثنيه ١٠، ٥، ١٠/٣٤

## الباب الرابع

بنوا إسرائيل من بعد موسى عليه السلام إلى نبي الله عيسى عليه السلام

### أولاً : بنوا إسرائيل من بعد موسى عليه السلام

لقد تبدل الحال بيني إسرائيل بعد رحيل موسى عليه السلام ، فبعدهما كانوا أعززة بنبيهم موسى عليه السلام وأفضل عالمي زمانهم وكان وجود نبي الله موسى عليه السلام بين ظهرانيهم رحمةً ووقاية لهم من الدمار رغم ما فعلوه وما قاموا به من عصيان وتمرد .

فمن ينقذهم من بأس الله إن ضلوا عن سواء السبيل فلم يتمسكوا بالتوراة بل وارتكب الكهنة من الموبقات ما لم يخطر لأحد على بال مما تسبب في ضياع التوراة أكثر من مرة فقالوا ( وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب اله آبائهم الذي أخرجهم من ارض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بأيدي عدوهم حولهم ولم يقدرُوا بعد على الوقوف إمام أعدائهم )<sup>١</sup>

ومن ثم ضاعت التوراة التي في التابوت مع ضياعهم وهزيمتهم فقالوا ( فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وكانت الضربة عظيمة جداً وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل واخذ تابوت الله )<sup>٢</sup> فيا ترى ماذا فعل الأعداء بالتابوت فهل أبقوا عليه بما فيه أم ماذا ؟ وأراد الحق جل وعلا أن يأخذ بيد بني إسرائيل فأرسل إليهم نبيه داوود عليه السلام ( وجاء جميع أسباط بني إسرائيل إلى داوود وتكلموا قائلين هو ذا عظمك ولحمك نحن ومنذ أمس وما قبله حين كان شاؤل ملكاً عليه قد كنت تخرج وتدخل إسرائيل وقد قال لك الرب أنت ترعى شعب إسرائيل وأنت تكون رئيساً على إسرائيل)<sup>٣</sup>

ومن ثم أصبح داوود عليه السلام ملكاً على إسرائيل ونبياً كريماً وعاشت إسرائيل في عهده أزهى عصورها فأسس مملكته عام ١٠٩٥ ق.م وأول ما قام به هو فتح أورشليم (وعلم

<sup>١</sup> قضاة ١١/٢

<sup>٢</sup> صموئيل الأول ٤/١٠

<sup>٣</sup> صموئيل الثاني ٥/١، ٣



داوود أن الرب قد أثبتته ملكاً على إسرائيل وأنه قد رفع ملكه من أجل شعبه إسرائيل ( ١ ثم قالوا ) فقال الرب لداوود اصعد لأنني دفعاً أدفع الفلسطينيين ليدك ) ٢

### ثانياً : داود عليه السلام والتابوت

وعن التابوت قالوا إن داوود عليه السلام بعد ما فتح أورشليم ( وقام داوود وذهب هو وجميع الشعب الذين معه ليصعدوا من هناك تابوت الله الذي يدعى عليه بالاسم اسم رب الجنود الجالس على الكرويم فاركب تابوت الله على عجلة جديدة ) ٣

إلا أنهم يذكرون شيئاً عجيباً إلا وهو أن الرب غضب على أحد بني إسرائيل حين مد يده ليلبس التابوت فمات فيقولون ( مد عزة يدة إلى تابوت الله وامسكه لأن الثيران انشمطت فحمى غضب الرب على عزة وضربه الله هناك فمات هناك لدى تابوت الله ) ٤ فإن كان الأمر كذلك فلما لم يقتل الرب الفلسطينيين حين اخذوا التابوت ؟

والأعجب من ذلك أنهم يذكرون أن داوود عليه السلام رفض أن يدخل التابوت مدينته فجره في أحد البيوت أولاً ( فأغتاز داوود لأن الرب أقحم عزة إقحاماً.....وخاف داوود من الرب في ذلك اليوم وقال كيف يأتي إلى تابوت الرب ولم يشأ داوود أن ينقل تابوت الرب إليه إلى مدينة داوود فأمر به داوود إلى بيت عوبيد أدوم الحثي ) ٥

ثم يقولون حين علم داوود بأن عبيد لم يصبه شيئاً اخرج التابوت ليدخله المدينة ومن شدة فرحة رقص أمامه مما جعل إحدى النساء هاجته ( فأخبر الملك داوود وقيل له قد بارك الرب بيت عوبيد أدوم وكل ما له بسبب تابوت الله فذهب داوود واصعد تابوت الله من بيت عوبيد أدوم إلى مدينة داوود بفرح . وكان داوود يرقص بكل قوته أمام الرب أشرفت ميكال بنت شاول من الكوة ورأت الملك داوود يرقص أمام الرب فاحتقرته في قلبها ) ٦

<sup>١</sup> صموئيل الثاني ١٢/٥

<sup>٢</sup> صموئيل الثاني ١٩/٥

<sup>٣</sup> صموئيل الثاني ٣/٢/٦

<sup>٤</sup> صموئيل الثاني ٧/٦/٦

<sup>٥</sup> صموئيل الثاني ٩/٨/٦

<sup>٦</sup> صموئيل الثاني ١٢/٦ ، ١٤ ، ١٦

فيقولون ( فخرجت ميكال لاستقبال داوود وقالت ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف اليوم في أعين إماء عبده كما يتكشف احد السفهاء )<sup>١</sup> ويزعم بنو إسرائيل أن الرب جل وعلا طلب مطلباً غريباً وهو ( حاشاه ) لم يسترح منذ اصعد بنو إسرائيل من مصر فكان يسير أمامهم إما في سحاب وإما في عمود نار وأخيراً في خيمة فطلب أن يبني له بيت ليستقر فيه . فقالوا ( وفي تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلاً اذهب وقل لعبدي داوود "أأنت تبني لي بيتاً لسكنائي لأنني لم اسكن في بيت منذ يوم أصدت بنو إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت اسبر في خيمة وفي مسكن....ولكن رحمتي لا تنزع منه كما نزعته من شاول الذي أنزلته من أمامك وبأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك )<sup>٢</sup>

إلا أن كنية الأسفار زعموا أن داوود عليه السلام اشترط على الرب أولاً ( والآن أيها الرب الإله أقم إلى الأبد الكلام الذي تكلمت به عن عبدك وعن بيته وأفعل كما نطقت وليعظم اسمك إلى الأبد )<sup>٣</sup> ولم يكتفوا بذلك بل ذكروا أن داوود عليه السلام ( كان في وقت المساء قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل إليها فأخبروه أنها بثشبع بنت اليعام امرأة اوريا الحثي )<sup>٤</sup>

ثم جرى بها إليه فذكروا أنه ضاجعها ( فأرسلت وأخبرت داوود وقالت انى جيلى ) فأصبح داوود ( حاشاه ) في ورطة مما جعله يستدعى زوجها ( وقال داوود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك فاخبر داوود قائلاً انه لم ينزل إلى بيته فقال له داوود أما جئت من السفر فلما لم تنزل إلى بيتك فقال أوريا لداوود ان التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي بواب وعبيد سيدي نازلون على وجة الصحراء وانا اتى إلى بيتي لأكل واشرب واضطجع مع مراتى وحياتك وحيياة نفسك لأفعل هذا الأمر وفي الصباح كتب داوود مكتوباً إلى بواب وارسله إلى بيد أوريا وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجة الحرب الشديدة وارجعوا من ورائة فيضرب ويموت .....فسقط بعض الشعب من عبيد داوود ومات أوريا الحثي أيضا )<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> صمويل الثاني ٢٠/٦

<sup>٢</sup> صمويل الثاني ١٧/٢

<sup>٣</sup> صمويل الثاني ٢٥/٧

<sup>٤</sup> صمويل الثاني ١١/٢

<sup>٥</sup> صمويل الثاني ١١، ٥...٢٤

نحن نبرأ إلى الله مما ذكره بنو إسرائيل في حق الأنبياء ولكن نذكر ما ذكره في كتبهم  
لنعلم ( فأي الفريقين أحق بالأمن )

ونعود إلى التابوت فذكروا أن ابشالوم قام بمؤامرة على داوود عليه السلام مما دفعة للهروب  
( فقال داوود لجميع عبدة الذين معه في اورشليم قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا  
نجاة من وجه ابشالوم ) فهربوا جميعاً ومعهم الكهنة المكلفون بحماية التابوت . ( وإذ بصادوق أيضاً  
وجميع اللاويين معه يحملون تابوت عهد الله فوضعوا تابوت عهد الله ... فقال الملك  
ارجعوا تابوت الله الى المدينة .. فأرجع صادوق وايماثار تابوت الله الى اورشليم )<sup>١</sup>

فلما لم يضعوا التابوت في وجه العدو ليهلكه كما ذكروا من قبل ؟ أم أنهم لم يتمسكوا بما  
فيه من توراة أو أن التوراة ليست فية فضاعت بركنة؟؟

ثم يذكر العهد القديم أن داوود عليه السلام لحظة إنتقاله إلى جوار ربة نادى ابنه سليمان  
قائلا له ( أنا ذاهب في طريق الأرض كلها فتشدد وكن رجلا احفظ شعائر الرب الهك إذ  
تسير في طريقة وتحفظ فرائضة ووصاياة واحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في  
شريعة موسى لكي تفلم في كل ما تفعل وحيثما توجهت )<sup>٢</sup> .

### ثالثا : التابوت ونبي الله سليمان عليه السلام

يذكر العهد القديم أن نبي الله سليمان أصبح ملكاً ونبياً كريماً بعد أبيه في عام ١٠٥٥ ق.م.  
وبعد الوصية السابقة كان ينبغي أن يذكروا أن نبي الله سليمان سار على فمخ أبيه وهذا ما  
ذكره القرآن الكريم حين قال جل وعلا ( وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ) النمل ١٥ .

ولقد كان نبي الله سليمان عليه السلام من الأنبياء العظماء حتى قال عنه الحق سبحانه (   
وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) ص ٣٠ . إلا أن بنى إسرائيل صوروا سيدنا  
سليمان بصور لا يقبلها عقل ولا منطق فقسّموا حياته جزأين في بدايتها ذكروا تمسكه  
بالعهد والشريعة وفي آخرها ضل عن سواء السبيل (حاشاة )

<sup>١</sup> صموئيل الثاني ١٥/١٤..٢٩  
<sup>٢</sup> ملوك اول ٢/٣، ٣

قالوا ( وأحب سليمان الرب سائراً في فرائض داوود أبيه ) ثم يذكرون ان سليمان عليه السلام طلب من ربه جل وعلا أن يعطيه الحكمة قائلاً ( فأعطى عبدك قلباً فهِيماً لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا )<sup>١</sup> وذكروا أن الرب جل وعلا استجاب لطلبه فقالوا ( فحسن الكلام في عيني الرب لأن سليمان سأل هذا الأمر ... هو ذا قد فعلت حسب كلامك هو ذا قد أعطيتك قلباً حكيماً مميّزاً حتى انه لم يكن مثلك قبلك ولا يقم بعدك نظيرك وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله غنا وكرامه حتى انه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل أيامك )<sup>٢</sup>

إلا أن القرآن الكريم في هذا الخصوص بين أن سليمان عليه السلام هو الذي ( قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ) ص ٣٥ . وقد كان ، فأعطاه الله ملكاً لن يملكه أحد من العالمين إلى يوم القيامة لا في زمانه فحسب كما يزعمون .

أما عن التابوت فذكروا أن سليمان عليه السلام أراد أن يبني بيتاً للرب لان أباه لم ينفذ وصية الرب فقال ( أنت تعلم داوود أبي انه لم يستطع أن يبني بيتنا باسم الرب الهه بسبب الحروب التي احاطت به .....وها انا ذا قابل على بناء بيت لاسم الرب الهى ....فبنى سليمان البيت واكمله وهيا محراب فى وسط البيت من الداخل ليضع هناك تابوت عهد الرب )<sup>٣</sup>

ويذكرون أن سليمان عليه السلام ( جمع شيوخ اسرائيل وكل رؤوس الاسباط رؤساء الاء من بنى اسرائيل فى اورشليم لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داوود ....وحمل الكهنة التابوت واصعدوا تابوت الرب وخيمة الاجتماع ...وادخل الكهنة تابوت عهد الرب الى مكانة فى محراب البيت فى القدس )<sup>٤</sup>

\*ولكن ياترى ماذا بداخل التابوت الذى انتقل عشرات المرات من الفلسطينيين إلى داوود عليه السلام ثم من اورشليم إلى سليمان عليه السلام إلى قدس الأقداس؟؟؟

<sup>١</sup> ملوك اول ٣/٣...٩

<sup>٢</sup> ملوك اول ٣/٨، ١١

<sup>٣</sup> ملوك اول ٥-٣/٦، ١٤، ١٩

<sup>٤</sup> ملوك أول ٨/١، ٤، ٦

أذكرك عزيزى القارئ بأنهم قالوا ( وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب )<sup>١</sup> أما الآن ومع سليمان عليه السلام فأصر الكهنة والحاضرون على فتح التابوت لمعرفة ما بداخلة فقالوا ( لم يكن فى التابوت الا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك )<sup>٢</sup>

### فأين التوراة إذن؟؟

يذكرون أن الرب جل وعلا تجلى لسليمان عليه السلام وأوصاه بوصايا حكيمة إلا أنهم بعد هذه التجليات خاضوا فى عرض سليمان وذكروا أنه لم يلتزم بما أوصاه به الرب ( ان الرب نرأى لسليمان ثانية كما نرأى له ....وقال له الرب وانت ان سلكت امامى كما سلك داوود ابوك بسلامة قلب واستقامة وعملت حسب كل ما اوصيتك وحفظت فرائضى واحكامى اقيم كرسي ملكك على اسرائيل الى الابد....ان كنتم تقبلون انتم وابنائكم من ورائى ولا تحفظون وصاياي وفرائضى التى جعلتها امامكم بل تسجدون وتعبدون الهة اخرى وتسجدون لها فإنى اقطع اسرائيل عن وجه الارض )<sup>٣</sup>

ألا ينبغى بعد هذا التحذير الشديد أن يتمسك سليمان عليه السلام وشعبه بأوامر الرب جل وعلا؟؟

نحن المسلمين نؤمن بأن نبى الله سليمان عليه السلام تمسك بكل ما أمره به الله عز وجل الا أنهم قالوا ( واحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤبيات وعمونيات وصيدونيات وادوميات وحيثيات من الامم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آهنتهم...فأما لت نساؤه قلبه وكان فى زمان شيخوخة سليمان ان نساؤه أملن قلبه وراء آهنة اخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه كقلب داوود ابيه...وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداوود ابيه )<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> تثنيه ٩/٣١

<sup>٢</sup> ملوك اول ٩/٨

<sup>٣</sup> ملوك اول ٧، ٤/٩

<sup>٤</sup> ملوك اول ١١/١، ٤، ٦

فرعموا " قاتلهم الله " أن الله سبحانه وتعالى غضب على سليمان عليه السلام (فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب اله اسرائيل الذي ترأى له مرتين )<sup>١</sup> ثم زعموا أن هذا الغضب جلب على سليمان عليه السلام أن مزقت مملكته بعده ولم يكن لها بقاء.

( فقال الرب لسليمان من اجل ان ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضى التى اوصيتك بها فإنى امزق المملكة عنك تمزيقاً )<sup>٢</sup> فهولاء هم بنو اسرائيل كالجار السوء إن وجد حسنة أخفاها وإن وجد سيئة أفشاها ؛ وهم كما يقول القائل " ضربنى وبكى وسبقنى واشتكى " فهل يعقل أن نبى الله سليمان عليه السلام هو الذى جلب عليهم الشر والهلاك؟؟ أم أنهم هم المفسدون وجلبوا على أنفسهم ما يستحقون ..فهم يذكرون بقول القائل : ( جنت على نفسها براكش ) فهم بهذا أسوأ لأنبيائهم ولم يحفظوا عهد الله جل وعلا وباتوا بخسران ممين ؛ أما الأنبياء فقد أنزل الحق جل وعلا القرآن الكريم وصحح فيه ما افسده بنوا إسرائيل وطهر الأنبياء مما يقوله ابناء القردة والخنازير وصدق الحق حين قال ( قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ) النمل ٥٩

### رابعاً : بنو اسرائيل بعد سليمان عليه السلام

وبعد سليمان عليه السلام تولى ابنه رحبعام وانقسمت المملكة في عهده إلى قسمين :-

مملكة اسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة

مملكة يهوذا فى الجنوب وعاصمتها اورشليم

ويم أن بنى إسرائيل لم يحفظوا عهد الرب ولا وصاياهم فتحاهم الرب عن وجه الأرض ( وكان أن بنى إسرائيل اخطأوا الى الرب الهمم ...وعمل بنو اسرائيل سراً ضد الرب الهمم امور ليست بمستقيمة .....وعملوا اموراً قبيحة لا غاظة الرب وعبدوا الاصنام التى قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر ...واشهد الرب على اسرائيل وعلى يهوذا عن يدي جميع الأنبياء وكل راء قائل ارجعوا عن طرقكم الرزيلة واحفظوا وصاياي وفرائضى حسب كل

<sup>١</sup> ملوك اول ٩/١١

<sup>٢</sup> ملوك اول ١١/١١

**الشريعة التي اوصيت بها اباؤكم والتي ارسلتها اليكم عن يدي عبدي الانبياء فلم يسمعو بل صلوا اقفيتهم كأقفية اباؤهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم ورفضوا فرائضه وعهدة الذي قطعة مع اباؤهم) ١**

وهذا العناد والطغيان له ما بعده ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) فقالوا ( حتى نحى الرب إسرائيل من أمامهم ، فسبى إسرائيل من أرضه إلى آشور ... واتى ملك آشور بقوة من بابل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها) ٢ فأين الأحبار والكهنة بل وأين التوراة التي اخذ الحق جل وعلا وموسى عليه السلام العهد عليهم ان يعملوا بها؟؟

وصدق الحق حين قال (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ) المائدة ٦٣

ومن الأنبياء الذين ظهروا في هذه الفترة وبدلوا جهودا للأخذ بأيدي بني إسرائيل من مستنقع الرذيلة والمعصية هو نبي الله اشعيا الذي حاول أن يخرج قومه من الظلمات إلى النور ولكن بني إسرائيل فضلوا الظلمات على النور حتى وصفهم بأنهم أجهل من الدواب فقال "الثور يعرف قانية والحمار معلق صاحبه إما إسرائيل فلا يعرف شعبي لا يفهم وبيل للامه الخاطئه الشعب الثقيل الأثم نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين تركوا الرب.) ٣

وفي هذا يقول صاحب قصة الحضارة :-

(أصبح اليهود كغيرهم من الشعوب فقد كانوا يخافون شياطين الهواء ويعبدون الصخور والماشية والضان ولم يتخلوا قط عن عبادة العجل وكان اليهود يعبدون الأفعى النحاسية إلى أيام حزقيا ) وفي هذا يذكر العهد القديم

(عمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داود أبوه هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها وكانوا يعظمون بعلي الذي يرمز إليه حجارة مخروطية لأنه كان كثير الشبه بالنجا إله المندوس).

<sup>١</sup> ملوك ثاني ١٧/١١، ١٥

<sup>٢</sup> ملوك ثاني ١٧/٢٣، ٢٤

١٣ اشعيا ١/١

فما استوجب عليهم الضياع إلى الأبد ( وصعد سلمنا سر ملك أشور على السامرة وحاصرها وأخذوها في نهاية ثلاث سنين...أخذت السامرة وسبي ملك أشور إسرائيل إلي أشور..لأنهم لم يسمعوا لصوت الرب إلههم بل تجاوزوا عهده وكل ما أمر به موسى عبد الرب فلم يسمعوا ولم يعملوا ) فأين كانت التوراة ؟ وبعد ما ضيعوا الأمانة ولم يحفظوا فرائض الرب جل وعلا . سلط الحق سبحانه وتعالى عليهم أعداءهم .

أما مملكة يهوذا فتعرضت إلى غزوات عديدة : - ١- تحداها الأشوريون عام ٦٧٧ ق.م وتغلبوا عليها وأسروا ملكها منسي فقالوا ( أضلهم منسي ليعملوا ما هو أقرب من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل ) ١ وتكلم الرب عن يد عبده الأنبياء إنه من أجل منسي ملك اليهود قد عمل هذه الأراجاس .... قال الرب اله إسرائيل هاأنذا جالب شرا علي أورشليم ويهوذا حتى أنه كل من يسمع به أذناه ٢ فقتل منسي و خلقه ابنه ولم يكن أحسن حظا من والده فقد فعل ما هو أقرب منه حتى قتل وتولي ابنه يوشيا .

### خامسا: يوشيا والتابوت

وظل الأمر كذلك من تخلف بني إسرائيل وعبادتهم للأصنام حتى ملكهم يوشيا وفي بداية عهده لاحظ الكهنة انه إذا ظل بني إسرائيل في هذا الضلال وكل على شاكلته يعبد ما يراه فقد يذهب هذا الشعب في اختلاطه الشعوب الأخرى في المأكل والمشرب والزواج وهذا الإندماج قد يؤدي بهم إلى النهاية ومن ثم رأوا أنه لا مخرج من هذا إلا تجميع بني إسرائيل والتجديد عليهم فلم يروا إلا الدين ليدخلوا من خلاله .

( فلقد كان الدين عند اليهود مصدر شريعتهم ودولتهم وأمالهم وكانوا يظنون أنهم إذا رضوا أن يذوب هذا الدين في غيرهم من الشعوب كان هذا بمثابة انتحار لقوميتهم ومن ثم نشأت تلك البغضاء بين اليهود وغير اليهود التي جعلت تلك الأمة الصغيرة تقضي حياتها كلها في نزاع عنصري واضطراب سياسي وحروب متصلة) ٣

١ ملوك ٢. ٣١. ٩.

٢ ملوك ٢١/٢. ٩. ١٢.

٣ أول ديورانت ، قصة الحضارة ، مج ٦ ، ف ٤ ، ص ٨١.



( وكان الدين قائماً من خلال الكهنة وما قاموا به من شرح وتفسير مختلف القوانين اليهودية المنقولة بطريق السماء ويضيفون إليها قصصاً وعظات من عند أنفسهم وبقيت هذه التفسيرات يتناقلها العلماء الحفاظ المحترفون جيلاً بعد جيل فكانوا هم النصوص الحية لشريعة موسى عليه السلام )<sup>١</sup>

فبعد الشرور التي حلت ببني إسرائيل وضياع السامرة ثم الشرور التي حلت بأورشليم شعر الكهنة أن الشريعة أصبحت هي الرابطة القوية التي لا غنى عنها لتؤلف بين اليهود المشتتين الذين لا تؤلف بهم دولة حينئذ . واخذ الكهنة يتساءلون ألم يأن لهم أن يقفوا وقفة واحدة قوية يمنعون بها تدهور العقيدة القومية .

ثم رأى الكهنة أن الأنبياء يعززون إلي يهوه ما يدور في صدورهم من عواطف يؤمنون بها ويعتقدونها فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه في صورة سنن إلهية تبعث على النشاط والقوة في حياة الأمة الخلقية ويضمنون بها معونة الأنبياء وذلك بما تضمنه من أراهم القليلة التطرف .

وسرعان ما ضموا إلي جانبهم الملك يوشيا فلما كانت السنة الثامنة عشر من حكمه أبلغ الكاهن حلقياً الملك أنه وجد في سجلات الهيكل ملفاً عجيباً قضي فيه موسى بنفسه جميع المشكلات التاريخية والخلقية التي كانت مثار الجدل العنيف بين الأنبياء والكهنة ( فقال حلقياً الكاهن العظيم لشافان الكاتب :- قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقياً السفر لشافان فقرأه ) ....

فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه ..... وأمرهم أن يذهبوا إلي (خلدة النبيه) ليسألوها عن مدي صحة هذه الشريعة فذهب حلقياً الكاهن واصفان وذكور وشافان وعسابا إلي خلدة النبيه )<sup>٢</sup> فطمأن الرسل والملك بأن هذا السفر حقيقي ومن ثم ( صعد الملك إلي بيت الرب وجميع رجال يهوذا وكل سكان أورشليم معه والكهنة والأنبياء وكل الشعب من الصغير إلي الكبير وقرأ في آذانهم كل كلام سفر الشريعة الذي وجد في بيت الرب وقطع عهداً أمام الرب للذهاب وراء الرب ويحفظ وصاياه وشهاداته

<sup>١</sup> المرجع السابق

<sup>٢</sup> ملوك ٢/٢٢/٨، ١١، ١٤

**وفرائضة بكل القلب وكل النفس لإقامة كلام هذا العهد المكتوب في هذا السفر )<sup>١</sup>**  
 ولذلك اثنوا على يوشيا فقالوا "ولم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلي الرب بكل قلبه وكل  
 نفسه وكل قوته حسب كل شيء بعد موسى وبعده لم يقم مثله"<sup>٢</sup> فهذا الشاء على  
 يوشيا يجعلنا نشعر بريبه فهل يوشيا أفضل من سليمان عليه السلام وأبيه داوود عليه السلام.

أما لأنه نفذ ما خططه الكهنة وما أرادوه ومن ثم اثنوا عليه كل هذا الشاء ودليل ذلك أن  
 بني إسرائيل ومعهم يوشيا لم يلتزموا بسفر الشريعة الذي زعموا أنهم عثروا عليه لأهم  
 أعلم الناس بحقيقته لأن العهد القديم ذكر بعد ذلك ( أن الرب لم يرجع عن حمو غضبه ودمر  
 أورشليم واحتلت يوشيا "ولكن الرب لم يرجع عن حمو غضبه فقال الرب إنه نزع  
 يهوذا أيضاً من أمامي كما نزع إسرائيل )<sup>٣</sup> فسلط الرب عليها (نخاو) فرعون مصر  
 وغلب جيش يهوذا وقتل الملك يوشيا عام ٦١٠ ق.م

أندري عزيزي القاري المدة التي بين موسى عليه السلام وشريعته التي عهد بها إلي بني لاوي  
 وبين الشريعة التي عُثر عليها في عهد يوشيا هي من ١٤٠٦ ق.م إلي ٦١٠ ق.م اي ما يقرب  
 من ثمانمائة عام وقد رأيت عزيزي القاري ما حدث لبني إسرائيل طوال هذه الفترة من  
 اضطراب وتشريد وقتل واحتلال .. الخ ثم يزعمون إنما هي نفس شريعة موسى عليه السلام .

وكانت الأسفار التي تليت على الشعب بأمر يوشيا هي التي صيغت منها القوانين الموسوية التي  
 قامت عليها الحياة اليهودية كلها فيما بعد وعنهما يقول رينان "قد صارت تلك الشريعة  
 أحسن رداء شد على جسم الحياة الإنسانية فقد جعلت الطعام والشراب والدواء والشئون  
 الصحية الفردية والشئون الصحية العامة وشئون الحيض والولادة والانحراف الجنسي كل  
 هذه جعلها من الفروض والهداية الإلهية"

<sup>١</sup> ملوك ٢/١٧/٢، ٣

<sup>٢</sup> ملوك ٢/٢٣/٢، ٢٥

<sup>٣</sup> ملوك ٢/٢٣/٢، ٢٥

## سادسا: - عزرا الكاهن وسفر الشريعة

بعد ما سبق من معاناة وتشريد لبني إسرائيل أراد الحق جل وعلا أن يمنحهم فرصة جديدة لعلهم يفيقون من غيهم تذكرونا بقول الحق جل وعلا على لسان نبيه موسى عليه السلام لبني إسرائيل (عسي ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفنكم في الأرض فينظر كيف تعملون) الأعراف ١٢٩ ومن هنا فتح الله جل وعلا لهم باباً جديداً لعلهم يرجعون إلي الصواب ومن باب (عفا الله عما سلف) ومع أن الله جل وعلا حذرهم قاتلاً (ومن عاد فينتقم الله منه) إلا إنهم أبوا إلا أن يعملوا الشر والفساد فماذا حدث؟

في عام ٥٣٦ ق.م من الحق جل وعلا على بني إسرائيل فأعادهم إلي أورشليم على يد كورش الفارسي وفي هذا يقول العهد القديم ( وهكذا قال كورش ملك فارس جميع ممالك الأرض دفعها إلي الرب إله السماء وهو أوصاني أن ابني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه ويصعد إلي أورشليم التي في يهوذا )<sup>١</sup> ثم يذكرون أنه "اجتمع الشعب كرجل واحد إلي أورشليم " ومن هؤلاء الكاهن عزرا الذي ذكر العهد القديم إن نسبه يرجع إلي سيدنا هارون عليه السلام ( عزرا بن سرايا بن عزرا بن حلقيا....بن فنحاص بن اليعازرا بن هارون الكاهن الرأس )<sup>٢</sup> ويذكر العهد القديم أن عزرا كان ماهراً في كتابة الشريعة أيام السبي في بابل .ونفهم من هذا انه لم يحافظ على سفر الشريعة التي تركها موسى عليه السلام فقالوا (عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاه الرب إله إسرائيل . وفي أول الشهر الخامس جاء إلي أورشليم حسب يد الله الصالحة عليه لأن عزرا هياً قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها )<sup>٣</sup>

إذن هو كتب وأضاف للشريعة ولم يبقى عليها كما هي . المهم أصدر الملك مرسوماً إلي عزرا الكاهن وأكد فيه أن عزرا كاتب للشريعة ولم يقلل المحافظ على الشريعة كما هي (من أرخصثنا ملك الملوك إلي عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء الكامل إلي آخره أما أنت يا عزرا فحسب حكمه إلهك التي بيدك ضع حكماً وقضاه يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر من جميع من يعرف شرائع إلهك والذين لا يعرفون فعلموهم وكل

<sup>١</sup> عزرا ١/٢، ٣

<sup>٢</sup> ملوك ١٧٢، ٥

<sup>٣</sup> عزرا ٧/٦، ٩، ١٠

## من لا يعمل شريعة إلهك وشريعة الملك فليقتض عليه عاجلاً أما بالموت أو بالنفي أو بغرامة المال أو بالحبس ١

أما عن الشريعة فيذكرون أن عزرا أتى بسفر الشريعة وما أشبه الليلة بالبارحة فبالأمس البعيد قام يوشيا عندما زعم الكاهن حلقيا أنه عشر على سفر الشريعة في الهيكل واليوم يزعم عزرا أن معه سفر الشريعة؟؟ كيف أتى بها ولم يذكر العهد القديم نبأ عن هذا السفر من أيام يوشيا من عام ٦٢٢ ق.م وحتى ٤٤٤ ق.م وهذه المدة تعرضوا فيها للدمار فمع من كان هذا السفر وقد حدث هذا بعد موسي عليه السلام بحوالي تسعمائة وستون عاماً تقريباً فقد قام نبوخذ نصر باحتلالها في عام ٦٠٦ ق.م ( وفي ذلك الزمان سعد عبيد نبوخذ نصر ملك بابل إلي اورشليم فدخلت المدينة تحت الحصار فقاومت المدينة فتغلب عليها حتى دفعت له الجزية )

فأعاد الكرة عليها عام ٥٩٩ ق.م. فسبى من شعبها عشرة آلاف أسير من أشهر أغنيائها وأشرفها وكنوز الهيكل ( وسبى كل اورشليم وكل الرؤسا وجميع جبابرة البأس ١٠ آلاف مسبى وجميع الصناء والأعيان لم يبقى أحداً إلا مساكين الأرض . وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم وكل بيوت الكهنة ولم ينجي أحد من النار وجميع أسوار اورشليم قد تم تدميرها ) ٢ في عام ٥٨٨ ق.م

إذن فأين التوراة وأين سفر الشريعة في ظل هذا التدمير الذي لم يبقى شيئاً ؟ أم أن عزرا كتبه وزعم أنه سفر الشريعة والعجيب أنهم يذكرون ( اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلي الساحة التي أمام باب الماء وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسي التي أمر بها الرب إسرائيل فأتى عزرا الكاهن بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء وكل قاهم ما سمع وقرأ فيها أمام الساحة التي أمام باب الماء من الصباح إلي نصف النهار ٣

وظننا أن الأمر إلي هذا الحد أي إنما قرأت في نصف يوم فكان هذا طبعي لأن السفر في أيام يوشيا قُرى مرتين كاملتين في يوم واحد ولكن سفر الشريعة الذي أتى به عزرا قالوا إنه قرأ فيها من الصباح إلي نصف النهار ولم يقولوا قرأها من الصباح إلي نصف النهار وإذا بها

١ عزرا ٧/١٢، ٢٥

٢ ارميا ٢٢/١٣

٣ نحما ٨/١

أكبر من ذلك بكثير بدليل أنهم أكدوا على ذلك فيما بعد فيقول العهد القديم "وكان يقرأ في سفر شريعة الله يوماً بيوماً فيقرأ من اليوم الأول إلى اليوم الآخر وعملوا عياداً سبعة أيام" ١ أذكرك عزيزي القارئ أنهم قالو من قبل أن يشوع بن نون كتب التوراة علي حجاره (وكتب هناك علي الحجارة نسخة توراة موسي التي كتبها أمام إسرائيل ٢) فهل ما كتب علي حجارة يقرأ في سبعة أيام؟

وحين فرغوا من قراءة سفر الشريعة بعد هذه الأيام المتوالية أقسم الكهنة والزعماء والشعب علي أن يضعوا هذه الشرائع موضع الجذ ويتخذونها دستوراً لهم إلي ابد الأبديين وعلي ما سبق يعلق صاحب قصة الحضارة قائلاً : **بالطبع لم يكن كتاب الكاهن عزرا هو بعينه كتاب العهد الذي قرأه الملك بوشيا من قبل علي الشعب مرتين كاملتين في يوم واحد علي حين أن قراءة كتاب عزرا استغرق سبعة أيام متوالية لينتهو منه " ولذا تري ماذا كان كتاب شريعة موسي الذي قرأه عزرا يقولون أن الكتاب كان من ضمن ما يحتوي الإسفار الخمسة التي يسميها اليهود (توراة) والتي تعني الهدي والإرشاد ويقول " كيف كتبت هذه الأسفار ومتي كتبت؟ وأين كتبت ثم يعلق صاحب قصة الحضارة علي هذه الأسئلة قائلاً :- هذا السؤال لا ضير منه إلا أنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد ٣.**

مما سبق يتضح لنا أن الكهنة بذلوا جهداً خارقاً للحفاظ علي الشعب وعلي الدين ولكنهم أضافوا إليها كثيراً والمشكلة أنهم نسبوا هذا السفر والدين لسيدنا موسي عليه السلام وإن كانت هناك بعض النصوص في الأسفار الخمسة الأولي بما شي من الحقيقة وهي بقايا توراة أصيلة إلا أن هناك العديد من النصوص الواضحة للعيان لا تخص سيدنا موسي عليه السلام بصلة ويؤكد ذلك أن العهد القديم الذي استغرقت كتابته ألف عام لا يمكن أن يكون جميعه من عند الله ولا من عند موسي عليه السلام وحتى نوضح ذلك نلقي نظرة سريعة علي بعض الأسفار في العهد القديم لتري هل هي من عند الله أم من عند الكهنة؟

<sup>١</sup> نحيا ١٨/٨

<sup>٢</sup> يشوع ٣٢/٨

<sup>٣</sup> ول ديورانت قصة الحضارة المجلد الأول الفصل السادس

## الباب الخامس

بنوا اسرائيل من زمن عيسى عليه السلام الى بعثة المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم

### أولاً : بنوا إسرائيل قبل نبى الله عيسى عليه السلام

وبعد عزرا أصبح اليهود تابعين للفرس إلى أن جاء الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م فكانوا تحت سيطرته إلى أن مات عام ٣٢٣ ق.م ثم أصبحوا تحت حكم البطالسة وحين حاول اليهود مقاومتهم دكوا أسوار القدس وأرسلوا مائة ألف أسير من اليهود إلى مصر عام ٣٢٠ ق.م

إلى أن تمكن السلوقيون من السيطرة على القدس فنهب أنطونيوس القدس والهيكل وهدم أسوار القدس وقتل من اليهود ثمانون ألف في ثلاثة أيام ثم ظهرت طائفة من اليهود تسمى (المكايون) وتمكنوا من الإستقلال بالقدس إلا أن هذه المدة لم تدم طويلاً بسبب الخلافات فيما بينهم مما جعل روما تدخل واحتلت القدس عام ٦٣ ق.م

وأرسلت روما يوليوس قيصر عام ٤٩ ق.م وعامل اليهود بالحسنى إلى عام ٣٧ ق.م حيث تولى أمرهم هيرودس وكان من أصل أدومي فأعتق اليهودية وكان حاقداً على المكايين الذين قتلوا أباه فحاربهم وقضى عليهم وحكم القدس مباشرة لحساب روما وفي زمنه ولد المسيح عليه السلام في بيت لحم وتوفي هيرودس عام ٤ م. ثم تعاقب على القدس ولاية رومانيون حتى جاء بيلاطس النبطي ما بين عامي ٢٦-٣٦ م

### وتفرقت اليهود إلى فرق عدة وكان أشهرها :

١- الفريسيون:

أي المتشددون ، ويسمون بالأحبار أو الربانيين هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون لكنهم يحافظون على مذهبهم عن طريق النبي ، يعتقدون بالبعث وبالملائكة وبالعلم الآخر .

٢- الصدوقيون:

وهي تسمية من الأضداد لأنهم مشهورون بالإنكار فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار وينكرون التلمود كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.

### ٣ - المتعصبون

فكرهم قريب من فكر الفريسيين لكنهم اتصفوا بعدم التسامح وبالعدوانية قاموا في مطلع القرن الميلادي الأول بثورة قاتلوا فيها الرومان وكذلك كل من يتعاون من اليهود مع هؤلاء الرومان فاطلق عليهم اسم السفاكين.

الكتبة او النساخ: عرفوا الشريعة من خلال عملهم في النسخ والكتابة فاتخذوا الوعظ وظيفه لهم يسمون بالحكماء وبالسادة وواحدهم لقبه (أب) وقد أثروا ثراء فاحشا على حساب مدارسهم ومريديهم.

### 4 - القراءون:

هم قلة من اليهود ظهروا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوى حرمتهم في شرح التوراة.

### ٥ - السامريون :

طائفة من المشهودين الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل كانوا يسكنون جبال بيت المقدس وحاليا يتمركزون بمدينة نابلس، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون دون نبوة من بعدهم، ظهر فيهم رجل يقال له الألفان ادعى النبوة وذلك قبل المسيح بمائة سنة وقد تفرقوا الى دوستانية وهم الالفانية والى كوستانية اي الجماعة المتصوفة وقبله السامرة الى جبل يقال له غرزيم بين بيت المقدس ونابلس ويتحدثون العبرية والعربية بطلاقة ..

## ثانيا : بعثة المسيح عليه السلام وبنوا إسرائيل

وفي عام ٣٣م أعلن المسيح عليه السلام انه رسول الله إليهم "وإذا قال عيسي بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة" الصف / ٦. ووضح ذلك في الإنجيل قائلا " لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل. ومن لحظتها و اليهود ناصبوه العداة ولأسباب في أنفسهم ومنها :-

١-الوحدانية :- لأنهم كانوا قد ضلوا الطريق وعبدوا العديد من الآلهة التي لها حق سبحانه وتعالى عن عبادتها ولذا دعاهم المسيح عليه السلام الى عبادة الله جل وعلا الإله الواحد الأحد

٢-الحبة:- فقد ناداهم المسيح عليه السلام بالحبة ليس فيما بينهم فحسب بل نصحهم أن يجيوا أعداءهم قائلاً "أحبوا أعدائكم أحسنوا إلي مبغضيتكم طلوا من أجل الذين يسيئون إليكم"<sup>١</sup> ولكن لم يقبل اليهود هذا النداء الجميل بالطبع فهم الذين امتلأت صدورهم غلاً وحسداً على البشرية.

٣-المساواة :- بين لهم المسيح عيسي عليه السلام أن البشر متساوون وانهم ينبغي على كل فرد أن يعمل لإرضاء ربه ولكنهم أبوا إلا أن يكونوا كما يكذبون على العالم بزعمهم أنهم شعب الله المختار . وما أدري ما هي علامة اختيارهم فلو كانوا أبناء الله وأحباءه كما زعموا فلما أوقعهم الله جل وعلا في الأسر أكثر من مرة وأذاقهم العذاب الأليم ولكنهم اليهود وكفي.

٤-السلام والأمان:- ودعاهم المسيح عليه السلام إلى نشر الأمان وكذلك الاستقرار مع أنفسهم و مع جيرانهم أيضاً ولكنهم أبوا إلا القتال والدمار الذي ما جر عليهم إلا الوبال والتشتت وهذا ما يستحقون.

٥-البشارة بالمعصوم محمد صلي الله عليه وسلم:- وأخبرهم المسيح عليه السلام كما حكي القرآن الكريم "ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"الصف/٦ وفي الأنجيل :-"وأما المعزي الروح القدس الذي يرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم"<sup>٢</sup>

وهنا جن جنونهم لأنهم كانوا يعيشون على أمل أن يأتيهم نبي غير عيسي عليه السلام نبي ليس بهذه الرحمة وإنما كانوا يريدونه جباراً سفاحاً سفاكاً للدماء ومن ثم رفضوا دعوته زاعمين انه ليس هو الذي بشرت به كتبهم وزاد الأمر حرجا حين أخبرهم بأن النبي الخاتم ليس من

<sup>١</sup> متى ٤/٦

<sup>٢</sup> يوحنا ١٤/٣٦



بني إسرائيل ولكنه من بني إسماعيل ومن ثم سقط في أيديهم ورأوا إنهم قد ضلوا عن سواء السبيل فبدلاً من الإذعان للأمر والإيمان بعيسى عليه السلام والاستعداد للإيمان بمحمد صلي الله عليه وسلم ناصبوا عيسى عليه السلام العداة وأضمروا العداة مسبقاً لمحمد صلي الله عليه وسلم قبل مجيئه فاخذوا يدبرون و يكيدون

### **ثالثاً : بنوا إسرائيل وتغيير تعاليم المسيح عليه السلام**

فلما أصر بنوا إسرائيل على العداة ضلهم أخوهم إبليس حين سول لهم قتل المسيح عليه السلام رغبة منهم أن يسكتوه ولكن الله حال بينهم وبين ما يشتهون بأن رفع المسيح عيسى بن مريم إلى السماء معزراً مكرماً ونالوا هم الخزي في الدنيا والعذاب في الدنيا والآخرة فماذا يفعلون إذن وقد أخبر المسيح الدنيا بالرسول الخاتم محمد صلي الله عليه وسلم .

فظنوا أن الحل في العهد القديم فأعادوا النظر فيه بعد ما انتهوا منه في عصر عزرا الكاهن ليضيفوا إليه أو يحذفوا منه ما يشاءون . مما جعل طائفة منهم وهم السامريون لا يسلمون ولا يعتقدون إلا ببعض من الكتاب المقدس وهي الأسفار الخمسة الولي - التكوين ويسمي سفر الخليقة - سفر الخروج - سفر اللاويين ويسمي الأخبار - سفر العدد - سفر التثنية ويسمي سفر الاستثناء هي المعروفة باسم التوراة

ثم سفر يشوع وسفر القضاة ومن ثم تخالف التوراة السامرية نسخة التوراة الموجودة مع باقي اليهود . وهناك العديد من الأسفار التي لم يعترف بها ولا ندري لماذا استبعدوها من العهد القديم فمن يدري أكانت صالحة أم هي من عند أنفسهم؟

والأسفار الخدوفة هي:- سفر باروخ - سفر طوبيا - سفر يهوديت - سفر وزدم - سفر إيكليزيا سنكس - سفر المقابين الأول - سفر المقابين الثاني.

ولقد ذكر رحمت الله الهندي أن المسيحيين شكوا في صحة أسفار العهدين القديم والجديد ثم اعترفت مجالسهم بما إلا أن بعض الفرق نقضت هذا الاعتراف ومن ذلك:- عام ٣٢٥م انعقد

مجلس علماء المسيحية في عهد قسطنطين في بلده (ناتس) ليحث الكتب المشكوك فيها فقررُوا بعد المشاورة أن سفر يهوديت واجب التسليم وابقوا سائر الأسفار المشكوك فيها كما كانت.

وفي عام ٣٦٤م انعقد مجلس آخر يسمى مجلس (لوديسيا) فأبقي حكم المجلس الأول كتاب يهوديت على حالة وزاد عليه سبعة أسفار أخرى وجعلها واجبة هي :- **سفر استير - رسالة يعقوب - الرسالة الثانية لبطرس - الرسالة الثانية ليوحنا - الرسالة الثالثة ليوحنا - رسالة يهوذا - رسالة بولس إلي العبرانيين** ولم يدخلوا سفر مشاهدات يوحنا في هذين المجلسين. وفي عام ٣٩٧م:- انعقد مجلس آخر وحضره ١٢٧ من العلماء المشهورين فابقوا حكم المجلسين الأولين وزادوا على حكمهما هذه الأسفار:-

**سفر وزدم - سفر طوبيا - سفر باروخ - سفر إنكليزيا سبنكس - سفر المقايين الأول - سفر المقايين الثاني - رؤيا يوحنا.** لكن أعتبر أهل المجلس سفر باروخ بمتزلة جزء من كتاب آرميا لأن باروخ كان بمتزلة النائب والخليفة لأرميا. ثم انعقدت ثلاث مجالس :-  
١- ترلو ٢- فلورانس ٣- ترست وفيه أبقى العلماء حكم المجلس المنعقد في عام ٣٩٧م على حاله .

وأما المجلسين الآخرين كتبوا سفر باروخ في فهرست أسماء الكتب على حده فبعد انعقاد هذه المجالس صارت هذه الأسفار المشكوك فيها مسلمة بين جمهور المسيحيين وبقيت هكذا حتي ظهرت فرقة البروتستانت في القرن السادس عشر الميلادي فرد علماءؤها حكم هؤلاء الأسلاف في :- **سفر باروخ - سفر طوبيا - سفر يهوديت - سفر وزدم - سفر ايكليزيا ستكس وسفري المقايين** وقالوا أن هذه الأسفار واجبة الرد وغير مسلمة ص ٥١-٥٥ رحمت الله الهندي إظهار الحق.

### **رابعا :عقاب الله جل وعلا لبنى إسرائيل**

نعود إلي عهد ببلاطس الذي عاصر السيد المسيح عليه السلام والذي يزعم العهد الجديد أن المسيح عليه السلام صلب في عهده وظل الأمر باليهود تحت حكم الرومان إلي أن جاء تيطس عام ٧٠م وفي عهده تم تدمير أورشليم وقتل اليهود واسر من أسر من شعبها وذاق اليهود على يد تيطس العذاب والهوان.

في عام ١٠٦ م عاد بعض اليهود في عهد الامبراطور تراجان إلا أنهم أخذوا في أعمال الشغب والتوراة إلي أن جاء أوريانوس ما بين عامي ١١٧-١٣٨ م فحول القدس إلي مستعمرة رومانية وحظر على اليهود الاختتان وقرا التوراة واحترام السبت ولم يتحمل اليهود ذلك فناروا بقيادة باركوخيا عام ١٣٥ م

فأرسلت روما والياً حازماً هو يوليوس سيفروس فاحتل المدينة وقهر اليهود وقتل باركوخيا وذبح من اليهود في تلك الموقعة ٥٨٠ ألف نسمة وتشتت الأحياء من اليهود تحت كل كوكب ولكي ينسي اليهود أورشليم دمرها أوريانوس وأنشأ مكانها مدينة جديدة أسماها " إيليا " ومن يومها واليهود مشتتون في كل بقاع الأرض وصدق فيهم قول الحق جل وعلا "ليبعثن عليهم إلي يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب" الأعراف ١٦٧ وقوله سبحانه "فقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض"

ثم تفرقوا وأصبح كل حزب منهم يحمل بعض من الكتاب المقدس ظناً إنه الحق "كل حزب بما لديهم فرحون" ومنهم من سكن في أطراف الجزيرة العربية (في المدينة المنورة وكانوا يبشرون الناس بالنبي الخاتم وان بمجيئه سيقاتلون به العرب" وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا" البقرة ٨٩ فكانوا إذا حاربوا أحداً من القبائل المجاورة فكانوا يدعون الله ويتوسلون إليه بمحمد صلي الله عليه وسلم فينصرون وكان من أهم الأسباب التي جعلت أهل المدينة يؤمنون برسول الله صلي الله عليه وسلم لكثرة حديثهم عنه صلي الله عليه وسلم ويا سبحان الله "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به" البقرة ٨٩

وليس هذا مجديد عليهم فقد رأيناهم وهم يكفرون بالأنبياء بل ويقتلونهم فناصروا المعصوم العداة وحاولوا أن يدمروا الإسلام "وبآبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون" التوبة / ٣٢ فطردهم الرسول من المدينة فعادوا إلي أطراف الدولة الرومانية على أطراف الجزيرة وما هي إلا فترة وجيزة وجاءت جيوش المسلمين وطهرت الشام من رجسهم ورجس الروم الذين أثقلوا كاهل الناس بالضرائب وأذلوهم واستعبدوهم وأخرجهم عمر بن الخطاب من الشام تماماً مع انه لم يكن في الشام منهم كثير.

بدليل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عقد صلحاً مع أهل ايلياء أوصي بأن تبقى كنائس المسيجين وبيعهم وصلواتهم وألا يرغم احد على الدخول في الإسلام ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين إن أعطوا الجزية والتزموا بالعهد ولم يذكر رضى الله عنه لليهود شيئاً فإن دل ذلك فإنما يدل على أن اليهود لم يكن لهم وجود سياسي أو ديني آنذاك يفرض على الواقع احترامه أو إبرام معاهدات معه كما حدث في المدينة المنورة وعقد الرسول صلي الله عليه وسلم مع يهود المدينة صلحاً وعهداً إلا أنهم خالفوه عليه الصلاة والسلام مما كان سبباً في هلاكهم وإمعاناً في تشييتهم في البلاد.

ومن ثم عمدوا إلي أسفار العهد القديم فغيروا في نسب المسيح وطعنوا في نسبه فاتهموا سيدنا داود في شرفه ونسبوا إلي سيدنا سليمان أعمالاً لا تليق به عليه السلام إلا إنهم بفضل الله ابقوا على النبؤات التي تبشر بالني الخاتم محمد صلي الله عليه وسلم طائنين أنما لهم وظلوا يحملون بالمسيح المنتظر الذي يحكمون به العالم أما الأناجيل فلم تسلم من أيدي اليهود فعمدوا إلي ما نادي به المسيح عليه السلام وكتبوا ضده تماماً فمثلاً:-

حين نادي المسيح عليه السلام باخبة والسلام نادوا هم بالعداوة فقالوا "أنتظنون أني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل جئت لألقي نارا ماذا أريد لو اضطرتت " وحين نادي المسيح عليه السلام بالوثام والتوافق نادوا هم بالترفة العنصرية فقالوا "أذن أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة "

وحين نادي المسيح عليه السلام بأن هناك أمة أخرى ستحمل الرسالة حين قال "أن ملكوت الله ينزغ منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره " وأخبرهم بأن هذه الأمة هي من نسل إبراهيم فردوا إلي سفر التكوين وغيروا وزعموا زورا وبهتاناً أن إسحاق هو الابن الذبيح وليس إسماعيل عليه السلام.

وصدق الحق حين قال "يا بني إسرائيل لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون" وقوله تعالي " وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون" البقرة / ٧٥

## خامسا : تأثير بنى إسرائيل على فكر المسيحيين

كما أن المسيح عليه السلام وأمه الصديقة مريم العذراء عليهما السلام لم يسلمتا من طعن اليهود واتهامهم لمريم بالبهتان فحين أخبرهم المسيح عليه السلام أن يعملوا عمل أبيهم إبراهيم قائلاً: -"قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم"<sup>١</sup> إلا أنهم قالوا له "إنا لم نولد من زنا"

والعجيب أن النصارى يذكرون ذلك في كتبهم دون حرج أو استحياء ولكن إن دل هذا فإنما يدل على صدق القرآن الكريم حين قال جل وعلا"وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً"والله الذي لا اله إلا هو لولا القرآن الكريم لظل اليهود والنصارى يصدقون فيما يسبونه من بهتان للعذراء عليها السلام ولكن " الحمد لله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين" ولكن كيف وصلت فكرة الثلاثية إلى الأجيال التالية فأليك ما ذكره يوحنا في هذا المضمار :

- يذكر يوحنا في إنجيله في الإصحاح الأول عن المسيح تحت عنوان " الكلمة صار جسداً " ( فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، والكلمة صار جسداً وهل بيننا ) ( ٣ ) من هذه الفقرة يتضح لنا أن يوحنا يعنى أن عيسى عليه السلام فى البداية كان كلمة من الله وأثناءها كان عند الله ومعها سبحانه وتعالى لأن الكلمة ملازمة لله رب العالمين فلما أطلق الله - جل وعلا - الكلمة التى بها خلق - سبحانه وتعالى - سيدنا عيسى أصبح سيدنا عيسى الكلمة من الله أى أصبح جزءاً من الله وبها يصبح لها ، ولأن البشر لن يستجيبوا إلا إلى بشر مثلهم يعاشيهم ويتقرب إليهم فألبس الله هذه الكلمة جسداً ليستطيع العيش مع الناس . هذا ما يعتقد النصارى من هذا النص محاولين أن يلوا عنق الحقيقة ،

<sup>١</sup> يوحنا ٨/ ٣٩

<sup>٢</sup> يوحنا ١/١... ١٤

وكأنهم يستنتجون معادلة رياضية متجاهلين قدرة الله العظيم الذى لا يعجزه شيء : فتفسيرهم هذا غير منطقي بحال من الأحوال لأسباب

أ- : أن عيسى عليه السلام - بهذه الطريقة مخلوق بكلمة من الله وهو بهذا لن يرق إلى مقام الألوهية مطلقاً وهذا ما أكده القرآن حين قال - سبحانه وتعالى = " لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله النساء ١٦٢

ب- : لو كان عيسى عليه السلام - إلها لما مر بمراحل الحمل .. أن يحمل في بطن امرأة ثم يولد ثم يكون طفلاً الخ فأى إله هذا الذى حوته بطن سيده وتغذى على دم الحيض ؟

ج- : إذا كان هذا هو منطق النصارى فلا حرج إذن على من يعبد الشمس والقمر و الأصنام فكل هذه الأشياء بل والكون كله خلق بكلمة من الله فهل نعتبر الكون بما فيه إلهة من دون الله ؟

د- : لقد تبرأ المسيح - عليه السلام - مما نسبته إليه النصارى أى أنه إلها أو ابن إله فى أكثر من موضوع فى الإنجيل : (أ) يعترف المسيح - عليه السلام - بأن الله جل وعلا إله واحد لا إله غيره وذكر ذلك فى الإنجيل تحت عنوان " الوصية العظمى " حين جاءه واحد من الكتبة وسأله " أى وصيه هى أول للكل " فأجابته يسوع إن أول كل الوصايا هى : أسمع يا إسرائيل الرب إلهنا إله واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ( ١ )

هذا النص بين لنا أن المسيح - عليه السلام - يؤمن بأن الله إله واحد لا شريك له كما أنه يؤمن بأنه عبد الله ورسوله بدليل قوله " **الرب إلهنا رب واحد** "

(ب) وليس هذا فحسب بل أن المسيح في يوم القيامة يتبرأ ممن رفعوه لمقام الألوهية ويؤكد ذلك ما ذكر في إنجيل متى " **كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب . يا رب ، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة - حينئذ أصرخ فيهم إنى لم أعرفك قط إذ هبوا يا فاعلى الإثم** " (١)

ولقد ذكر (زكى شنودة) في كتابه (تاريخ الأقباط) المجامع والكنائس ورأيت أن أسرد أهم هذه المجامع بشئ من التلخيص حتى يسهل على القارئ فهمها ورايت فيها كيف تخبط النصرارى طوال عقودهم فمنهم من يزعم ان المسيح إله ومنهم من يقول بأن المسيح وأمه الهين ومنهم من يقول إنه بشر في صورة إله أو إله في صورة بشر وكان نتيجة هذا الخلاف أن انسحب عدد كبير من القساوسة والأساقفة ولم يبق من هذا العدد سوى (٣٢٤) وهؤلاء تم بهم عقد الجمع المعروف بـ(مجمع نيقية) عام ٣٢٥م وفيه صدر قرار بإدانة أريوس ووصلوا فيه الى قرار عجيب يحير العقول وأكدوا فيه على التثليث فقالوا **نؤمن بالله واحد ضابط الكل ، خالق السموات والأرض كل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور اله حق مولود غير مخلوق مساو للأب فى الجود الذى من اجلنا نحن ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتائنس وصلب على عهد بيطلاس النبطي ونألم وقبر وقام فى اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب وسيأتى بمجده لبيدين**

**الأحبياء والأهوات الذي لا فناء لملكه وبروم القدس الرب المحي المميت المنبثق من الأب  
المتحد مع الأب والابن السجود له )**

إن ما صدر في هذا الجمع لا يقبله عقل ولا منطق إذا أنهم جعلوا المسيح عليه السلام منبثق من الله جل وعلا بل مساو له سبحانه في الخلق والأمر والثواب والعقاب ثم تمادوا وجعلوا سيدنا جبريل الروح الأمين متحداً من الله والمسيح لتكامل الثلاثية .

والحق سبحانه وتعالى حذر أهل الكتاب من هذا الخلط الذي يحير العقول ولا طائل من وراءه فقال سبحانه وتعالى " وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا " . ثم هل الله سبحانه وتعالى في حاجة إلى من يعينه في أمر الخلق ؟ بالطبع لا فهو سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. ولكن من أين جاءوا بهذه الثلاثية بهذا الترتيب العجيب وبهذا الإطار الغريب ؟

يبدو أنهم تأثروا بالأساطير القديمة وبخاصة الأساطير اليونانية والهندية : فيذكر الإمام محمد أبو زهرة في كتابه محاضرات في النصرانية ص ٣٣ ، ٣٤ أن أمينوس المتوفى سنة ٢٤٢ اعتنق في صدر حياته الديانة المسيحية ثم ارتد عنها إلى وثنية اليونان الأقدمين وجاء من بعده تلميذه أفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠ وقد تعلم في مدرسة الإسكندرية أولاً ثم رحل إلى فارس والهند وهناك استقى ينابيع الصوفية الهندية واطلع على تعاليم بوذا وديانته وبراهمة الهند وديانتهم ثم عاد إلى الإسكندرية واخذ يلقي بآرائه على تلاميذه وكان أهم ما فيها :-

إن العلم يرجع في تكوينه وتدبيره إلى ثلاثة عناصر أو إلى ثلاث مقدس هو ( العلم ) المنشى الأول و(العقل ) الذي تولد منه كما يتولد الولد من أبيه و( الروح ) الذي يتصل بكل حي



ومنه الحياة فإذا عبرنا عن المنشئ الأول ( بالأب ) وعن العقل المتولد منه ( بالابن ) وعن الروح ( بروح القدس ) كما هو ثالث النصارى الذي اخذ ببعضه بجمع نيقية "

وهذه حقيقة لان الأساطير الهندية القديمة تحكى ما هو قريب من ذلك فيقول ما لفير " في كتابه المطبوع سنة ١٨٩٥ ( لقد ذكر في الكتب الهندية القديمة عن عقيدة الهنود القدماء ما نصه " نوؤمن " بسافستري " اى الشمس اله واحد ضابط الكل خالق السموات والأرض وبابنه الوحيد " أتى " اى النار نور من نور مولود غير مخلوق تجسد من " فايو " اى الروح في بطن " مايا " العزراء ونؤمن بفايو الروح ألى المنبثق من الأب والابن الذي هو مع الأب والابن يسجد له ويمجد <sup>(١)</sup>

## الباب السادس

المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم وبقايا بني إسرائيل

### أولاً: بنوا إسرائيل قبل بعثة المعصوم صلى الله عليه وسلم

لقد تحدثت كتب السيرة عن اليهود وسب مجيئهم إلى المدينة المنورة وما قاموا به من غدر وخيانة وإشعال نار الفتنة والتآمر على المسلمين مما أدى بهم في نهاية المطاف للتشريد مرة أخرى والطرده كما طردوا من قبل فسندكر ما تحدثت عنه كتب السيرة بتصريف يسير يواكب ما نتحدث عنه من كيد بني إسرائيل بالمسلمين وتبنيها لامتنا الحبيبة عملاً بقول الحق سبحانه وتعالى ( إنهم يكيّدون كيدا )

فلقد ذكرت كتب السيرة أن اليهود انحازوا إلى الحجاز في زمن الإضطهاد الأشورى والروماني كما أسلفنا، وكانوا في الحقيقة عبرانيين، ولكن بعد الإنسحاب إلى الحجاز اصطبغوا بالصبغة العربية في الزى واللغة والحضارة، حتى صارت أسماءهم وأسماء قبائلهم عربية، وحتى قامت بينهم وبين العرب علاقة الزواج والصهر، إلا أنهم احتفظوا بعصبيتهم الجنسية، ولم يندمجوا في العرب قطعاً، بل كانوا يفتخرون بجنسيتهم الإسرائيلية — اليهودية — وكانوا يحتقرون العرب احتقاراً بالغاً وكانوا يرون أن أموال العرب مباحة لهم، يأكلونها كيف شاءوا، قال تعالى: { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَئِن سَأَلْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلًا } [آل عمران: ٧٥].

ولم يكونوا متحمسين في نشر دينهم، وإنما جل بضاعتهم الدينية هي: الفأل والسحر والنفث والرقية وأمثالها، وبذلك كانوا يرون أنفسهم أصحاب علم وفضل وقيادة روحانية. وكانوا أصحاب دسائس ومؤامرات وعتو وفساد؛ يلقون العداوة والشحناء بين القبائل العربية المجاورة، ويغرون بعضها على بعض بكيد خفي لم تكن تشعره تلك القبائل، فكانت تتطاحن في حروب، ولم تكذ تنطفئ نيرانها حتى تتحرك أنامل اليهود مرة أخرى لتؤججها من جديد. فإذا تم لهم ذلك جلسوا على حياض يرون نتائج هذا التحريض والإغراء، ويستلذون بما يحل بهمؤلاء المساكين — العرب — من التعاسة والبوار، ويزودونهم بقروض ثقيلة ربوية حتى لا يجمعوا عن الحرب لعسر النفقة. وبهذا التدبير كانوا يحصلون على فائدتين كبيرتين:

هما : - الاحتفاظ على كيانهم اليهودي،

- وإنفاق سوق الربا؛ ليأكلوه أضعافاً مضاعفة، ويكسبوا ثروات طائلة.

\* وكانت في يثرب منهم ثلاث قبائل مشهورة :-

١- بنو قَيْنَقَاع : وكانوا حلفاء الخزرج، وكانت ديارهم داخل المدينة.

٢- بنو النَّضِير: وكانوا حلفاء الخزرج، وكانت ديارهم بضواحي المدينة.

٣- بنو قُرَيْظَةَ: وكانوا حلفاء الأوس، وكانت ديارهم بضواحي المدينة.

واليهود لم يكن يرجحى منهم أن ينظروا إلى الإسلام إلا بعين البغض والحقد؛ فالرسول لم يكن من أبناء جنسهم حتى يُسَكَّنَ جَأَشَ عصبيتهم الجنسية التي كانت مهيمنة على نفسياتهم وعقليتهم، ودعوة الإسلام لم تكن إلا دعوة صالحة تؤلف بين أشتات القلوب، وتطفئ نار العداوة والبغضاء، وتدعو إلى التزام الأمانة في كل الشئون، وإلى التقيد بأكل الحلال من طيب الأموال .

ومعنى كل ذلك أن قبائل يثرب العربية ستتآلف فيما بينها، وحينئذ لا بد من أن تفلت من براثن اليهود، فيفشل نشاطهم التجاري، ويحرمون أموال الربا الذي كانت تدور عليه ربحى ثروتهم، بل يحتمل أن تتيقظ تلك القبائل، فتدخل في حسابها الأموال الربوية التي أخذتها اليهود، وتقوم بإرجاع أرضها وحوادثها التي أضععتها إلى اليهود في تأدية الربا.

ثانياً: إستقبال بنو إسرائيل للمعصوم صلى الله عليه وسلم

كان اليهود يدخلون كل ذلك في حسابهم منذ عرفوا أن دعوة الإسلام تحاول الإستقرار في يثرب؛ ولذلك كانوا يبطنون أشد العداوة ضد الإسلام، وضد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أن دخل يثرب، وإن كانوا لم يتجاسروا على إظهارها إلا بعد حين.

ويظهر ذلك جلياً بما رواه ابن إسحاق عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها :

قال ابن إسحاق: حدثت عن صفية بنت حبي بن أخطب أنها قالت: كنت أحبّ ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي؛ حبي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب مُعَلِّسِين، قالت: فلم يرجعنا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كَالَيْنِ كَسَلَانِ سَاقَطِينَ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى.

قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلى واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمى أبا ياسر، وهو يقول لأبي حبي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتشتهه؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.

ويشهد بذلك أيضاً ما رواه البخاري في إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقد كان حرباً من علماء اليهود، ولما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في بني النجار جاءه مستعجلاً، وألقى إليه أسئلة لا يعلمها إلا نبي، ولما سمع ردوده صلى الله عليه وسلم عليها آمن به ساعته ومكانه.

ثم قال له: إن اليهود قوم بُهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت اليهود، ودخل عبد الله بن سلام البيت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟] قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا — وفي لفظ: سيدنا وابن سيدنا. وفي لفظ آخر: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أفأرى إن أسلم عبد الله؟] فقالوا: أعاده الله من ذلك [مرتين أو ثلاثاً]، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه. وفي لفظ: فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق. فقالوا: كذبت.

## نموذج من مكيدة اليهود

قال ابن إسحاق: مر شاس بن قيس — وكان شيخاً [يهودياً] قد عسا، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم — على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأي من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية. فقال: قد اجتمع ملاً بني قَيْلَةَ بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بما من قرار، فأمر في شاباً من يهود كان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بُعث وما كان من قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تناولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجالان من الحيين على الركب فشقوا، ثم قال أحدهما لصاحبه:

إن شئتم رددناها الآن جَدَعَة — يعني الاستعداد لإحياء الحرب الأهلية التي كانت بينهم — وغضب الفريقان جميعاً.

وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة — والظاهرة: الحرّة — السلاح السلاح، فخرجوا إليها [وكادت تنشب الحرب]. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم.

فقال: (يا معشر المسلمين، الله الله، أبدو عوي الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم)

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس. هذا نموذج مما كان اليهود يفعلونه ويحاولونه من إثارة القلاقل والفتن في المسلمين، وإقامة العراقيل في سبيل الدعوة الإسلامية.

### ثالثاً: غزوة بني قينقاع

لقد عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود معاهدة سلمية، وقد كان حريصاً كل الحرص على تنفيذ ما جاء في هذه المعاهدة، وفعلاً لم يأت من المسلمين ما يخالف حرفاً واحداً من نصوصها. ولكن اليهود الذين ملأوا تاريخهم بالعدو والخيانة ونكث العهود، لم يلبثوا أن تمشوا مع طبائعهم القديمة، وأخذوا في طريق الدس والمؤامرة والتحرش وإثارة القلق والاضطراب في صفوف المسلمين. وهاك مثلاً من ذلك:

وقد كانت لهم خطط شتى في هذا السبيل. فكانوا يبثون الدعايات الكاذبة، ويؤمنون وجه النهار، ثم يكفرون آخره؛ ليزرعوا بذور الشك في قلوب الضعفاء، وكانوا يضيقون سبل المعيشة على من آمن إن كان لهم به ارتباط مالى، فإن كان لهم عليه يتقاضونه صباح مساء، وإن كان له عليهم يأكلونه بالباطل، ويمتنعون عن أدائه وكانوا يقولون: إنما كان علينا قرضك حينما كنت على دين آبائك.

فأما إذ صبوت فليس لك علينا من سبيل. كانوا يفعلون كل ذلك قبل بدر على رغم المعاهدة التي عقدوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصبرون على كل ذلك؛ حرصاً على رشدهم، وعلى بسط الأمن والسلام في المنطقة.

### بنو قينقاع ينقضون العهد

لكنهم لما رأوا أن الله قد نصر المؤمنين نصراً مؤزراً في ميدان بدر، وأنهم قد صارت لهم عزة وشوكة وهيبة في قلوب القاصي والداني. تميزت قدر غيظهم، وكاشفوا بالشر والعداوة، وجأهروا بالبغي والأذى. وكان أعظمهم حقداً وأكبرهم شراً كعب بن الأشرف — وسيأتي ذكره — كما أن شر طائفة من طوائفهم الثلاث هم يهود بني قينقاع.

كانوا يسكنون داخل المدينة — في حي باسمهم — وكانوا صاغة وحدادين وصناع الظروف والأواني، ولأجل هذه الحرف كانت قد توفرت لكل رجل منهم آلات الحرب، وكان عدد المقاتلين فيهم سبعمائة، وكانوا أشجع يهود المدينة، وكانوا أول من نكث العهد والميثاق من اليهود. فلما فتح الله للمسلمين في بدر اشتد طغيانهم، وتوسعوا في تحرشاتهم واستفزازاتهم. فكانوا يثيرون الشغب، ويتعرضون بالسخرية، ويواجهون بالأذى كل من ورد سوقهم من المسلمين حتى أخذوا يتعرضون بنسائهم.

وعندما تفاقم أمرهم واشتد بغيتهم، جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوعظهم ودعاهم إلى الرشد والهدى، وحذرهم مغبة البغي والعدوان، ولكنهم ازدادوا في شرهم وخطرستهم.

روي أبو داود وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع. فقال: (يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً). قالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفعاً من قريش كانوا أعماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا.

فأنزل الله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فُتُتَيْنِ النَّتْقَانِ فَمَنْ نَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} [آل عمران ١٢، ١٣].

كان في معني ما أجاب به بنو قينقاع هو الإعلان السافر عن الحرب، ولكن كظم النبي صلى الله عليه وسلم غيظه، وصبر المسلمون، وأخذوا ينتظرون ما تتمخض عنه الليالي والأيام. وازداد اليهود — من بني قينقاع — جراءة، فقلما لبثوا أن أثاروا في المدينة قلقاً واضطراباً، وسعوا إلى حتفهم بظلفهم، وسدوا على أنفسهم أبواب الحياة.

روي ابن هشام عن أبي عون: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعهده إلى ظهرها — وهي غافلة — فلما قامت انكشفت سوأها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله — وكان يهودياً — فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

### الحصار ثم التسليم ثم الجلاء

وحينئذ عيّل صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر، وأعطى لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب، وسار بجنود الله إلى بني قينقاع، ولما رأوه تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وكان ذلك يوم السبت للنصف من شوال سنة ٢ هـ،

ودام الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وقذف الله في قلوبهم الرعب — فهو سبحانه وتعالى إذا أرادوا خذلان قوم وهزيمتهم أنزل الرعب عليهم وقذفه في قلوبهم — فترلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رقابهم وأمواهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكتفوا.

وحينئذ قام عبد الله بن أبي بن سلول بدور نفاقه، فأخ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدر عنهم العفو، فقال: يا محمد، أحسن في موالي — وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج — فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرر ابن أبي مقالته فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درعه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرسلني).

وغضب حتى رأوا لوجهه ظللاً، ثم قال: (ويحك، أرسلني). ولكن المنافق مضى على إصراره وقال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني من الأحر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشي الدوائر.

وعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المنافق — الذي لم يكن مضى على إظهار إسلامه إلا نحو شهر واحد فحسب — عامله بالحسنى. فوهبهم له، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات الشام، فقل أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم. وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أمواهم، فأخذ منها ثلاث قسي ودرعين وثلاثة أسياف وثلاثة رماح، وخمس غنائمهم، وكان الذي تولى جمع الغنائم محمد بن مسلمة.

### رابعاً : غزوة بني النضير

قد أسلفنا أن اليهود كانوا يتحرقون على الإسلام والمسلمين إلا أنهم لم يكونوا أصحاب حرب وضرب، بل كانوا أصحاب دس ومؤامرة، فكانوا يجاهرون بالحق والعداوة، ويختارون أنواعاً من الحيل؛ لإيقاع الإيذاء بالمسلمين دون أن يقوموا للقتال مع ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق، وأنهم بعد وقعة بني قينقاع وقتل كعب بن الأشرف خافوا على أنفسهم فاستكانوا والتزموا الهدوء والسكوت.

ولكنهم بعد وقعة أحد تجرأوا، فكاشفوا بالعداوة والغدر، وأخذوا يتصلون بالمنافقين والمشركين من أهل مكة سراً، ويعملون لصالحهم ضد المسلمين. وصبر النبي صلى الله عليه وسلم حتى ازدادوا جرأة وجسارة بعد وقعة الرجيع وبئر معونة، حتى قاموا بمؤامرة تهدف القضاء على النبي صلى الله عليه وسلم.

وبيان ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم خرج إليهم في نفر من أصحابه، وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري — وكان ذلك يجب عليهم حسب بنود المعاهدة — فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس ها هنا حتى نقضي حاجتك. فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا، وجلس معه أبو بكر وعمر وعلي وطائفة من أصحابه. وخلا اليهود بعضهم إلى بعض، وسول لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم، فناموا بقتله صلى الله عليه وسلم.

وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحي، ويصعد فيلقبها على رأسه يشدخه بما؟!... فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا. فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليخبرن بما همتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه. ولكنهم عزموا على تنفيذ خطتهم.

ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله صلى الله عليه وسلم يعلمه بما هموا به، فنهض مسرعاً وتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه فقالوا: نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما هممت به يهود.

وما لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعث محمد بن مسلمة إلى بني النضير يقول لهم: (اخرجوا من المدينة ولا تسانوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدته بعد ذلك بما ضربت عنقه).

ولم يجد يهود مناصاً من الخروج، فأقاموا أياماً يتجهزون للرحيل، بيد أن رئيس المنافقين — عبد الله بن أبي — بعث إليهم أن اثبتوا وتمنعوا، ولا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين



يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم ﴿لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١] وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان.

وهناك عادت لليهود ثقنتهم، واستقر رأيهم على المناوأة، وطمع رئيسهم حبي بن أخطب فيما قاله رأس المنافقين، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك. ولا شك أن الموقف كان حرجاً بالنسبة للمسلمين، فإن اشتباكهم بخصوصهم في هذه الفترة المخرجة من تاريخهم لم يكن مأمون العواقب.

وقد رأوا كلب العرب عليهم وفتكهم الشنيع ببعوثهم، ثم إن يهود بني النضير كانوا على درجة من القوة تجعل استسلامهم بعيد الاحتمال، وتجعل فرض القتال معهم محفوفاً بالمكروه، إلا أن الحال التي جددت بعد مأساة بئر معونة وما قبلها زادت حساسية المسلمين بجرائم الاغتيال والغدر التي أخذوا يتعرضون لها جماعات وأفراداً، وضاعفت نقتهم على مقترفيها، ومن ثم قرروا أن يقاتلوا بني النضير —

بعد همهم ياغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم — مهما تكن النتائج. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم جواب حبي بن أخطب كبر وكبر أصحابه، ثم نهض لمناجزة القوم، فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وسار إليهم، وعلى بن أبي طالب يحمل اللواء، فلما انتهى إليهم فرض عليهم الحصار. والتجأ بنو النضير إلى حصونهم، فأقاموا عليها يرمون بالنبل والحجارة، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم في ذلك، فأمر بقطعها وتحريقها، وفي ذلك يقول حسان:

وهان على سرّاة بني لؤي\* حريق بالبويرة مستطير

[البويرة: اسم لنخل بني النضير] وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]. واعتزلتهم قريظة، وخانهم عبد الله بن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فلم يحاول أحد أن يسوق لهم خيراً، أو يدفع عنهم شراً.

ولهذا شبه سبحانه وتعالى قصتهم، وجعل مثلهم: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦] ولم يطل الحصار — فقد دام ست ليال فقط، وقيل: خمس عشرة ليلة — حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فاندحروا وهياؤوا للاستسلام ولإلقاء السلاح، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن نخرج عن المدينة. فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذرايعهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح.

فزلوا على ذلك، وخرّبوا بيوتهم بأيديهم، ليحملوا الأبواب والشبابيك، بل حتى حمل بعضهم الأوتاد وجذوع السقف، ثم حملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فترحل أكثرهم وأكابرهم كحبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق إلى خيبر.

وذهبت طائفة منهم إلى الشام، وأسلم منهم رجلان فقط : يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما. وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاح بني النضير، واستولي على أرضهم وديارهم وأموالهم، فوجد من السلاح خمسين درعاً وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً.

وكانت أموال بني النضير وأرضهم وديارهم خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يضعها حيث يشاء، ولم يَحْمَسْهَا لأن الله أفاءها عليه، ولم يوجِفِ المسلمون عليها بخيلٍ ولا رِكابٍ.

فقسمها بين المهاجرين الأولين خاصة، إلا أنه أعطي أبا دُجَانَةَ وسهل بن حُنَيْف الأنصاريين لفقرهما. وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكَرَاعِ عدة في سبيل الله. كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول سنة ٤ من الهجرة، أغسطس ٦٢٥ م

وأُنزل الله في هذه الغزوة سورة الحشر بأكملها، فوصف طرد اليهود، وفضح مسلك المنافقين، وبين أحكام الفبيء، وأثني على المهاجرين والأنصار، وبين جواز القطع والحرق في أرض العدو للمصالح الحربية، وأن ذلك ليس من الفساد في الأرض، وأوصي المؤمنين بالتزام التقوي والاستعداد للآخرة، ثم ختمها بالثناء على نفسه جل وعلا وبيان أسمائه وصفاته.

سورة الحشر : أو: سورة النضير

. وكان ابن عباس يقول عن سورة الحشر : قل : سورة النضير .

هذه خلاصة ما رواه ابن إسحاق وعامة أهل السير حول هذه الغزوة. وقد روي أبو داود وعبد الرزاق وغيرهما سبباً آخر حول هذه الغزوة، وهو أنه لما كانت وقعة بدر فكثبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود : إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدَم نساءكم شيء — وهو الخلاخيل —

فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبراً، حتى نلتقي في مكان كذا، نَصَفَ بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمننا كلنا

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً من يهود، حتى إذا برزوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض : كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون

رجلاً من أصحابه، كلهم يجب أن يموت قبله، فأرسلوا إليه : كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلاً ؟

أخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمننا كلنا وصدقناك، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة نفر من أصحابه واشتملوا [أي اليهود] على الخنجر، وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى بني أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، فساره بخبرهم قبل أن يصل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم، وقال لهم : (إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه)

فأبوا أن يعطوه عهداً، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون، ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيال والكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم، وغدا إلى بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة — والحلقة: السلاح — فجاءت بنو النضير واحتملوا ما أقلت إبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، فكانوا يخربون بيوتهم فيهدموها، فيحملون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام .

عاد الأمن والسلام، وهذأت الجزيرة العربية بعد الحروب والبعوث التي استغرقت أكثر من سنة كاملة، إلا أن اليهود — الذين كانوا قد ذاقوا ألواناً من الذلة والهوان نتيجة غدرهم وخيانتهم ومؤامراتهم ودسائسهم — لم يفيقوا من غيبهم، ولم يستكينوا، ولم يتعظوا بما أصابهم من نتيجة الغدر والتآمر. فهم بعد نفيهم إلى خيبر ظلوا ينتظرون ما يحل بالمسلمين من خلال المناوشات التي كانت قائمة بين المسلمين والوثنيين، ولما تحول مجري الأيام لصالح المسلمين، وتمحضت الليالي والأيام عن بسط نفوذهم، وتوطد سلطاتهم

### خامساً : بنوا قريظة

تحرق هؤلاء اليهود أي تحرق. وشرعوا في التآمر من جديد على المسلمين، وأخذوا يعدون العدة، لتصويب ضربة إلى المسلمين تكون قاتلة لا حياة بعدها. ولما لم يكونوا يجدون في أنفسهم جرأة على قتال المسلمين مباشرة، خططوا لهذا الغرض خطة رهيبة. خرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادات بني النضير إلى قريش بمكة، يحرضونهم على غزو الرسول صلى الله

عليه وسلم، ويوالونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، وكانت قريش قد أخلفت موعدها في الخروج إلى بدر، فرأت في ذلك إنقاذاً لسمعتها والبر بكلمتها. ثم خرج هذا الوفد إلى غطفان، فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشاً فاستجابوا لذلك، ثم طاف الوفد في قبائل العرب يدعوهم إلى ذلك فاستجاب له من استجاب، وهكذا نجح ساسة اليهود وقادتهم في تأليب أحزاب الكفر على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

وعلى إثر ذلك خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل قمامة — وقادتهم أبو سفيان — في أربعة آلاف، ووافاهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت من الشرق قبائل غطفان: بنو فزارة، يقودهم غيينة بن حصن، وبنو مرة، يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع، يقودهم مسعر بن ربيعة، كما خرجت بنو أسد وغيرها.

واتجهت هذه الأحزاب وتحركت نحو المدينة على ميعاد كانت قد تعاقدت عليه. وبعد أيام تجمع حول المدينة جيش عرمرم يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل، جيش ربما يزيد عدده على جميع من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيوخ.

وبينما كان المسلمون يواجهون هذه الشدائد على جبهة المعركة كانت أفاعي الدس والتآمر تتقلب في جحورها، تريد إيصال السم داخل أجسادهم: انطلق كبير مجرمي بني النضير حيي بن أخطب إلى ديار بني قريظة فأتي كعب بن أسد القرظي — سيد بني قريظة وصاحب عقدهم وعهدهم، وكان قد عاقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ينصره إذا أصابته حرب، كما تقدم —

فضرب عليه حيي الباب فأغلقه كعب دونه، فما زال يكلمه حتى فتح له بابه. فقال حيي: إني قد جئتك يا كعب بعز الدهر وبيحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بدئب نغمي إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على ألا يرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه.

فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه، فهو يرعد ويبرق، ليس فيه شيء. ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء.

فلم يزل حيي بكعب يفتله في الدرورة والغارب، حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً: لن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك، حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين المسلمين، ودخل مع المشركين في احرابة ضد المسلمين. وفعلاً قامت يهود بني قريظة بعمليات الحرب.

وقال ابن إسحاق: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارح حصن حسان بن ثابت، وكان حسان فيه مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في غور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إن أتانا آت، قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما تري يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فانزل إليه فاقتله.

قال: والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فاحتجزت ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلتها، ثم رجعت إلى الحصن وقلت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سبله إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة.

وقد كان لهذا الفعل الجيد من عمدة الرسول صلى الله عليه وسلم أثر عميق في حفظ ذراري المسلمين ونسائهم، ويبدو أن اليهود ظنوا أن هذه الآطام والحصون في منعة من الجيش الإسلامي — مع أنها كانت خالية عنهم تماماً — فلم يجترئوا مرة ثانية للقيام بمثل هذا العمل، إلا أنهم أخذوا يمدون الغزاة الوثنيين بالمؤن، كدليل عملي على انضمامهم إليهم ضد المسلمين، حتى أخذ المسلمون من مؤنهم عشرين جملاً.

وانتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين فبادر إلى تحقيقه، حتى يستجلي موقف قريظة، فيواجهه بما يجب من الواجهة العسكرية، وبعث لتحقيق الخبر السعدين؛ سعد بن معاذ وسعد بن عباد، وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير، وقال: (انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتنوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس).

فلما دنوا منهم وجدوهم على أخبث ما يكون، فقد جأهروهم بالسب والعداوة، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد، ولا عقد. فانصرفوا عنهم، فلما أقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لحنوا له، وقالوا: عَضَلْ وَقَارَةَ؛

أي إنهم على غدر كغدر عضل وقارة بأصحاب الرّجيع. وعلى رغم محاولتهم إخفاء الحقيقة تفتن الناس لجلية الأمر، فتجسد أمامهم خطر رهيب. وقد كان أخرج موقف يقفه المسلمون، فلم يكن يحول بينهم وبين قريظة شيء يمنعهم من ضربهم من الخلف، بينما كان أمامهم جيش

عزيم لم يكونوا يستطيعون الانصراف عنه، وكانت ذرايهم ونساؤهم بمقربة من هؤلاء الغادين في غير منعة وحفظ، وصاروا كما قال الله تعالى: {وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب: ١٠، ١١]

وفي اليوم الذي فرج فيه الحق سبحانه وتعالى كرب المسلمين ونصرهم على عدوهم وأرسل على الأعداء ريحا وجنودا من عنده جل وعلا أطاحت بخيامهم وأطفأت قدورهم وانصرفوا مأزورين غير مأجورين . وحين عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، جاءه جبريل عند الظهر، وهو يغتسل في بيت أم سلمة، فقال: أو قد وضعت السلاح؟ فإن الملائكة لم تضع أسلحتهم، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، فأنهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، فسار جبريل في موكبه من الملائكة.

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا فأذن في الناس: من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر إلا ببني قريظة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى الراية على بن أبي طالب، وقدمه إلى بني قريظة، فسار على حتى إذا دنا من حصونهم سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في موكبه من المهاجرين والأنصار، حتى نزل على بئر من آبار قريظة يقال لها: بئر أنا. وبادر المسلمون إلى امتثال أمره، وهضوا من فورهم، وتحركوا نحو قريظة، وأدركتهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصليها إلا في بني قريظة كما أمرنا، حتى إن رجلا منهم صلوا العصر بعد العشاء الآخرة.

وقال بعضهم: لم يرد منا ذلك، وإنما أراد سرعة الخروج، فصلوها في الطريق، فلم يعنف واحدة من الطائفتين . هكذا تحرك الجيش الإسلامي نحو بني قريظة أرسالا حتى تلاحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهم ثلاثة آلاف، والخيل ثلاثون فرسا، فنازلوا حصون بني قريظة، وفرضوا عليهم الحصار.

ولما اشتد عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال: إما أن يسلموا ويدخلوا مع محمد صلى الله عليه وسلم في دينه، فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم .

وقد قال لهم: والله، لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم — وإما أن يقتلوا ذراريهم ونساءهم بأيديهم، ويخرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالسيوف مُصَلِّين، يناجزونه حتى يظفروا بهم، أو يقتلوا عن آخرهم، وإما أن يهجموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويكبسوهم يوم السبت.

لأنهم قد آمنوا أن يقاتلوهم فيه، فأبوا أن يجيئوه إلى واحدة من هذه الخصال الثلاث، وحينئذ قال سيدهم كعب بن أسد — في انزعاج وغضب: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً.

ولم يبق لقرينة بعد رد هذه الخصال الثلاث إلا أن يتزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم أرادوا أن يتصلوا ببعض حلفائهم من المسلمين، لعلهم يتعرفون ماذا سيحل بهم إذا نزلوا على حكمه، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرسل إلينا أبا لبابة نستشير، وكان حليفاً لهم، وكانت أمواله وولده في منطقتهم، فلما رأوه قام إليه الرجال.

وجَهَشَ النساء والصبيان يكون في وجهه، فَرَّقَ لهم،

وقالوا: يا أبا لبابة، أترى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم؛ وأشار بيده إلى حلقه، يقول: إنه الذبح، ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله فمضي على وجهه، ولم يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المسجد النبوي بالمدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وحلف ألا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبداً.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره — وكان قد استبطأه — قال: (أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، أما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه).

وبرغم ما أشار إليه أبو لبابة قررت قريظة التزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كان باستطاعة اليهود أن يتحملوا الحصار الطويل؛ لتوفر المواد الغذائية والمياه والآبار ومناعة الحصون؛ ولأن المسلمين كانوا يقاسون البرد القارس والجوع الشديد وهم في العراء، مع شدة التعب الذي اعتراههم؛ لمواصلة الأعمال الحربية من قبل بداية معركة الأحزاب، إلا أن حرب قريظة كانت حرب أعصاب، فقد قذف الله في قلوبهم الرعب، وأخذت معنوياتهم تنهار، وبلغ هذا الانهيار إلى نهايته أن تقدم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، وصاح علي: يا كتيبة الإيمان، والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم. وحينئذ بادروا إلى التزول على

حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتقال الرجال، فوضعت القيود في أيديهم تحت إشراف محمد بن مسلمة الأنصاري.

وجعلت النساء والذراري بمعزل عن الرجال في ناحية، وقامت الأوس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت، وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء مواليينا، فأحسن فيهم، فقال: (ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟) قالوا: بلي. قال: (فذاك إلى سعد بن معاذ). قالوا: قد رضينا.

فأرسل إلى سعد بن معاذ، وكان في المدينة لم يخرج معهم للجرح الذي كان قد أصاب أكخله في معركة الأحزاب. فأركب حماراً، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلوا يقولون، وهم كنفية: يا سعد، أجمل في مواليك، فأحسن فيهم، فإن رسول الله قد حكمك لتحسن فيهم، وهو ساكت لا يرجع إليهم شيئاً، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، فلما سمعوا ذلك منه رجع بعضهم إلى المدينة فنعي إليهم القوم. ولما انتهى سعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال للصحابة:

(قوموا إلى سيدكم)، فلما أنزلوه قالوا: يا سعد، إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك. قال: وحكمي نافذ عليهم؟ قالوا: نعم. قال: وعلى المسلمين؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من هاهنا؟ وأعرض بوجهه وأشار إلى ناحية رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً له وتعظيماً. قال: (نعم، وعلي). قال: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبي الذرية، وتقسّم الأموال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات).

وكان حكم سعد في غاية العدل والإنصاف، فإن بني قريظة، بالإضافة إلى ما ارتكبوا من الغدر الشنيع، كانوا قد جمعوا لإبادة المسلمين ألفاً وخمسمائة سيف، وألفين من الرماح، وثلاثمائة درع، وخمسمائة ترس، وحرقة، حصل عليها المسلمون بعد فتح ديارهم.

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبست بنو قريظة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، وحفرت لهم خنادق في سوق المدينة، ثم أمر بهم، فجعل يذهب بهم إلى الخنادق أرسالاً أرسالاً، وتضرب في تلك الخنادق أعناقهم. فقال من كان بعد في الحبس لرئيسهم كعب بن أسد: ما تراه يصنع بنا؟ فقال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ أما ترون الداعي لا يتزع؟ والذاهب منكم لا يرجع؟ هو والله القتل — وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعمائة، فضربت أعناقهم.



وهكذا تم استئصال أفاعي الغدر والخيانة، الذين كانوا قد نقضوا الميثاق المؤكد، وعاونوا الأحزاب على إبادة المسلمين في أخرج ساعة كانوا يمرون بها في حياتهم، وكانوا قد صاروا بعملهم هذا من أكابر مجرمي الحروب الذين يستحقون المحاكمة والإعدام.

وقتل مع هؤلاء شيطان بني النضير، وأحد أكابر مجرمي معركة الأحزاب حبي بن أخطب والد صفية أم المؤمنين رضي الله عنها كان قد دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان؛ وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه حينما جاء يثريه على الغدر والخيانة أيام غزوة الأحزاب، فلما أتى به — وعليه حُلَّةٌ قد شققها من كل ناحية بقدر أتملة لنلا يُسَلِّبها — مجموعة يدها إلى عنقه بجبل، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله ما لمت نفسي في معاداتك، ولكن من يُغالب الله يُغلب. ثم قال: أيها الناس، لا بأس بأمر الله، كتاب وقَدَرٍ ومَلَحَمَةٍ كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس، فضربت عنقه.

وقتل من نسائهم امرأة واحدة كانت قد طرحت الرحي على خلاد بن سويد فقتلته، فقتلت لأجل ذلك. وكان قد أمر رسول الله بقتل من أثبت، وترك من لم يثبت، فكان ممن لم يثبت عطية القرظي، فترك حياً فأسلم، وله صحبة. واستوهب ثابت بن قيس، الزبير بن باطا وأهله وماله — وكانت للزبير يد عند ثابت — فوهبهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال له ثابت بن قيس: قد وهبك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى، ووهب لي مالك وأهلك فهم لك. فقال الزبير بعد أن علم بمقتل قومه: سألتك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقتني بالأحبة، فضرب عنقه، وألحقه بالأحبة من اليهود، واستحيا ثابت من ولد الزبير بن باطا عبد الرحمن بن الزبير، فأسلم وله صحبة.

واستوهبت أم المنذر سلمى بنت قيس النجارية رفاعة بن سموأل القرظي، فوهبه لها فاستحيت، فأسلم وله صحبة. وأسلم منهم تلك الليلة نفر قبل التزول، فحقتنوا دماءهم وأموالهم وذرايرهم. وخرج تلك الليلة عمرو بن سعدي — وكان رجلاً لم يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم —

فراه محمد بن مسلمة قائد الحرس النبوي، فخلّي سبيله حين عرفه، فلم يعلم أين ذهب. وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بني قريظة بعد أن أخرج منها الخمس، فأسهم للفارس ثلاثة أسهم؛ سهمان للفارس وسهم للفارس، وأسهم للرجال سهماً واحداً، وبعث من السبايا إلى نجد تحت إشراف سعد بن زيد الأنصاري فابتاع بها خيلاً وسلاحاً.

واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه من نسائهم رَيْحَانَةَ بنت عمرو بن خُنَافَةَ، فكانت عنده حتى توفي عنها وهي في ملكه. هذا ما قاله ابن إسحاق. وقال الكلبي: إنه صلى الله عليه وسلم أعتقها، وتزوجها سنة ٦ هـ، وماتت مرجعه من حجة الوداع، فدفنها بالبيع. ولما تم أمر قريظة أجيبت دعوة العبد الصالح سعد بن معاذ رضي الله عنه — التي قدمنا ذكرها في غزوة الأحزاب —

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضرب له خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما تم أمر قريظة انتقضت جراحته. قالت عائشة: فانفجرت من لَبَّتِهِ فلم يرْعُهُمْ — وفي المسجد خيمة من بني غفار — إلا والدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم، فإذا سعد يغذو جرحه دمًا، فمات منها

### سادسا : دخول الإسلام أرض الشام

توجهت خيول الفتح نحو بلاد الشام منذ عهد الصديق رضي الله عنه ، ولكن شاء الله تعالى أن تفتح مدينة القدس على يدي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ١٧ هـ . وقد قدم رضي الله عنه إلى المدينة لإستلام مفاتيحها من بطريكتها صفرانيوس راكبا على بعير أحمر عليه غرارتان في إحدهما سويق وفي الأخرى تمر وبين يديه قرية مملوءة بالماء وخلفه جفنة للزاد وكان معه ثلة من الصحابة الأجلاء منهم الزبير وعبادة بن الصامت .

وكان أثناء مسيره يتناول ركوب البعير مع خادمه وعندما بلغوا سور القدس كان دور الركوب لخادمه ، فلما رآه اخصورون من النصارى أخذوا بمقود الراحلة وغلأمه فوقها أكبروه وبكى بطريكتهم صفرانيوس وقال : (إن دولتكم باقية على الدهر ، فدولة الظلم ساعة ودولة العدالة إلى قيام الساعة ) . ولما تسلم مفاتيح المدينة كتب للنصارى أمانا وهو المشهور بالعهدة العمرية ، وقد أمنهم فيه على أموالهم وذراريهم وكنائسهم وكان من شروط النصارى في الأمان أن لا يسكن اليهود مدينة القدس وظلت القدس تحت رعاية الخلفاء المسلمين وقد تعاهدوا أسوارها ومسجدها بالبناء والترميم وكثير من مرافقها بلمسات البناء الأيوبية والملوكية والعثمانية حتى اليوم .

وبقيت القدس تحت الحكم الإسلامي منذ الفتح العمري سنة ١٧هـ / ٦٣٨م وحتى إجتماع اليهود قسما منها عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨م (عام النكبة) ، ثم احتلوا ماتبقى منها عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م (عام النكسة) وهي الآن بأسوارها ومسجدها تنتظر الفاتحين المسلمين

## سابعاً : نص العهدة العمرية :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تقدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليه أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

## ثامناً : الحروب الصليبية وبنوا إسرائيل

إن الحديث عن الحروب الصليبية ذو شجون فهو يذكرنا بالآسى التي تعرضت لها امتنا على أيدي الصليبيين الذين يزعمون ان المسيح عليه السلام امرهم في الانجيل بقوله " من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر " والعجيب أننا ما لطمنا لهم خدا لا أيمن ولا أيسر ومع هذا اجتاحوا بلادنا وساموا اخواننا سؤ العذاب لا لشيء الا اننا ننادى بالحبة والحق والسلام القائم على الاخوة وحسن الجوار الذى لا يعلموا عنه شيئاً ولاننا بصدد الحديث عن فلسطين والقدس فلن اتمادى في ذكر الحروب الصليبية بالتفصيل انما اركز على المنطقة التي نحن بصدد الحديث عنها وهي فلسطين من الحروب الصليبية وإلى الآن .

فقد سقطت يافا أثناء حصار بيت المقدس على يد سفن جنوية في ١٥ يونيو ١٠٩٩م ، وسيطر الصليبيون على شرق بحيرة طبرية (منطقة السواد) في مايو ١١٠٠م، واستولوا على حيفا عنوة في شوال ٤٩٤ هـ - أغسطس ١١٠٠م بمساعدة أسطول كبير من البندقية، وملكوا أرسوف بالأمان إلا أنهم خدعوهم كعادتهم وأخرجوا أهلها منها عنوة ، ثم احتلوا قيسارية ١٧ مايو ١١٠٩م بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها وذلك في ١٧ مايو ١١٠١م وهكذا فرض الصليبيون هيمنتهم على فلسطين غير أن عسقلان ظلت عصية عليهم وكان المصريون (الفاطميون) يرسلون لها كل عام الذخائر والرجال والأموال، وكان الصليبيون يقصدونها ويحاصرونها كل عام فلا يجدون لها سبيلاً، ولم تسقط عسقلان بأيديهم إلا في سنة ١١٥٣م-٥٤٨هـ،

وكان أهلها قد ردوا الصليبيين مقهورين في ذلك العام، وعندما آيس الصليبيون وهوا بالرحيل أتاهم خبر أن خلافاً وقع بين أهلها فصبروا. وكان سبب الخلاف أن أهلها لما عادوا قاهرين منصورين ادعى كل طائفة أن النصر كانت من جهتها، فعظم الخصام بينهم إلى أن قتل من إحدى الطائفتين قتيل، واشتد الخطب وتفاقم الشر، ووقعت الحرب بينهم فقتل بينهم قتلى!! فطمع الصليبيون . وزحفوا إلى عسقلان وقاتلوا «فلم يجدوا من يمنعهم فملكوه»!! وتلك هي الطامة الكبرى .

ولذا حذر الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته بعد انتصارهم في غزوة بدر فقال " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قالوا وما الجهاد الأكبر قال صلى الله عليه وسلم "جهاد النفس" وكذلك قال صلى الله عليه وسلم يوماً لأصحابه " والله ما الفقر أخشى عليكم وإنما أخشى عليكم أن تبسط لكم الدنيا فتتافسوها كما تنافسوها فهلككم كما أهلكتهم" وصدق الحق جل وعلا حين قال {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم}. وبذلك أصبحت ممالك الصليبيين كالجزر وسط محيط من الأعداء، ومع ذلك كتب لها الاستمرار ١٩٦ سنة حتى تم اقتلاع آخرها!! بسبب الإمدادات والحمالات التي كانت تأتيهم بين فترة وأخرى، وبسبب ضعف المسلمين وتشرذمهم، وعدم استغلالهم لفرصة انسياب وانتشار الصليبيين على مساحات واسعة من الأرض بأعداد قليلة ليقضوا عليهم، ولكن المسلمين تأخروا حتى قويت شوكة الصليبيين وأصبح من الصعب اقتلاعها .

## تاسعا: العهد العثماني وبنوا إسرائيل

خضعت فلسطين للحكم العثماني في عام ٩٢٣هـ ، ودام حكمهم فيها مدة أربعة قرون إلى عام ١٣٣٦هـ وقد بدأت الصهيونية تخطط لتحقيق حلم اليهود بالعودة إلى أرض الميعاد في فلسطين منذ القرن الحادي عشر الهجري . غير أن أوضاع اليهود في شرق أوروبا وفرنسا في القرن الثالث عشر الهجري حفزت الصحافي اليهودي تيودور هرتزل زعيم الصهيونية لمقابلة السلطان عبدالحميد الثاني في عام ١٣١٤هـ

وطلب منه الحصول على مستعمرة واحدة لليهود بالقرب من القدس مقابل دعم مادي كبير يدفعه اليهود للدولة العثمانية . غير أن السلطان عبدالحميد(رحمه الله) رفض الطلب بشدة . وفي عام ١٣١٤هـ ، عقد الصهاينة أول مؤتمر لهم في مدينة بال بسويسرا حيث وضعوا برنامجا للعمل حددوا بموجبه أهدافهم ووسائلهم لإحتلال فلسطين . وكرر الصهاينة محاولتهم لإقناع السلطان عبدالحميد بمطالبهم في عام ١٣٢٠هـ وعرضوا عليه هذه المرة تسديد جميع ديون الدولة العثمانية وبناء أسطول لها على حسابهم وتقديم قرض كبير لها دون فوائد مقابل أن يسمح لهم السلطان عبدالحميد بإقامة مستعمرة في القدس . ومن هنا كانت نقمة الصهاينة على السلطان عبدالحميد الثاني مما جعلهم يطلقون عليه السب والشتائم ومنها قولهم البذئ " إنه الرجل المريض " وتآمرهم عليه مع جمعية الإتحاد والترقي (بزعامة مصطفى كمال أتاتورك) التي أطاحت به عام ١٣٢٧هـ. إثر إنقلاب عسكري عليه وتغير موقف اليهود بعد خلع السلطان عبدالحميد وبدأت هجرتهم إلى فلسطين . فبعد أن كان عددهم لايتجاوز (٢٠٠٠٠) في عام ١٢٩٨هـ ، أصبحوا (٥٦٠٠٠) في عام ١٣٣٧هـ .

## الباب السابع

### الصهيونية

#### أولا : الصهيونية و بنوا إسرائيل

لقد قدم د. وليد الخالدي بحثا رائعا بين فيه ما قام به بنوا إسرائيل من إعداد مجموعة الصهيينة وإحتلال قطعة من أرض المسلمين نذكره الآن بتصريف يسير لتعلم الأجيال الحالية ما قام به الصهيينة من حروب وتدمير وأنهم لا يرقبون في المسلمين إلا ولا ذمة وكم نقضوا من عهود وكم خدعوا من قادة ورغم تحذير الحق سبحانه وتعالى لنا في قوله تعالى " إنهم يكيدون كيدا " إلا أن المسلمين تركوهم حتى تحقق لهم ما أرادوا .

فإليك عزيزي القارئ المراحل والتطورات التي أعدها وكيف أشرفوا على تنفيذها خطوة خطوة وكأنهم يقرأون كتابا مفتوحا فلم تتخلف لهم خطة ولم يصيبهم الوهن لهزيمة وانما هم حريصون كل الحرص على تحقيق أهدافهم مهما كانت التضحيات فيا قومنا أفيقوا واقراء التاريخ والأحداث جيدا ليتسنى لكم معرفة فكر وخطر عدوكم قبل فوات الآوان .

فقد كنا نتعجب حين نقرأ عن سقوط الأندلس وضياعها من التاريخ إلى الأبد فإذا بنا بكارثة أفجع منها في العصر الحديث على مرأى ومسمع من الحرية والديمقراطية فدمرت العراق، وفلسطين الآن تترنح تحت ضغط الإحتلال فيا قومنا " أليس منكم رجل رشيد وإليكم الأطوار التي دبرها الصهيينة لإحتلال فلسطين .

#### أول مؤتمر للصهاينة

في كازينو بلدية بازل في سويسرا في ٢٩ آب (أغسطس) عام ١٨٩٧ افتتح المؤتمر الصهيوني الأول بدعوة من الصحفي اليهودي الهنغاري تيودور هرتزل ووضع الحجر الأساس للمنظمة الصهيونية التي انبثقت عنها "إسرائيل" بعد نصف قرن وهي المنظمة التي ما زالت تمد الدولة اليهودية منذ لحظة ولادتها إلى يومنا هذا بكل أصناف المؤازرة والدعم.

بافتتاح المؤتمر الصهيوني الأول وبتأسيس المنظمة الصهيونية زرعت بذور ما سمي بالقضية الفلسطينية والأدق أن يسمى بالصراع الصهيوني - العربي الذي انطوى على ما انطوى عليه من سعي دؤوب عنيد من قبل الصهيونية لقلب موازين القوى الراهنة في فلسطين وجوارها وإحداث ثورة جذرية في الأوضاع القائمة فيها على المستويات كلها وعلى حساب شعوبها .

إذ غدت "إسرائيل" اليوم بعد مئة عام وعبر سلسلة من التطورات المحلية والإقليمية والدولية وما رافقها من ويلات وحروب، الدولة العظمى في موضع القلب من الوطن العربي بين محيطه وخليجه وباتت الأمة العربية أمام خطر أدهى وأعظم من كل ما سبق أن هدها منذ إندحار الصليبيين والمغول ووضعت علامة استفهام كبرى على مجمل مصير المشرق العربي ومستقبله.

واستند الفكر الصهيوني في كل هذا (وحتى العلماني منه) إلى مقدمة (**Premise**) أساسية "أخلاقية عجيبة مفادها أن الصلة التاريخية القديمة المزعومة بفلسطين وإن انقطعت منذ آلاف السنين تمنح اليهود المعاصرين اليوم حيثما كانوا أحقية في الحقوق السياسية المصرية تعلقوا على حقوق سكان فلسطين وجوارها من غير اليهود منذ آلاف السنين وتبرر في نظرهم اقتلاع أهلها والحلول محلهم باسم "إحقاق الحق" عن طريق "عودة" اليهود من "شتاتهم" إلى البلاد "الأصل" . واستغل الفكر الصهيوني الدعم المعنوي من هذه المقولة المزعومة وكذلك من نظرة الإستعلاء التي اختلقها الصهاينة على سائر الشعوب

وليس هذا فحسب بل رفض الفكر الصهيوني منذ المؤتمر الصهيوني الأول رفضاً قاطعاً أي ربط بين الفعل الصهيوني البادئ وردة الفعل العربية التالية له واعتبر منذ أن رأى النور أن حصانته المعنوية تجاه من ستقع وطأته عليهم أمر مسلم به سلفاً بل حق أزلي لليهود لا جدال فيه ولا نقاش.

وإذا كانت مجريات التاريخ أحياناً أعجب من الخيال فمن أعجب مجريات التاريخ تطور الحركة الصهيونية منذ بداياتها أواخر القرن التاسع عشر وبخاصة منذ مؤتمر بازل الأول إلى ما وصلت إليه اليوم.

## ثانياً: ما هي أطوار الصهيونية ومراحلها الكبرى كما تبدو لنا؟

ومن الممكن أن نختصر مراحل تطور الصهيونية في أربعة أطوار رئيسية تنقسم بدورها إلى مراحل مميزة ؛ ونعتبر نهاية كل طور منها محطة مفصلية تتلوها مراحل تشكل في تراكم آثارها التقدم نحو المحطة التالية وهي تلخص نمو الصهيونية من البدايات :

فأول طور اقتصر عملياً على البكاء على الأطلال (وهي حائط المبكى) ثم تطور إلى وضع هيمنة "اسرائيل" على المشرق العربي الذي نعيش اليوم في وسطه. وها هي البدايات التي مثلت البنية التحتية لكل ما تلاها من أحداث إلى أن اكتملت عناصر نجاح الحركة الصهيونية اللازمة بوعد بلفور الذي صدر عام ١٩١٧:

- ١- تعبئة للإرادة السياسية اليهودية الهادفة .
- ٢- بلورة فكرة الدولة اليهودية كحل "للمعضلة اليهودية"
- ٣- اتفاق على برنامج تنفيذي لتحقيق الدولة .
- ٤- تأسيس الحركة الصهيونية في إطار تمثيلي تشريعي أعلى تحت مسمى (المؤتمر الصهيوني والمنظمة الصهيونية)
- ٥- خلق الآليات المركزية القومية المنفذة ميدانياً من مؤسسات جباية واستثمار
- ٦- تدشين الدبلوماسية والدعاية الصهيونية الدولية .
- ٧- وضع الأسس التنظيمية السياسية للجانبايات اليهودية في بلاد الشتات .
- ٨- الحصول على دعم الدولة الإحتلالية العظمى حينذاك وهي بريطانيا.

وكانت فكرة الدولة اليهودية مجرد حركة يهودية اوروبية المنشأ ظهرت في أوائل الثمانينات من القرن قبل الماضي ١٨٩٠ غايتها العامة الهجرة إلى فلسطين بحجة "العودة إليها بدوافع



دينية أو دنيوية أو خليطة بينها بهدف استيطانها أملاً بيوم آت أو غير آت يتم فيه إعادة تأسيس الدولة اليهودية فيها.

ومن ثم إنتقلت مجموعات من اليهود إلى فلسطين عبر العصور إثر الفتح الإسلامي لغايات دينية صرفة من زيارة بل إن الأوساط الدينية اليهودية وحتى بعد ظهور الصهيونية السياسية بمفهوم هرتزل والى الأمس القريب ظلت في سوادها الأعظم مناهضة للصهيونية على اعتبار أن "عودة" الشعب اليهودي الجماعية إلى فلسطين إنما هي مرهونة بالإرادة الإلهية وظهور المسيح وإن أي محاولة لإستباق هذه الإرادة بالمبادرة السياسية البشرية إن هي إلا بدعة تنبذها تعاليم الدين ولا تقرها إطلاقاً.

ومع هذا وجدت في فلسطين قبيل ظهور الحركة الصهيونية جاليات يهودية متدينة نصفها من اليهود الشرقيين (السفرديم) والنصف الآخر من الأوروبيين (اشكناز) على عداوة وخلاف مزمن مع بعضهم بعضاً؛ أقامت في المدن الأربع المقدسة في نظرهم (الخليل والقدس وطبريا وصفد).

وسبب إستقرارهم في هذه الأماكن هو زعمهم أن العيش خارج هذه المدن والعمل لكسب العيش في أي حرفة أو صنعة كانت إنما هو منافٍ للدين يصرفهم عن التعبد والصلاة فكانوا لذلك عائلة دائمة على ابناء دينهم في اوروبا حيث جمعت لهم الصدقات سنوياً كسباً للأجر والثواب لسد حاجاتهم المعيشية ووفق نظام عرف بـ"المالوكا" وكان عدد هؤلاء اليهود المدعين للدين المقيمين في فلسطين عند بدء الحركة الصهيونية في أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر حوالي ٤٠،٠٠٠ وكان البكاء عند حائط البراق ("حائط المبكى") بالقدس من أهم أعرافهم بدأ العمل به في أوائل القرن السادس عشر ميلادي بعد دخول العثمانيين المدينة علماً بأن العرف الأقدم كان الوقوف على جبل الزيتون شرقي القدس في مناسبات معينة لتأمل ما اعتبر موقع الهيكل المزعوم والتحسر على أطلاله.

### ثالثاً : بذور الصهيونية :

سبق عدد من مفكري اليهود هرتزل في بلورة الفكر الصهيوني أهمهم خمسة:

١- كاليشير (١٧٩٥-١٨٧٤)

٢- وموزيس هس (١٨١٢-١٨٧٥)

٣- وينسك (١٨٢١-١٨٩١)

٤- وموهيليفر (١٨٢٤-١٨٩٨)

٥- وغيتبرغ (١٨٥٦-١٩٢٧).

وكان لكل منهم رأى خاص بهذه القضية نعرضها كالاتى :-

١- فقد تحدى الحاخام كاليشير الروسي المولد الإجماع الديني السائد بأن أفتى بأن العمل الميداني الإستيطاني في فلسطين يجب أن يسبق ظهور المسيح المنتظر وأن المعجزة الربانية في خلاص اليهود ستلي حتماً مثل هذا العمل ، فزرع بهذه الفتوى "المارقة" بذور التوليف اللاحق بين الصهيونية والفكر الديني اليهودي.

٢- وجزم موزيس هس الألماني المولد والإشتراكي العلماني زميل كارل ماركس بإستحالة النهوض باليهودية في الشتات الأوروبي المسيحي وبوجوب إقامة دولة يهودية في فلسطين كشرط مسبق لإعادة إحياء اليهودية سياسياً وكان على قناعة بأن الدول المسيحية وعلى رأسها فرنسا ستقدم العون لليهود لتحقيق هذا الهدف .

٣- وحذر بنسك الروسي المولد من الوهم بأن اللاسامية على طريق الإضمحلال نظراً لأن اليهود يعتبرون أغراباً حيثما وجدوا وأنه كلما وصل عددهم في أي بلد ما "حد الإشباع" نتج اضطهادهم تلقائياً تبعاً لذلك، ودعا إلى إنشاء مركز قومي وسياسي خاص بهم من دون تحديد مكانه وإلى تنظيم مؤتمر قومي لاختيار البلد وتنظيم الهجرة إليه.

٤- وصب فكر الحاخام موهيليفر الروسي المولد في مصب فكر سلفه كاليشير إذ دعا إلى دراسة علوم الزراعة إضافة إلى الدراسات الدينية وذهب في حثه على الإستيطان إلى القول "بأن الله يفضل أن يعيش مع ابنائه في أرضهم (فلسطين) حتى ولو لم يتقيدوا بتعاليم التوراة على أن يظلوا في الشتات متقيدين بها".

٥- وشدد غيتبرغ الروسي المولد على أن الدولة اليهودية المرجحة لا يجوز أن تكون ملجأ فحسب للشعب اليهودي وأنه لا بد من فترة إنتقال طويلة قبل إنشائها يتم فيها عن طريق تثقيف الذات قومياً وروحياً التخلص من أدران الشتات البغيضة ومن الميوعة في الأخلاق اليهودية والترعة الجانحة إلى تقليد الغرب، لذلك وقف موقف الناقد لحركة الإستيطان الصهيونية الجارية قبل المؤتمر الصهيوني الأول وبعده.

ولأن هناك نظرة موعلة في التشاؤم بالنسبة لأوضاع اليهود المستقبلية في البلاد الأوروبية يردفها نفور من الرعة اليهودية المتزايدة إلى الإندماج فيها مع تأكيد على وجوب المحافظة على الهوية اليهودية التراثية وثبوتها ولذلك قرروا اللجوء إلى فلسطين عن طريق هجرة إستيطانية جماعية إليها.

وزاد من هذا الشعور هو ظهور اللاسامية الأوروبية العلمانية منذ أواسط القرن التاسع عشر المتزامنة مع منح اليهود الحقوق المدنية الكاملة في معظم الدول الأوروبية خلال القرن الماضي بتأثير الثورة الفرنسية كما أحدثت تشريعات " نابليون " صدمة نفسية عنيفة لدى اليهود قاطبة حتى في الأوساط الداعية إلى الإندماج والتكيف في أوطانهم الأوروبية بوحى من تعاليم المصلح اليهودي الأمانى موزز مندلسون (١٧٢٩-١٧٨٦)

واللاسامية العلمانية رافقت ظهور العقيدة القومية الأوروبية القائمة على مبدأى : -

- النقاء العنصري

### -والدولة الامة Nation State

على أن تكون هذه الدولة متأثرة بالنظرية الداروينية التي اكتسحت دول أوروبا خلال القرن فجاءت لتضيف بعداً معاصراً للبعد اللاهوتي لعداء أوروبا لليهود المتوارث منذ نشوء المسيحية. وعبر عن هذه اللاسامية الحديثة عدد من مفكري الغرب في كتب تدل عناوينها على فحواها ومن أشهرها :

١- كتاب "التفاوت بين الأجناس" لغويينو الفرنسي الصادر عام ١٨٥٣ ،

٢- كتاب مار الالماني بعنوان "انتصار اليهودية على الالمانية" عام ١٨٦٩ "

٣- كتاب درومنت الفرنسي بعنوان "فرنسا اليهودية" عام ١٨٨٦ .

ولعل محاكمة الضابط اليهودي في الجيش الفرنسي دريفوس عام ١٨٩٤ من أشهر الأحداث المرتبطة بانتشار اللاسامية العلمانية في أوروبا الغربية، وحضرها هرتزل بصفته الصحفية وكان لها الأثر الحاسم في تطور عقيدته الصهيونية.

ولم تمض سنتان على حضور الصحفي المنغاري هرتزل محاكمة دريفوس حتى وضع مقال بالالمانية عام ١٨٩٦ يحتوي (٢٣،٠٠٠ كلمة) بعنوان "دولة اليهود" واعقبه بالدعوة الى انعقاد مؤتمر يهودي عام لتنفيذ ما ورد فيه .

مع أن هرتزل لم يأت بجديد في تشخيصه للمعضلة اليهودية أو في وصفه للدولة اليهودية كعلاج لها ؛ لكن الجديد كان في طرحه المنهجي الهادىء وتوكيده الواثق على الدولة كحل أكيد لما يعانيه اليهود في المجتمعات الغربية واطمئنانه التام إلى إمكان تحقيق الدولة عبر مقترحاته.

واعتبر هرتزل أن فكرة الدولة وامكان تحقيقها تحتوي على قوة كامنة قادرة على تحريك الشعب اليهودي وأن اللاسامية الحديثة جعلت من اليهود الذين فرقتهم تيارات التنوير والأندماج شعباً **Volk** واحداً متحداً وأعظم قوة من ذي قبل وأن القضية اليهودية ليست قضية دينية أو اجتماعية (وإن اتخذت هذه الأشكال أحياناً) ولكنها في الصميم قضية قومية وأن لا بد من تحويلها إلى قضية سياسية دولية لكسب التأييد الدولي للدولة اليهودية كحل لها.

## رابعا : فلسطين أم الأرجنتين

واقترح هرتزل لتحقيق الدولة قيام هيتينين :

١- "جمعية اليهود" **Society of Jews**

٢- الشركة اليهودية **The Jewish Company**

واعتبر الجمعية الأداة السياسية ذات سلطة التقرير : -

على أن تقوم بكل الأعمال السياسية المطلوبة من توعية الرأي العام اليهودي والعالمي ؛ إلى تنظيم الهجرة الجماعية ؛ إلى إختيار البلد المهاجر إليه ؛ إلى إجراء المفاوضات مع الدول الكبرى للحصول على "البراءة" والتي تعترف بالسيادة اليهودية على البلد المختار. أرايت عزيزى القارئ : آى بلد مختار فى ذلك الحين لم تكن لديهم نية محددة تجاه الإستيطان فى فلسطين ولم يكن لديهم اهتمام بالأماكن المقدسة التى يزعمونها الآن !!!!!!!

ويذكر أن هرتزل لم يحدد هذا البلد فى كتابه بل تساءل "هل يكون البلد فلسطين أم الأرجنتين؟ سنأخذ ما يعرض علينا وما يختاره الرأي العام اليهودي".

أما الشركة : - فتتولى جمع المال ؛ وتنظيم التجارة والصناعة فى البلد المختار ؛ وتصفية ممتلكات اليهود فى أوروبا ؛ وشراء الأراضى ؛ ومدّ المهاجرين بالمساكن والأدوات والقروض وتكون الشركة مساهمة محدودة برأس مال قدره مئتا مليون دولار تسجل فى لندن تحت الحماية البريطانية . أما المال فأسهل مصدر للحصول عليه هو كبار الممولين اليهود فإن تعذر فىحصل عليه من البنوك الصغيرة وإن تعذر فمن الإكتتاب الشعبى اليهودي .

وقبل المؤتمر الصهيونى الأول وعند بداية الهجرة الإستيطانية إلى فلسطين فى أوائل الثمانينات من القرن قبل الماضى كان عدد يهود العالم ٧،٧٥٠،٠٠٠ وكانت أعلى نسبة منهم :

- (حوالى ٧٥ فى المئة) تقطن بلاد أوروبا الشرقية وبخاصة روسيا

- تليها يهود أوروبا الوسطى والغربية (١٥،١٣ فى المئة)

- ثم يهود الدول الآسيوية (٨ فى المئة)

- بينما نسبة يهود الولايات المتحدة لم تتعد ٣،٥ فى المئة.

وكان أكبر مستودع بشري يهودي يضم حوالى خمسة ملايين منهم يخضع للحكم القيصري الذى حصر اقامتهم فى مقاطعاته الغربية البولندية من دون سائر أنحاء روسيا وعرفت هذه المقاطعة التى امتدت من بحر البلطيق إلى البحر الأسود وضيق عليهم وتكررت الهجمات

الجمهورية الروسية التي عرفت بالبرغوم على الجاليات اليهودية فيها مما دفعها الى الهجرة خارج روسيا فتدفقت جموعهم نحو الولايات المتحدة الأمريكية ودخلها منهم ٦٠٠,٠٠٠ بين ١٨٨١ و ١٨٩٩ و ١,٤٥٠,٠٠٠ آخرون ما بين ١٨٩٩ و ١٩١٤.

مقارنة بهذه الهجرة لمئات الآلاف من اليهود إلى الولايات المتحدة لم تزد هجرة اليهود إلى فلسطين بدافع الصهيونية خلال الفترة ذاتها أي في العقدين السابقين والتالين للمؤتمر الصهيوني الأول (١٨٨٠-١٩١٤) على ٥٠,٠٠٠ وجاءت هذه الهجرة في موجتين:

١- الأولى من "الفناء" ومن رومانيا بين ١٨٨٢-١٩٠٣ وعددها حوالي ٦٠٠٠

٢- الثانية معظمها من "الفناء" بين ١٩٠٤-١٩١٤ وعددها حوالي ٤٠,٠٠٠.

وعلى رغم قلة عدد هؤلاء المهاجرين فقد كان لدخولهم فلسطين في هذه الفترة بالغ الأثر على مستقبل الحركة الصهيونية ذلك أنهم شكلوا النواة البشرية اللازمة للمجتمع الصهيوني الجديد المزمع انشاءه من حيث نظرتهم الاستعمارية على أهل البلاد من العرب وطموحاتهم القومية وخبراتهم المتنوعة المستقاة من بيئة "الفناء" القاسية ونظرياتهم الاجتماعية حصيلة إحتكاكهم بتيارات روسيا وأوروبا الفكرية عشية الثورة البلشفية.

وضع المؤتمر الصهيوني الأول بزعامة هيرتزل برنامج الحركة الصهيونية الذي عرف "برنامج بازل" واستمر العمل به إلى أن حل محله عام ١٩٥١ "برنامج القدس" الذي وضع في أول مؤتمر يعقد بعد قيام دولة "إسرائيل". وحدد البرنامج غاية الصهيونية بالألمانية على أنها "خلق مسكن (Heimstätt) للشعب اليهودي في فلسطين يضمه "القانون العام" وأقرب تعبير بالانكليزية لـ Heimstätt هو Homestead الذي يعني "مكان منزل المرء"

وكان هدف هيرتزل من الإصرار على هذه الصياغة، وهو الداعي جهاراً إلى قيام الدولة اليهودية، التخفيف من مخاوف كل من الدولة العثمانية وحلفائها والمتدينين اليهود وكبار اثرياتهم من دعاة الإندماج بالاجتمعات الأوروبية فأرسي بذلك سابقة في التمويه على الهدف من دون التخلي عنه أصبحت من أهم ركائز الاستراتيجية الصهيونية فيما بعد.

أما الوسائل التي حددها برنامج بازل لتحقيق الغاية المعلنة فهي:

١ - الاستيطان الزراعي وغير الزراعي.

٢ - تنظيم الشعب اليهودي بأسره.

٣ - تعزيز الشعور بالهوية اليهودية.

٤ - الاتفاقات مع الحكومات لتحقيق هدف الصهيونية

وهي وسائل لا تزال تعمل الصهيونية بما إلى يومنا هذا علماً بأن المؤتمر الصهيوني الأول بدأ سلسلة مؤتمرات لم تنقطع منذئذٍ كان آخرها المؤتمر الثاني والثلاثين المنعقد في القدس عام ١٩٩٢.

### **خامسا : من لا يملك أعطى لمن لا يستحق !!!!**

وصل هرتزل مبكراً إلى قناعة راسخة بأن أولى أولويات العمل الصهيوني يجب أن تكون الحصول على "براءة" شرعية لاستيطان فلسطين من الدولة العثمانية ولا شك في أن نموذجية للبراءة كانت تلك البراءات التي منحتها الدول الإحتلالية الكبرى بريطانيا وهولندا عبر القرون إلى شركات خاصة للإستثمار والاستيطان في مناطق اسبوية وافريقية

بدأ بـ "شركة الهند الشرقية" البريطانية في أوائل القرن السابع عشر وانتهاء بالبراءة التي منحتها الحكومة البريطانية عام ١٨٩٩ إلى "شركة افريقيا الجنوبية" التابعة لسيسل رودس لإحتلال منطقة "الزمبيزي"

واستعان هرتزل بقيصر المانيا للتأثير على السلطان عبدالحميد عام ١٨٩٨ فسأله القيصر "قل لي بكلمة ماذا تريدني أن اطلب من السلطان" فأجاب هرتزل "شركة ذات براءة تحت الحماية الالمانية" وفشل هرتزل في مساعيه مع القيصر كما فشل في مساعيه مع السلطان عبدالحميد الذي قابله عام ١٩٠١.

وعلى إثر فشله هذا لدى اسطنبول اتجه هرتزل في سعيه نحو مانحة البراءات العظمى: بريطانيا... وفي عام ١٩٠٢ قابل وزير المستعمرات البريطاني جوزيف شميرلين واقترح هرتزل عليه استيطان منطقة العريش في سيناء فوافق شميرلين إلا أن المحادثات مع الحكومة المصرية اخفقت فما كان من شميرلين نفسه إلا أن عرض عام ١٩٠٣ على هرتزل براءة لاستيطان افريقيا الشرقية

ولحرص هرتزل على الحصول على براءة من بريطانيا بالذات اقترح على المؤتمر الصهيوني السادس عام ١٩٠٣ إيفاد بعثة لتقصي أوضاع المنطقة الافريقية المقترحة مما اثار معارضة شديدة داخل المؤتمر اتهمت هرتزل "بخيانة الصهيونية" لتخليه عن فلسطين.

ومع أن مشروع افريقيا لم يتحقق وتوفي هرتزل في العام التالي فقد نجح هرتزل في تنبيه حركته إلى أهمية البراءة القصوى كما نجح عبر المؤتمر الصهيوني واتصالاته مع صانعي القرار في وضع الحركة الصهيونية على خريطة الدبلوماسية الدولية وفي استدرار عرضين استيطانيين من اكبر عاصمة استغلالية في العالم ألا وهي بريطانيا آنذاك .

وقامت خلال هذه المرحلة اثناء حياة هرتزل وبعد وفاته بعض أهم المؤسسات الصهيونية وعلى رأسها المنظمة الصهيونية ذاتها التي اصبح المؤتمر هيئتها التشريعية والسياسية العليا وضمنت المنظمة امكان كسب قاعدة شعبية لها على اسس تمثيلية ديمقراطية عبر نظام "الشاقل" بقيمة رمزية قدرها مارك واحد أو فرنك أو شلن ينتخب كل مئة دافع شاقل ممثلاً واحداً عنهم في المؤتمر.

وأمن هذا المصدر دخلاً لتغطية نفقات المؤتمر ذاته ونفقات لجنته التنفيذية ومكتبها المنبثقتين عنه عن طريق الانتخاب ايضاً. وضمنت هذه الترتيبات استمرار المنظمة كمؤسسة لا ذاتية تؤمن انتقال السلطة بالتتابع. وقام التنظيم الصهيوني في مختلف البلاد على أساس اللامركزية والتوافق مع القوانين المرعية .

فارتبطت الجمعيات الصهيونية الخلية طوعاً باتحاد عام **Federation** لكل بلد ارتبط بدوره باللجنة التنفيذية المركزية وأقر مبكراً مبدأ التعددية واضيف لتنظيم الاتحادات الافقي



تنظيم عمودي افسح المجال لانضمام أحزاب عقائدية غير مرتبطة ببلد معين عرفت بالاتحادات المنفصلة **Separate Unions** انتسبت عن طريقها إلى المنظمة فئات اشتراكية وتمدنية. وهكذا ورغماً عن المعارضة الشديدة التي واجهتها الصهيونية في بادئ الأمر من الاندماجين ومن المتدينين عموماً، أوجدت الأطر والمبادئ الكفيلة بتوسيع دائرة التأييد لها إلى أقصى الحدود عند توفر الظروف الملائمة وغدت المنظمة الصهيونية الهيئة اليهودية القادرة على الادعاء بصداقية بتمثيل الشعب اليهودي بأسره.

إضافة إلى المنظمة الصهيونية، تأسست مؤسستان خطيرتان رسميتان أخريان اثناء حياة هرتزل بقرار من المؤتمر (الإستعماري) الاحتلالى الإغتصابى اليهودي **Jewish Colonial Trust** (عام ١٨٩٩) والصندوق اليهودي القومي **Jewish Fund National** (عام ١٩٠١).

أما الصندوق الاستعماري :-

وهو الهيئة المالية الرئيسية للمنظمة الصهيونية، فكان التجسيد لفكرة "الشركة اليهودية" التي ذكرها هرتزل في كتابه "دولة اليهود" والمرشحة لاستلام البراءة من مانحها وتأسس الصندوق في لندن كشركة مساهمة محدودة برأس مال معلى قدره مليوناً جنيهاً اكتتب منه حوالى ٤٠٠,٠٠٠ جنيه فقط بسبب إحجام كبار الممولين اليهود عن المساهمة فيه، بيد انه لاقى تجاوباً واسعاً لدى الفقراء اليهود الذين اقبلوا على شراء أسهمه بسعر جنيهاً واحداً للسهم، لكونه يجمع للمرة الاولى في تاريخ المؤسسات اليهودية بين هدفي الربح المادي والخدمة القومية. وتفرع عن الصندوق عدة شركات مصرفية بدت على انها الأدوات الميدانية الصهيونية المفضلة آنذاك واهمها :-

- "شركة الانجلو بالستين" (١٨٠٣)

و"شركة انجلو ليفانتين المصرفية" (١٩٠٨)

- و"شركة تطوير اراضي فلسطين" **Development Palestine Land Co. ( 1908 )** وجميعها سجلت في لندن كشركات مساهمة محدودة وأسس "الانجلو بالستين" فروعاً لها في كل من بيروت والقدس ويافا والخليل وحيفا وصفد وطبريا، بينما أسست "الانجلو ليفانتين" فرعاً في اسطنبول،

– اما "شركة تطوير أراضي فلسطين" فأصبحت الأداة الرئيسة لشراء الأراضي باسم "الصندوق القومي اليهودي" وهو الصندوق الذي خصص لتمويل شراء الأراضي في فلسطين على أن تبقى ملكاً للشعب اليهودي غير قابل للتصرف وتوَجَّر لليهود من دون سواهم ولا يسمح لغير اليهود العمل فيها.

وتم تسجيل الصندوق في لندن كشركة "محدودة بالكفالة وبدون رأس مال موزع في اسهم"، وقام الصندوق على أساس الحماية الشعبية بواسطة طوابع بريد وصناديق صغيرة خاصة وضعت في المنازل والمؤسسات العامة حيثما وجدت جاليات يهودية في العالم ، فخلق بذلك حلقة واسعة من اليهود العاديين المؤيدين مباشرة لأهداف الصهيونية. والصندوق، وإن لم يلعب دوراً حاسماً في شراء الأراضي في هذه المرحلة بالذات، فإنه لعبه في الطور المقبل وهو على كل حال جسد منذ البداية عبر المبادئ التي قام عليها خطوط الاستراتيجية الصهيونية الاقتصادية الكبرى الهادفة الى انشاء اقتصاد مستقبل منفصل عن اقتصاد عرب فلسطين قاعدة لقيام الكيان السياسي عليها لاحقاً.

ومن أهم المؤسسات الصهيونية في هذه المرحلة، إن لم يكن أهمها ميدانياً، مكتب فلسطين **The Palestine Office** الذي تأسس عام ١٩٠٨ وعكس في نشاطاته توجهه الحركة الصهيونية بعد وفاة هرتزل وتجميد السعي للحصول على البراءة نحو العمل الاستيطاني المكثف .

وتولى إدارته البيروقراطي البروسي ارثور روين (١٨٧٦-١٩٤٣) الذي جعل من المكتب الهيئة المشرفة العليا على كافة النشاطات الصهيونية في فلسطين، ونسق من خلاله عمليات شراء الأراضي، من قبل المؤسسات الصهيونية الرسمية أو من قبل شركات خاصة أو أفراد ووضع خطة جغرافية **geopolitical** لشراء الأراضي تعتمد وجوب الاستيطان المتصل على محاور ثلاثة:

اولها : السهل الساحلي بين يافا وحيفا،

وثانيها : السهل الداخلي بين حيفا وطبريا،

وثالثها : حوض الاردن من طبريا الى اعالي النهر،

وهي الخطة التي تم تنفيذها في الطور التالي وارست البنية التحتية الارضية للدولة اليهودية. وروبين هو الذي رعى في هذه المرحلة التجارب الأولى للقربة الجماعية التعاونية (الكيبوتس) التي اصيحت لاحقاً رأس حربية في اعقاب وعد بلفور.

وتميزت هذه المرحلة ايضاً بظهور تنظيم عمالي حزبي بين صفوف مهاجري الموجة الثانية (١٩٠٣-١٩١٤) انبثق عن حزب "بوعالي زيون" الماركسي والروسي الاصل وتزعم التنظيم الفلسطيني منه ديفيد بن غوريون الروسي البولوني الاصل (١٨٨٦-١٩٧٣) الذي دعا الى ضرورة تكييف النظريات الماركسية والاشتراكية الدولية مع ظروف العمال اليهود في فلسطين، ذلك ان هؤلاء يسعون الى تأسيس وطن قومي لهم فيها فطالب بـ"الاستيلاء على العمل" **Conquest of Labour** في المستعمرات. والمنشآت اليهودية في فلسطين، اي عدم السماح للعرب بالعمل فيها.

وهكذا تم التلاقي بين القاعدة العمالية الشعبية والمؤسسة السياسية الصهيونية حول وجوب انفصال الاقتصاد الصهيوني عن الاقتصاد العربي، ووضعت اسس التحالف السياسي اللاحق بينهما وفي الوقت نفسه تألفت أول مجموعة عمالية مسلحة يهودية باسم **Hashomer** (١٩٠٨) " الحارس" التي كان من اهم اهدافها اخراج الحراس العرب من المستعمرات اليهودية فجاءت نذيراً مبكراً بما هو آت.

والمفارقة الكبرى طوال هذه الفترة هي حاجة المنظمة الصهيونية إلى المال، بسبب موقف كبار الممولين اليهود منها، غير أن كبار الممولين هم الذين سدوا هذه الثغرة ليس عبر المنظمة أو مؤسساتها، لكن بما قدموه مباشرة الى المواطنين في فلسطين، وكان على رأس هؤلاء الممولين من غير الصهاينة اسماً ( **Non-Zionist**) البارون ادموند روتشيلد (١٨٤٥-١٩٣٥) عميد الفرع الفرنسي للعائلة الذي لولا ما تبرع به لانهار حركة الاستيطان الصهيونية بكاملها ما بين أوائل الثمانينات وعام ١٩١٤،

فقد بلغ مثلاً ما انفقته جمعية "احباء صهيون" وهي اكبر جمعية روسية صهيونية في "فناء الاستيطان" من ثلث عشرات الآلاف من الاتباع، بلغ ما انفقته في فلسطين بين ١٨٨٤ وانهقاد المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧ مليوني فرنك، بينما بلغ ما انفقه روتشيلد بمفرده خلال الفترة ذاتها اربعين مليون فرنك. وهكذا مهما اختلفت دوافع الاطراف اليهودية العدة، فان الظاهرة الواكبة لتطور الصهيونية إلى الآن تشير إلى أن مساعي هذه الأطراف جميعاً تصب دوماً في مصب واحد.

### **سادسا: أثناء الحرب العالمية الأولى :**

إذا كانت الحرب تصنع التاريخ وتحدث تغييرات جذرية في سنين أو أشهر أو حتى أيام ما يحتاج السلم إلى عقود بل إلى قرون للإتيان بمنزلها فإن الحرب العالمية الأولى خلال السنوات ١٩١٤-١٩١٨ صنعت تاريخ مشرقنا العربي الذي تلاها إلى يومنا هذا.

وزعموا أن الإمبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر "رجل أوروبا المريض" فهذا المصطلح الذي يذكره التاريخ عن الدولة العثمانية آنذاك ، ولكنه مصطلح خاطئ بدليل أنهم عجزوا عن إقناع السلطان عبد الحميد باعطائهم أى براءة ولو لشركات تعمل في بلاده ولكنهم اختلقوا هذا المصطلح ليوهموا الأجيال القادمة بالحالة التي وصلت اليه دولة الخلافة حتى اذا قوضوها يوما ما فلا ييكي عليها باعتبار انها كانت مريضة وليس بعد المرض إلا الموت . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ويؤكد هذا سياسة بريطانيا العظمى الثابتة كانت الحفاظ عليها تجاه اطماع روسيا القيصرية إلى أن قررت بريطانيا إحتلال مصر عام ١٨٨٢ ومنذ ذلك الحين اخذت الهوة تتسع بين اسطنبول ولندن وهكذا عند اندلاع الحرب العالمية الأولى حاربت الدولة العثمانية بجانب المانيا والنمسا و هنغاريا ضد التحالف الثلاثي المؤلف من روسيا وبريطانيا وفرنسا الذي انضمت اليه الولايات المتحدة لاحقاً.

وباشترك اسطنبول في القتال برز احتمال هزيمتها وبالتالي مصر ولاياتها العربية بما فيها فلسطين بعد الحرب وعلى إثر فشل جمال باشا قائد الجيش العثماني الرابع في اقتحام قاة

السويس عام ١٩١٥ واستلام القوات البريطانية المرابطة في مصر تحت قيادة الجنرال اللنبي زمام المبادرة زاد احتمال هزيمة الدولة العثمانية ودخول جيوش اللنبي الولايات العربية وزاد معه نشاط الأطراف المعنية في التداول والتفاوض فيما بينها بالنسبة لمستقبل هذه الولايات. فكانت المحادثات بين الشريف حسين والمندوب السامي البريطاني في مصر

- السير هنري مكماهون (تموز / يوليو ١٩١٥ آذار / مارس ١٩١٦)

ومعاهدة سايكس - بيكو البريطانية - الفرنسية (ايار / مايو ١٩١٦)

- والمحادثات بين بريطانيا وأمريكا والمنظمة الصهيونية (١٩١٥ - ١٩١٧) التي افضت إلى وعد بلفور.

### معاهدة سايكس - بيكو

أما معاهدة سايكس-بيكو فقد عكست اعتراف الحليفين الخاربين الكبيرين التبادل بـ "حقوق" في المشرق العربي كما عكست شرهما على اقتسام غنائم الحرب فيما بينهما والواقع أن هذا الاتفاق الثنائي كان جزءاً من اتفاق ثلاثي ضم روسيا القيصرية وشمل تقسيم الولايات العربية،

ويلاحظ بالنسبة الى الدول العربية المزمع انشاؤها انها محاطة باليابسة لا منفذ لها الى البحر سوى عبر النقب جنوب غزة بينما الساحل اللبناني - السوري يقع تحت الحكم البريطاني المباشر ويقع النصف الجنوبي من العراق والخليج العربي تحت الحكم البريطاني المباشر اما بالنسبة الى فلسطين فنصت معاهدة سايكس - بيكو ان تكون من غزة الى شمال عكا وغرب نهر الاردن تحت حكم "دولي" **International** من دون تحديد صفتة على ان تحكم بريطانيا خليج عكا - حيفا والسهل بينهما.

لم تكن المنظمة الصهيونية عند اندلاع الحرب أو خلالها في وضع تحسد عليه بصفتها منظمة دولية لها فروع في جميع الدول التجارية. فبينما كان مقر لجننتها التنفيذية الرسمي (المكتب) في برلين كان معظم مؤيديها في "فناء الاستيطان الروسي" ومستعمراتها في فلسطين حين أمر جمال

باشا بطرد احد عشر الف يهودي منها لكونهم من التبعية الروسية بينما كانت مؤسساتها المالية الكبرى في لندن، وتمكنت المنظمة ليس من تخطي هذه العقبات الكأداء فحسب بل وايضاً من التقدم بخطوات عملاقة تجاه اهدافها وبرزت المنتصرة الاولى في الشرق الاوسط في تسوية ما بعد الحرب على رغم وجود مقرها في عاصمة الحلف المنهزم، فكيف كان ذلك ؟

كان من الطبيعي أن يفكر مكتب اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية في بادىء الأمر بالانتقال إلى عاصمة محايدة على أنه ما لبث أن أدرك أن انسحابه من برلين سيؤدي إلى فقدان أي نفوذ له فيها، وبالتالي إلى فقدان وسائل التأثير على اسطنبول عبر برلين للتخفيف من تدابير الأولى ضد المستوطنين في فلسطين.

لذلك قرر البقاء في برلين إضافة إلى فتح مكتب له في عاصمة محايدة (كوبنهاجن) ليكون صلة الوصل بينه وبين سائر العالم إلا أن الخطوة الأخطر والأكبر شأنًا كان القرار بنقل مركز النقل للنشاط السياسي الصهيوني إلى الولايات المتحدة لوجود اغنى جالية يهودية في العالم فيها واكبرها خارج "فناء الاستيطان" الروسي ولكون الولايات المتحدة بلداً محايداً حافظ على حياده إلى نيسان (ابريل) ١٩١٧ عندما أعلن الحرب على المانيا من دون الدولة العثمانية ..

وأردف المكتب قراره هذا بإيفاده احد اعضائه ناحوم سوكونوف (١٨٥٩-١٩٣٦) الروسي - البولوني المولد إلى بريطانيا لتمثيل المنظمة فيها وشهدت السنون القليلة التالية الحصيلة العجيبة للتنسيق المحكم بين النشاط الصهيوني الدبلوماسي في كل من البلدين: الولايات المتحدة وبريطانيا .

بلغ عدد يهود امريكا عند اندلاع الحرب العالمية الاولى حوالى ثلاثة ملايين جاء معظمهم من "فناء الاستيطان" الروسي كما اسلفنا. أما النخبة فكان معظمهم من أصل الماني جاؤوا قبل اليهود الروس وكانوا باستثناء أقلية صهيونية من دعاة الإصلاح ( **Reform** ) والاندماج وحرصين على إثبات ولائهم إلى الولايات المتحدة .

فكان شعارهم "هذا البلد فلسطيننا وهذه المدينة قدسنا وبيت الله هذا معبدنا" ولم يتجاوز أعضاء الاتحاد الصهيوني الامريكى عام ١٩١٤ الس. ١٢،٠٠٠ بينما لم تتجاوز ميزانية

١٥,٠٠٠ دولار، إلا أنه لم يلبث أن انقلب الوضع في بضعة سنين ويعود ذلك في أكثره الى فرد يهودي واحد هو القانوني لويس برانديس (١٨٥٦-١٩٤١) الامريكي المولد.

### برانديس والإتحاد الصهيوني

تخرج برانديس في الحقوق من جامعة هارفرد وتخصص في التزاغات بين العمال واصحاب العمل وتبنى جانب المستهلك والعالم واشتهر وسمي "نصير الشعب" وجلب انظار الدوائر الليبرالية وكان من ابرز من اعجب به وودرو ولسن (١٨٥٦-١٩٢٤) رئيس الولايات المتحدة (١٩١٣-١٩٢١) الذي اصبح برانديس من اهم مستشاريه ومن اقرب المقربين لديه وعينه عضواً في محكمة الولايات المتحدة العليا عام ١٩١٦ وهو أول يهودي يحتل هذا المنصب الرفيع.

قبل برانديس طلب المنظمة الصهيونية في آب (أغسطس) ١٩١٤ أي بعد اندلاع الحرب ان يتولى رئاسة اللجنة التنفيذية المؤقتة **Provisional Executive Committee** التي تألفت في الولايات المتحدة وقامت عملياً مقام مكتب المنظمة المعطل في برلين وكان من أول اولوياتها حماية المستوطنين في فلسطين ومدتهم بالمساعدات والمال والتخطيط والتسوية بعد الحرب بالنسبة لفلسطين ولأوضاع الاقليات اليهودية عموماً في اوروبا،

فاندفع برانديس في تنظيم الاتحاد الصهيوني الأمريكي والتجنيد له وفي زيادة موارده وجمع المال والمؤن وارسالها على سفن البحرية الامريكية الى فلسطين واقنع واشنطن بنقل اليهود الذين طردهم جمال باشا الى مصر على هذه السفن ايضاً، وحفز الخارجية الامريكية للتوسط لدى اسطنبول للتخفيف على المستوطنين وبدء سلسلة لقاءات مع سفيرى بريطانيا وفرنسا في واشنطن بالنسبة لمستقبل المشرق، وتم كل هذا بمعرفة الرئيس ولسن ورضاه.

وتصدى برانديس لما له من نفوذ معنوي وسياسي لتهمة "الولاء المزدوج" التي وسمت الصهيونية بما من قبل انصار الاصلاح من اليهود ومن غيرهم من اعدائها فدعا

جهازاً الى رفض نظرية "وعاء الانصهار" **Pot Melting** نموذجاً للمجتمع الامريكى المختلط العناصر وطالب باعتماد "التعددية الحضارية" **Cultural Pluralism** نموذجاً بديلاً معلناً أن "امريكا تعتبر التنوع دون النسق الموحد درب التقدم الصحيح وان كل يهودي امريكى يساعد في استيطان اليهود فلسطين حتى اذا لم يرغب لنفسه او لأحفاده الهجرة اليها يغدو انساناً افضل وامريكياً افضل بهذه المساعدة"

ففتح الباب بذلك للنشاط الصهيوني في امريكا على مصراعيه والى يومنا هذا. وما إن حل عام ١٩١٩ حتى كان عدد اعضاء الاتحاد الصهيوني الامريكى قد قفز نتيجة لذلك الى ١٧٦،٠٠٠ وميزانيته الى ٣ ملايين دولار.

### حاييم وايزمان ومتابعة الإتحاد الصهيونى .

في هذه الأثناء كان يتحرك على الساحة البريطانية زعيم صهيوني اخر هو الدكتور حاييم وايزمان (١٨٧٤-١٩٥٢) الروسي المولد وخريج جامعات المانيا في الكيمياء، وكان وايزمان في المؤتمرات الصهيونية المتعاقبة من اشد المعارضين لسياسة هرتزل القائمة على "البراءة اولاً" ومشروع افريقيا الشرقية بالذات وغادر اوروبا سنة وفاة هرتزل (١٩٠٤) لينتقل نهائياً الى بريطانيا حين التحق بجامعة مانشستر محاضراً في مادة الكيمياء.

وعلى رغم كونه عضواً في لجنة المنظمة التنفيذية إلا أن وايزمان لم يكن عضو مكتب اللجنة وبالتالي لم تكن له صفة رسمية لتمثيل المنظمة . ومع ذلك اصبح لقوة شخصيته ودهائه وسعة اتصالاته القائد الفعلي للدبلوماسية الصهيونية في بريطانيا خلال الحرب. وقد وصف وايزمان نفسه بانه "جنائى" وليس مهندساً فهو يزرع "بصلة" في التربة الخصبة حيثما يجدها ويرعاها جميعاً بعناية وطول نفس الى أن تنضج ويحين قطافها.

ولم يكن الوضع بالنسبة للحركة الصهيونية في بريطانيا ليختلف كثيراً عنه في الولايات المتحدة عند بدء الحرب بأكثرية النخبة اليهودية اندماجية التزعة حريصة كل الحرص على تفادي قومة "الولاء المزدوج" ومناهضة الصهيونية على أساس أن اليهودية دين واليهود لا يشكلون شعباً بحاجة الى وطن غير البلاد التي تقطنها الجاليات اليهودية العدة.



وكانت تمثل هذه الأكتريية النخبوية تجاه الحكومة البريطانية "لجنة مشتركة للشؤون الخارجية" انتظمت فيها الهيئات الرئيسية اليهودية في بريطانيا وكان ابرز قادتها اللورد ادوين مونتاغيو (١٨٧٩-١٩٢٤) الوزير في وزارة كل من هيرت اسكوت (١٩٠٦-١٩٢٢) التي تلتها والتين قادتا البلاد خلال سني الحرب.

على أنه كما في الولايات المتحدة كان للصهيونية بؤر ملتزمة ناشطة ذات صلات واسعة بالمؤسسة الحاكمة البريطانية ما لبث أن اقام وايمان معها أوثق العلاقات ليصبح قائدها ومرشدها في الشؤون الصهيونية ومسخرأ إياها لأغراض منظمتة.

### **سابعا : وعد بلفور ومعاهدة سايكس - بيكو**

وينقسم نشاط وايمان منذ قدومه الى بريطانيا عام ١٩٠٤ وإلى وعد بلفور (١٩١٧) الى اقسام ثلاثة:

١- فترة ما قبل الحرب،

٢- فترة ما تبقى من وزارة هيرت اسكوت (١٩١٤-١٩١٦) في سني الحرب الاولى،

٣- فترة وزارة لويد جورج،

١- ففي الفترة الاولى كانت قاعدة وايمان الأساسية العدائل الثلاثة اليهود الصهيونيين المقيمين في مانشستر الذين عرفوا بـ"عصبة مانشستر" وهم :

- سايون ماركس ابن مؤسسة شبكة مخازن "ماركس اند سينسر" الكبرى

- اسرائيل سيف رئيس الشبكة

- وهاري ساكر كاتب الافتتاحيات في جريدة "المانشستر جارديان" اليومية الواسعة الانتشار لصاحبها شارلز سكوت المسيحي عضو حزب الاحرار في البرلمان والصديق الحميم والمستشار المقرب لـ لويد جورج وزير المال ثم العتاد الحربي في وزارة اسكوت، وخلف اسكوت في

رئاسة الوزارة الذي كان بصفته محام قد مثل المنظمة الصهيونية في الأحداث الخاصة في أفريقيا الشرقية بينها وبين الحكومة البريطانية عام ١٩٠٣ .

ولعل اهم حدث بالنسبة لنشاط وايزمان في هذه الفترة كان مقابلته الاولى لـ آرثر بلفور (صاحب الوعد المشنوم) عام ١٩٠٦ بواسطة عضو البرلمان اخصاف اليهودي الصهيوني شارلز درايفوس بطلب من بلفور الذي كان حريصاً على معرفة الأسباب الحقيقية لرفض المنظمة الصهيونية لمشروع افريقيا الشرقية الذي كانت الحكومة البريطانية قد قدمته اليها عندما كان بلفور نفسه رئيساً للوزارة (١٩٠١-١٩٠٥) وأرست هذه المقابلة اسس صداقة متينة واعجاب متبادل بين وايزمان و بلفور.

٢- وما ان اندلعت الحرب حتى باشرت "المانشستر جارديان" بالدعوة بتوجيه صاحبها سكوت إلى ضم فلسطين في أي تسوية بعد الحرب إلى الامبراطورية البريطانية وبالتحذير من "سقوطها" تحت الحكم الفرنسي حفاظاً على مصلحة الامبراطورية العليا وضماناً لأمن قناة السويس. وفي الوقت نفسه ارتفع صوت من داخل وزارة اسكوت في شخص الوزير هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني (١٨٧٠-١٩٦٣)

- واول مندوب سام بريطاني في فلسطين لاحقاً (١٩٢٠-١٩٢٥) الذي ذهب الى ابعد مما ذهب اليه سكوت (ولم يكن بعد قد قابل وايزمان) واقترح على زميله في الوزارة لويد جورج انشاء دولة يهودية في فلسطين بعد الحرب باسم الحفاظ على امن الامبراطورية البريطانية ايضاً واردف ذلك بعد مقابلة وايزمان بمذكرة خطية الى الوزارة بهذا المعنى في كانون الثاني (يناير) ١٩١٥ ولم يلبث ان تعرف سكوت على وايزمان بواسطة هاري ساكر كاتب الافتتاحيات في "المانشستر جارديان" اياه فعرفه بدوره على صديقه لويد جورج وهكذا وجد وايزمان نفسه في قلب دائرة صنع القرار البريطانية.

ومما زاد في ترسيخ اقدامه داخل هذه الدائرة أنه وهو الكيميائي الماهر اكتشف في هذه الفترة وسيلة لانتاج مادة "الاسيتون" الأساسية لصنع المتفجرات مما ازال اعتماد بريطانيا على استيراد موادها من وراء البحار فعين عام ١٩١٦ رئيساً لمختبر الاميرالية البريطانية (الوزارة البحرية) في لندن ؛ الأمر الذي يسر عليه اتصالاته وقربه أكثر فأكثر من كبار

الوزراء امثال ونستون تشرشل وزير البحرية ولويد جورج وزير العتاد الحربي وآرثر بلفور وزير الخارجية.

وفي هذه الاثناء تبلورت المطالب الصهيوني بإرشاد وايزمان وقدم في تشرين الأول (اكتوبر) "برنامجاً" الى الحكومة البريطانية "لإعادة" استيطان فلسطين من قبل اليهود عن طريق الهجرة الجماعية من الخارج بهدف انشاء "مسكنهم" ( Home ) فيها وعلى اساس الاعتراف بالجنسية اليهودية المنفصلة **Separate Jewish Nationality** على ان تمنح المنظمة الصهيونية "براءة" ( Charter ) تتولها "شركة يهودية" **Jewish Company** لهذا الغرض.

وطالب البرنامج بسلطات واسعة للشركة تتضمن حق الافضلية في الحصول على "أراضي الدولة وأي أراض أخرى... وعلى جميع أو أية إمتيازات **Cojncessronsa** كما طالب بحق إنشاء السكك الحديدية والطرق وشبكات التلغراف والتلفون وبناء الموانئ وأحواض السفن وتأسيس شركات الشحن البحري. ويلاحظ التطابق التام بين برنامج وايزمان مع إزاء هرتزل ومساغيه ومع "برنامج بازل" الذي وضعه المؤتمر الصهيوني الأول.

لم يتأثر رئيس الوزارة اسكويث بهذا كله بل كان هنأ من مذكرة هيرت صموئيل لعام ١٩١٥ وأعرب عن دهشته أن تصدر عنه مثل هذه الأراء الخيالية ولكن ايام اسكويث في الحكم كانت قد قاربت من النهاية.

٣- وتبدأ فترة نشاط وايزمان الثالثة والحاسمة بسقوط اسكويث في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦ وتولى لويد جورج رئاسة الوزارة مع حفاظ بلفور على منصب وزير الخارجية. وفي كانون الثاني (يناير) ١٩١٧ يلتقي وايزمان بسايكس للمرة الأولى وكان سايكس غير مرتاح للصفة الدولية التي نصت عليها معاهدته مع بيكو ذلك ان بمفهوم ١٩١٧ كانت هذه الصفة تعني عملياً حكماً مشتركاً بريطانياً-فرنسياً لم تكن بريطانيا لتسعد له فكانت هذه الأرضية المشتركة بين سايكس ووايزمان علماً بأن سايكس كان المسؤول الأول عن شؤون الشرق الأوسط في الخارجية البريطانية ومساعد سكرتير وزارة الحرب لشؤون المنطقة.

وبدأت منذ هذا اللقاء سلسلة اجتماعات بين الاثنيين نصح سايكس وايزمان فيها بالاكتفاء في تلك المرحلة بصيغة مختصرة لمطالب الصهيونية تعرض على وزارة الحرب عوضاً عن "برنامج ١٩١٦".

ويدخول امريكا الحرب ضد المانيا (وليس ضد الدولة العثمانية) في نيسان (ابريل) ١٩١٧ حرصت بريطانيا على التنسيق مع واشنطن وبرزت أهمية موقع برانديس فيها نظراً لقربه من وونرو وويلسون فرار بلفور واشنطن وقابل كل من ويلسون وبرانديس. وكان برانديس في هذه الاثناء قد تلقى صيغة أولى لمطالب الصهيونية من وايزمان عملاً بنصيحة سايكس كان قد بحثها مع ويلسون قبل مجيء بلفور ولم يبحث بلفور المطالب الصهيونية مع ويلسون مباشرة لكنه اطّلع على معاهدة سايكس - بيكو السرية وبالمقابل بحث هذه المطالب مع برانديس الذي اكد له تأييد ويلسون لها.

وبانتشار أنباء الاتصالات بين الحكومة البريطانية والحركة الصهيونية اشتد في لندن التزاع العلني بين مؤيدي الصهيونية ومعارضيه من اليهود. وكما حصل في الولايات المتحدة عزز التأييد الرسمي الحكومي للصهيونية موقف الفريق الصهيوني تجاه الفريق اليهودي المعارض ولكن في الوقت نفسه اربكت المعارضة اليهودية الشديدة للصهيونية مؤيدي الصهيونية داخل الحكومة البريطانية. وفي ٢٤ ايار (مايو) ١٩١٧ نشرت "اللجنة المشتركة اليهودية للشؤون الخارجية" رسالة في جريدة "التايمز" رفضت فيها المطالب الصهيونية وانكرت أن الشعب اليهودي مشرد ومحااجة إلى وطن لإيوائه.

ففجرت الرسالة اللجنة من الداخل مما افسح المجال لوايزمان أن يطلب من بلفور بالاشتراك مع اللورد ليونيل روتشيلد (١٨٦٨-١٩٣٧) عميد فرع العائلة البريطاني والرئيس الفخري للاتحاد الصهيوني الذي اصبح وايزمان رئيساً له ان تقدم الحكومة البريطانية رسمياً على الاعتراف بالمطالب الصهيونية.

وبين تموز (يوليو) ١٩١٧ اشترك الطرفان البريطاني والصهيوني في إعداد نص لتصريح يصدر عن الحكومة البريطانية بتأييد المطالب الصهيونية، وقدمت مسودة الى وزارة الحرب في ٣ ايلول (سبتمبر) تنص على أن بريطانيا "تقبل مبدأ اعادة تكوين فلسطين مسكناً قومياً

## The National Homea " As Reconstituted " للشعب اليهودي

" ويبدو ان هذا النص كان يلقي تأييداً من بلفور إلا أن اللورد منتاغيو اليهودي المعارض للصهيونية وزير الدولة لشؤون الهند في وزارة لويد جورج عارض اصدار مثل هذا التصريح بشدة جعلت الوزارة تقرر احالة الأمر إلى الرئيس الأمريكي ويلسون للإلتفاف على منتاغيو فلم يصدر عن ويلسون ما ينم عن تأييده له فاستغاث وايزمان بيرانديس وحثه على استصدار تأييد من ويلسون واكد هذا له "عطف ويلسون الكامل" على الصهيونية .

فدخلت الحركة الصهيونية في أزمة ؛ لأن جدول أعمال وزارة الحرب حافل باخطر القضايا المصرية الأخرى وتدخل سكوت مع صديقه لويد جورج لإعادة وضع الموضوع على جدول الأعمال ونظرت وزارة الحرب ثانية فيه بتاريخ ٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٧ وكانت الصيغة قد عدلت أملاً يارضاه منتاغيو فجاءت تنص على ان بريطانيا "تنظر بعطف الى إنشاء مسكن قومي للشعب اليهودي في فلسطين"

## Homea Establishment In Palestine Of A National

جعل الوزارة تقرر إحالة الأمر ثانية إلى ويلسون واستغاث وايزمان مكرراً بيرانديس وحثه على إقناع ويلسون بالاجابة السريعة " **Now** " وارسل اليه نص التصريح المعدل وكان ذلك في ١٠ تشرين الأول / أكتوبر.

وفي ١٣ تشرين الأول قال ويلسون لمستشاره الأول الكولونيل هاوس: "أجد في جيبي مذكرتك حول الحركة الصهيونية وأخشى أنني لم اذكر لك أنني اوافق على الصيغة التي يقترحها الطرف الاخر، انني اوافق على الصيغة واكون ممتناً لو اخبرتم بذلك" فكان هذا الضوء الاخضر لإصدار وعد بلفور المشؤوم في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧.

## ثامنا : دعم الدول العظمى لإسرائيل :-

بحصول الحركة الصهيونية على تأييد الدولة الاستعمارية الكبرى عن طريق وعد بلفور توفرت للحركة عناصر النجاح اللازمة وكان الوعد هو "البراءة" التي سعى اليها هرتزل منذ المؤتمر الصهيوني الاول والمفارقة ان "البراءة" جاءت على حاييم وايزمان الذي كان من اشد معارضي اعطاء هرتزل البراءة الاولية التي اعطاها اياها غير ان كلاهما كان على

حق فلولا "انجازات" الحركة الصهيونية (قبل البراءة) لما كانت البراءة ولولا البراءة لما ادت الانجازات الى ما ادت اليه بعد وعد بلفور.

وكان لوعد بلفور فعل السحر في الجاليات اليهودية الغربية أزال تحفظات العديدين من اليهود على الصهيونية وتخوفهم من قهمة "الولاء المزدوج" فاستغلت الحركة الصهيونية ذلك إلى ابعد الحدود وعوضت عن انقطاع الاتصال بيهود روسيا بسبب الثورة البلشفية بحشد التأيد الشعبي لها في الولايات المتحدة على نطاق لم تكن لتتحلم به قبلاً وذلك تمهيداً لعرض مطالبها بالتنسيق الوثيق مع الراعي البريطاني على مؤتمر الصلح المقبل فانعقد في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٨ بقيادة الاتحاد الصهيوني الأمريكي المؤتمر اليهودي

### **Jewish Congress American** الأمريكي

الذي ضم الصهيونيين وغير الصهيونيين ممثلاً لثلاثة ملايين من اليهود وطالب مؤتمر الصلح بإقرار وعد بلفور والإعتراف بالحقوق التاريخية لليهود في فلسطين وبجعل فلسطين "كومونلث يهودي" تحت الوصاية البريطانية كما قرر المؤتمر اليهودي هذا إرسال وفد لمؤتمر الصلح بالتعاون مع وفد المنظمة الصهيونية بإشراف برانديس.

وفي شباط (فبراير) ١٩١٩ وبعد التشاور بين وايزمان ولفور قدمت المنظمة الصهيونية مذكرة إلى مؤتمر الصلح في باريس بمطالب المؤتمر الأمريكي نفسها مع تحديد مفصل للحدود الشمالية والشرقية ومما ذكرته بالنسبة للحدود الشمالية أن جبل الشيخ هو "ابو المياه" ويجب ان يكون بكامله وكذلك "جميع مصادر" مياه نهر الاردن والليطاني داخل حدود فلسطين .

أما الحدود الشرقية فهي خط سكة الحديد الحجازي جنوباً الى العقبة وذكرت المنظمة أنها كانت ميناء يهودية في أيام سليمان. ووقع على المذكرة كل من سكولوف ووايزمان باسم كل من المنظمة الصهيونية العالمية ويهود فلسطين وسبعة يهود امريكيون عن المنظمة الصهيونية الأمريكية وممثل واحد عن يهود روسيا. ومثل وايزمان وسكولوف أمام المؤتمر وطالب وايزمان بهجرة خمسة ملايين يهودي.

واجابة عن سؤال من وزير خارجية امريكا روبرت لانسينغ ولم يكن متعاطفاً مع الصهيونية عن معنى عبارة "السكن القومي" **National Home** الواردة في وعد بلفور قال وايزمان إن القصد أن تصبح فلسطين تدريجياً يهودية كما انجلترا انجليزية وامريكا امريكية. وحضر بلفور الجلسة وارسل من يهنيء وايزمان بعدها على شهادته.

كان لبريطانيا والصهيونية في هذه المرحلة بالنسبة لفلسطين هدف واحد اساسي هو إضفاء الشرعية الدولية على وعد بلفور وعلى بقاء بريطانيا في فلسطين وذلك ضمن اطار التسوية للشرق الاوسط التي يقرها مؤتمر الصلح. وعلى رغم الهدف المشترك هذا لم تكن وجهات نظر الطرفين دوماً متطابقتين كما ظهرت دونه عقبات صعبة التذليل.

أما العقبات فأهمها اثنتان :

– اولاهما : – أن ميثاق عصبة الأمم الذي اقر نظام الانتداب في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٩ عند التوقيع على معاهدة فرساي استند في إقراره لهذا النظام إلى المادة ٢٢ منه التي استندت بدورها الى مبدأ تقرير المصير الذي اعلنه ويلسون ضمن نقاطه الاربع عشرة. وعملاً بهذا المبدأ وبتأثير من صديقه رئيس الجامعة الامريكية في بيروت هاورد بليس وعلى رغم تأييده لوعد بلفور سراً (بتأثير برانديس) طالب ويلسون بإيفاد لجنة تمثل المؤتمر الى الشرق الاوسط للاستفسار عن رغبات اهالي البلاد وإثر رفض فرنسا وبريطانيا الاشتراك بهذه اللجنة اوفد ويلسون صديقيه شارلز كرين و ريتشارد كينغ في حزيران / يونيو ١٩١٩ إلى الشرق الأوسط اللذين انتقدا في تقريريهما الصهيونية انتقاداً شديداً ونقلوا رغبة أهالي البلاد في الاستقلال أولاً وإذا كان لا بد من وصاية فلتكن وصاية امريكية مؤقتة وليست فرنسية أو بريطانية.

كما أنه لم يسفر تقرير كينغ – كرين عن اية نتيجة بسبب موجة الانعزالية العارمة التي اكتسحت امريكا في اعقاب معاهدة فرساي ضد انضمام امريكا الى عصبة الأمم وانهماك ويلسون عبثاً في مجابته ثم اصابته بجلطة دموية جعلته قعيداً وحدت من نشاطه اعقبها فوز وارن هاردينغ الانعزالي في انتخابات ١٩٢٠ الرئاسية.

والواقع أن صنع القرار الأمريكي بالنسبة لفلسطين اتصف في هذه الفترة بصفات لازمتها لاحقاً وإلى الامس القريب من حيث الانفصام بين سياسة البيت الابيض والكونغرس من جهة وسياسة الخارجية من جهة ثانية وهو انفصام التام في عهد رونالد ريغان وكمل التناميه في عهد بيل كلينتون .

فها هو ويلسون يضطر عملاً بمبادئه الى ايفاد لجنة كينغ كرين لكنه يتجاهل توصياتها ويسعى بالخفاء لإصدار وعد بلفور عن طريق مستشاره في البيت الابيض الكولونيل هاوس من دون علم وزير خارجيته لانسينغ. ولانسينغ يكتب لويلسون قبل وعد بلفور وبعده ناصحاً بعدم تأييد الصهيونية ولا يشير الى ارشاداته الى الوفد الامريكى الى مؤتمر الصلح بالنسبة الى فلسطين أو وعد بلفور أو اليهود.

وألن دالاس (لاحقاً رئيس الـ (سي. آي. آي) والمسؤول آنذاك عن الشرق الاوسط في الخارجية يدعو علناً الى عدم الرضوخ الى الضغوط الصهيونية بينما تنجح هذه الضغوط في استصدار قرار بالإجماع من الكونغرس الشديد الانعزالية في ايلول (سبتمبر) ١٩٢٢ بتأييد فحوى وعد بلفور من دون ذكره تخصيصاً.

— أما العقبة الثانية فكانت التطورات في الساحة العربية من انعقاد المؤتمر السوري في حزيران /يونيو ١٩١٩ الى بيعة فيصل ملكاً على سوريا ولبنان وفلسطين في آذار (مارس) ١٩٢٠ الى معركة ميلسون ودخول الفرنسيين دمشق وإخراجهم لفيصل منها في تموز (يوليو) ١٩٢٠ الى دخول عبدالله شرق الاردن.

ورافق هذه الأحداث هيجان الشعب الفلسطيني ضد الأبناء عن وعد بلفور التي لم تجرؤ بريطانيا إعلانها في البلاد إلا في شباط / فبراير ١٩٢٠ فيعقب ذلك اشتباكات عربية يهودية عنيفة في الجليل ويافا في شباط / فبراير ونيسان / إبريل ١٩٢٠ وتكررت هذه الاشتباكات بالقدس في ايار (مايو) ١٩٢١ عقب تعيين هربرت صموئيل اياه اول مندوب سام بريطاني في فلسطين في تموز / يوليو من نفس العام .



ازاء هذه التطورات تنقل المسؤولية عن الشرق الاوسط من الخارجية البريطانية الى وزارة المستعمرات ويتولاها وزير المستعمرات ونستون تشرشل الذي يزور المنطقة في ايار / مايو ١٩٢١ ويقرر في ما يقرر على رغم صهيونيته اخراج شرق الاردن بحجة وجود الملك عبدالله فيها من نطاق تطبيق وعد بلفور وبالتالي من الحدود الشرقية التي طالبت المنظمة الصهيونية بما ويصبح نهر الاردن ذاته حدود فلسطين الشرقية بالمفهوم البريطاني الرسمي.

خلال هذه الاثناء تستمر المفاوضات البريطانية-الصهيونية حول موقع وعد بلفور ووصاية بريطانيا له من ضمن اطار التسوية النهائية المقررة من قبل مؤتمر الصلح. وينعقد مؤتمر سان ريمو في نيسان / ابريل ١٩٢٠ وتنهال عليه مئات البرقيات من الاتحادات الصهيونية في العالم بما فيها جنوب افريقيا وكندا مطالبة بمنح بريطانيا الانتداب على فلسطين وإدراج وعد بلفور في معاهدة الصلح مع تركيا.

ويعقد مؤتمر سان ريمو الانتداب على سورية لفرنسا والانتداب على فلسطين لبريطانيا. ومع أن هذا التطور كان من باب تحصيل الحاصل بسبب غياب أمريكا عن المؤتمر وتمثيلها فيه بمراقب فحسب وخلو الساحة للضبعين الكبارين بريطانيا وفرنسا إلا أنه شكل انجازاً مهماً للصهيونية على درهما نحو الشرعية الدولية.

وتأتي الخطوة التالية على هذا الدرب في معاهدة سيفر في آب (اغسطس) ١٩٢٠ إذ تتخلى تركيا فيها عن سيادتها على فلسطين وتتضمن نص وعد بلفور والموافقة على تطبيق نظام الانتداب عليها. ويبقى أمام الطرفين البريطاني والصهيوني الاتفاق على نص صك الانتداب ذاته الذي يحدد غاية الانتداب ذاته الذي يحدد غاية الانتداب وآليات التنفيذ ومسؤوليات كل منهما ثم إقرار هذا الصك من قبل عصبة الأمم.

وتدوم المفاوضات حول صك الانتداب من مؤتمر سان ريمو نيسان / ابريل ١٩٢٠ إلى تموز / يوليو ١٩٢٢ ويعيد الطرف الصهيوني اثاره مطالب سبق ان طالب بما قبيل اصدار وعد بلفور (برنامج ١٩١٦) وفي مذكرته الى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ ويدور النقاش حول نقاط اربع رئيسية:

١ - حقوق اليهود في فلسطين بسبب "العلاقة التاريخية".

٢ - غاية الانتداب.

٣ - وضع طرف الصهيوني أو اليهودي المتعاقد تجاه الدولة المنتدبة وصلاحياته.

٤ - مسألة الحدود.

١- واصرّ الطرف الصهيوني اصراراً شديداً على ان تتضمن ديباجة صك الانتداب الاشارة الى هذه العلاقة والى "الحق الذي تعطيه للشعب اليهودي لاعادة تكوين فلسطين مسكناً قومياً لهم" **to reconstitute The claim this gives them Palestine as their National Home**.

وادعى وايزمان في مراسلاته مع اللورد كيرزون خلف بلفور في وزارة الخارجية وغير المتعاطف مع الصهيونية ان لا سبيل له لحشد التأييد اليهودي لوعده بلفور من دون الإقرار بهذه العلاقة. وعلق كيرزون على ذلك في مذكرة الى رئيس الوزارة لويد جورج بقوله ان سبب الاصرار على هذه العلاقة انما هو "حتى تكون هذه الصياغة الاساس عند كل مرحلة للمطالبة بحق الافضلية بغاية السيطرة الكاملة على حكم البلد"، لم يستمع لويد جورج الى نصيحة كيرزون وبقيت الاشارة الى العلاقة التاريخية مع تعديل ينص على انها "الاساس" **Grounds** ، "لإعادة تكوين مسكنهم القومي في فلسطين".

٢- بالنسبة لغاية الانتداب طالب الطرف الصهيوني أن تكون صراحة "كومنولث يهودي" أي دولة يهودية وهو تعبير رفضه كيرزون فاعادوا "الكرة باقتراح" "كومنولث **Self Governing Commonwealth** يتمتع بحكم ذاتي كتعبير ملطف فرفض هذا ايضاً واصر الطرف البريطاني على "تنمية مؤسسات الحكم الذاتي" **Institutions Development Of Self Governing**.

واعتبر وايزمان أن هذا تعبير خطر معناه إمكان "تنمية مؤسسة تمثيلية قبل ان يصبح اليهود اكثرية في البلاد" لذلك بعد رضوخه لكيرزون طالب بتطمينات شفوية من لويد

جورج يدعي أنه حصل عليها وأن لويد جورج قال لونستون تشرشل وزير المستعمرات بحضور وايزمان "يجب الا تمنح فلسطين حكماً تمثيلاً" : **You Mustn't Give .To Palestine Representative Government**

٣- بالنسبة لموقع المنظمة الصهيونية طالب الطرف الصهيوني بالإعتراف بوكالة يهودية **Jewish Agency** تمثل جميع يهود العالم من صهيونيين وغير صهيونيين على أن تعتبر المنظمة الصهيونية هي هذه الوكالة الى حين قيام الأخيرة وعلى أن يكون للوكالة / المنظمة حق الافضلية **Preferential Right** ، في انشاء وادارة المنافع والمرافق العامة وفي استغلال موارد البلاد الطبيعية، رفض الطرف البريطاني حق الافضلية لكنه وافق على الوكالة اليهودية واعطاها صلاحيات مهمة سنأتي لاحقاً على ذكرها.

٤- اما بالنسبة للحدود فقد حسمت التطورات التي ذكرنا على الساحة العربية مسألة الحدود الشرقية ورفضت فرنساً رفضاً قاطعاً الحدود الشمالية الصهيونية فأنقذت بذلك الجنوب اللبناني من الاستيطان الصهيوني طوال فترة الانتداب على لبنان وبعده. وبهذه التعديلات اقرت عصبة الأمم صك الانتداب في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢ وأفضت على البراءة (وعد بلفور) الشرعية بالمفهوم القانوني الغربي الدولي السائد الى يومنا هذا فسبحان الله !!!!

وشهدت هذه المرحلة احداثاً جساماً داخل كل من المنظمة الصهيونية ذاتها وداخل الجالية اليهودية في فلسطين أما بالنسبة للمنظمة فقد انفجر الخلاف عام ١٩٢٠ في القمة بين عمالقيها وايزمان وبرانديس حليفي الأمس اللذين التقيا للمرة الاولى في تموز / يوليو ١٩١٩.

وسبب الخلاف قضيتان جوهريتان الاولى:

– الأولى : تقييم دور العمل السياسي الصهيوني بعد وعد بلفور ومؤتمر سان ريمو.

– والثانية: ادارة "صندوق تأسيس فلسطين" **Kerren Hayesod** برأس مال ٢٥ مليون جنيهه قرره مؤتمر لندن **London Conference** ، الصهيوني عام ١٩٢٠

الذي كرس رئاسة وايزمان للمنظمة الصهيونية وانتخب برانديس رئيساً فخرياً لها الذي سبق انعقاد المؤتمر **Congress** الصهيوني الثاني عشر في كارل سباد وهو اول مؤتمر **Congress** يعقد بعد انتهاء الحرب.

خلاصة الأمر أن برانديس رأى بأن وعد بلفور ومؤتمر سان ريمو أهميا دور المنظمة الصهيونية السياسي وأن العمل السياسي مستقبلاً يجب أن يناط بالجالية اليهودية في فلسطين ضمن اطار الانتداب وهو رأي رفضه وايزمان بشدة متناهية معتبراً أن وعد بلفور وسان ريمو إن هما بالعكس إلا بداية العمل السياسي المكثف والدؤوب للمنظمة الذي من دونه لا امل بتحقيق الدولة اليهودية اطلاقاً.

أما بالنسبة إلى صندوق التأسيس فرأى برانديس انه يجب ان يخضع في كل بلد الى الاتحاد الصهيوني للبلد ذاته وليس للسلطة المركزية للجنة المنظمة التنفيذية. ورفض وايزمان هذا الرأي بشدة لا تقل عن رفضه لرأي برانديس الأول ونقل المعركة إلى داخل معقل برانديس في الولايات المتحدة وانتصر عليه فأمن بذلك حفاظ اللجنة التنفيذية على موارد الصندوق التأسيس التي كان معظمها امريكي المصدر.

أما التطورات داخل الجالية اليهودية في فلسطين في هذه المرحلة فأهمها نمو الحركة العمالية الاشتراكية القومية بقيادة بن غوريون الذي سبق ذكره نتيجة موجة الهجرة الثالثة (١٩١٩ - ١٩٢٣) منذ بدء الاستيطان والاولى تحت الحماية البريطانية التي ادخلت الى البلاد ٣٥,٠٠٠ مهاجر وكان معظمهم من اعضاء حركة الشيبية الرواد **Halutzim** ، الذين عملوا في المستعمرات التعاونية الجماعية **Kibbutz** والتحقوا بحزب "وحدة العمل" **Ahdut Avoda** الذي اسسه بن غوريون عام ١٩٢٠ حول نواة حزب "باعولي زيون" القائم. وفي السنة ذاتها تأسس "الاتحاد العام للعمال اليهود" (المستدروت) بمساهمة بن غوريون ايضاً كما تأسست المنظمة العسكرية الصهيونية "هاغانا" التي كانت على صلة وثيقة بكل من "الاتحاد العام للعمال" و"حزب وحدة العمل".

## تاسعا: الدولة اليهودية والإحتضان البريطاني

أما بشأن توصية اللجنة الملكية بالتهجير القسري للفلسطينيين من الدولة اليهودية فيعلق عليها بن غوريون عام ١٩٣٧ بقوله: "من المؤكد أن بريطانيا لن تقوم بذلك إذا لم نصرّ عليه بكل ما أوتينا من قوة ونفوذ وإذا لم يتم هذا الأمر بسبب تقاعسنا فإننا نصرّ عليه بكل ما أوتينا من قوة ونفوذ وإذا لم يتم هذا الأمر بسبب تقاعسنا فإننا سنخسر فرصة لم تسنح لنا من قبل وقد لا تعود لنا ثانية أبداً".

ويستطرد بن غوريون بقوله "يجب ان نتزع من قلوبنا الافتراض بان هذا الامر (يعني التهجير القسري) مستحيل بل هو ممكن والخطوة الحاسمة الاولى هي ان نعد انفسنا لتوليّه بأنفسنا". ولم يكتفِ بن غوريون بالتعليق على تقرير التقسيم لكنه كلف عام ١٩٣٧ ضابطاً كبيراً في "الهأغانا" باسم افنير (AVNER) بوضع خطة لاحتلال فلسطين كلها على ثلاث مراحل في حال انسحاب البريطانيين من البلاد.

في مؤتمر الصلح المنعقد في سان ريمو بإيطاليا عام ١٣٣٩هـ أوكل لبريطانيا مهمة الإنتداب على فلسطين على أن تتولى تنفيذ ما جاء بتصريح بلفور من حيث إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وعينت الصهيوني اليهودي هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني في فلسطين .

وبدأت بريطانيا بتغيير معالم فلسطين العربية المسلمة وأخذ سيل الهجرة اليهودية يتدفق على فلسطين . وتولت تنظيم ذلك الوكالة اليهودية التي تأسست في نفس العام والتي هي اليوم أكبر منظمة لليهود في العالم لرعاية مصالحهم . وأعطت الوكالة اليهودية صلاحيات واسعة وتعاونت معها بريطانيا إلى أقصى حد وكانت تعمل في فلسطين وكأها دولة داخل دولة . فأنشأت المستعمرات اليهودية في فلسطين وأقامت بها مخازن للسلاح والذخيرة وتدفقت الأموال اليهودية على هذه المستعمرات .

وفي عام ١٣٦٥هـ نسف الصهاينة فندق الملك داود بالقدس مقر الحكومة الإستعمارية الإنجليزية في فلسطين وتعاضم شغب اليهود فرأت بريطانيا أن تعرض قضية فلسطين على

هيئة الأمم المتحدة وفي عام ١٣٦٦هـ أقرت الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة بأغلبية ٣٣ صوتاً من بينها الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي السابق وفرنسا مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية مع تدويل القدس . وعارضت هذا المشروع ١٣ دولة من بينها الدول العربية وتركيا وباكستان . وأمتنعت بريطانيا عن التصويت .

وما إن أقر مشروع تقسيم فلسطين في هيئة الأمم المتحدة حتى أعلن اليهود عن قبولهم له في حين رفضه العرب . وأعلنت بريطانيا أنها ستسحب من فلسطين في عام ١٣٦٧هـ — وهكذا أمكن الاحتلال البريطاني بالهجرة اليهودية التي فرضها على فلسطين في أيام الإنتداب . من ان يرتفع عددها ليصبح ثلث سكان فلسطين في عام ١٣٦٨هـ بينما لم تكن نسبتهم تزيد عن ١٢/١ من الفلسطينيين في بداية عهد الإنتداب عام ١٣٣٩هـ .

وبهذا نمت الدولة اليهودية داخل رحم الانتداب البريطاني منطلقاً من إنجازات الصهيونية السابقة وارتست قواعد الدولة خلال الربع القرن الفاصل بين إقرار عصبة الأمم لصك الإنتداب عام ١٩٢٢ وتوصية هيئة الأمم عام ١٩٤٧ بتقسيم البلاد الى دولتين

— إحداهما يهودية

— والأخرى عربية

وكل يهودي دخل فلسطين في هذه السنين دخلها بحماية الحرب البريطانية، وانجزت الصهيونية ما انجزته خلالها اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً بفضل بريطانيا وتشريعاتها الانتدابية وقمعها العسكري للمقاومة الفلسطينية لكنها انجزته ايضاً بفضل زعامتها الفذة ومتانة تنظيمها واستعداد اليهود للتضحية والعطاء لتحقيق اهدافها في فلسطين.

وكان عدد سكان فلسطين من اليهود في نهاية الحرب العالمية الاولى ٥٦ ألفاً توزعوا بين المدن الرئيسية (القدس، يافا، تل ابيب، حيفا، صفد وطبريا) وفي حوالى ٥٠ مستعمرة زراعية وكانت نسبتهم من مجموع سكان البلاد (حوالى ٧٥٠,٠٠٠) اقل من ١٠ في المئة وارتفع عدد اليهود خلال الانتداب البريطاني الى ٦٠٨,٠٠٠ عام ١٩٤٦ وزاد عدد المستعمرات الى ٢٥٩ مستعمرة فأصبحت نسبتهم من مجموع سكان البلاد (١,٩١٢,٠٠٠) اكثر من

٣١ في المئة. وعاد ٧٤ في المئة من زيادة اليهود الى الهجرة و٢٦ في المئة فقط الى النمو الطبيعي بينما عاد ٩٦ في المئة من زيادة السكان العرب الى النمو الطبيعي و٤ في المئة فقط الى الهجرة.

ونمت بسبب هذه الهجرة الجاليات اليهودية في المدن فارتفع عدد سكان تل ابيب من اليهود من ١٥,٠٠٠ عام ١٩٢٢ الى ١٦٦,٠٠٠ عام ١٩٤٤،

وسكان حيفا من ٦,٠٠٠ (١٩٢٢) الى ٦٦,٠٠٠ (١٩٤٤)،

وسكان القدس من ٦٢,٠٠٠ (١٩٢٢) الى ٩٧,٠٠٠ (١٩٤٤).

وارتفع سكان المستعمرات من حوالي ٥,٠٠٠ (عام ١٩١٨) الى ١٤٤,٠٠٠ (١٩٤٤) وجاءت اعلى نسبة من المهاجرين اليهود من بولونيا لغاية ١٩٣٨ عندما زادت نسبة المهاجرين من المانيا اليها.

ويبلغ مجموع ما تملكه اليهود من اراضي فلسطين في اوائل الثمانينات من القرن الماضي والى اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) ٤٢٠,٦٠٠ دونم اي ١,٥ في المئة من مساحة فلسطين (٢٧ مليون دونم) وزادت ملكية اليهود عام ١٩٤٦ الى ١,٦٢٤,٠٠٠ دونم اي الى ٦ في المئة فقط من مساحة فلسطين.

لكن خطورة ملكية الـ ٦ في المئة لم تكن في حجم الاراضي بل في مواقعها ونمط انتشارها وفي تنظيمها والغاية من اقتنائها. فالمستعمرات كانت بمثابة التحوم تحدد حدود الدولة المنتظرة وانتشارها وتتبع خطة سابقة التصميم وضعها قبل الحرب العالمية الاولى كما اسلفنا "مهندس" الاستيطان الصهيوني اليهودي البروسي ارثور روبين.

وقد تدف الخطة الى السيطرة العسكرية المستقبلية على الحد الادنى من الاراضي المتاحة لبعضها البعض الكافية لتأمين قيام كيان سياسي عليها قادر على اتخاذها منطلقاً للتوسع خارجها، وكل من ينظر ببعض العناية الى خرائط تطور نمو المستعمرات في فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى واثناء الانتداب لا يسعه الا ان يلاحظ ان انتشارها يتبع شكل

حرف النون ( N ) بالانجليزية اذ يشكل الضلع الايسر الاستيطان الساحلي بين يافا وحيفا والضلع الايمن الاستيطان بين بحيرة طبريا واعالي حوض الاردن والضلع الاوسط الاستيطان عبر السهل الداخلي (مرج ابن عامر) الرابط بين الضلعين الآخرين.

والحكمة في هذا كله تكمن في أن الاستيطان الساحلي يؤمن الاتصال بالخارج عبر البحار واستيطان أعالي نهر الاردن يهدف الى السيطرة على موارد مياهه بينما الاستيطان البيني لا يربط بين الضلعين الآخرين فحسب بل ايضاً يفصل شمال فلسطين (الجليل) عن سائر البلاد كما يتحكم عند طرفه الشرقي بـ"البوابة" الشرقية لفلسطين عند بدء مرج ابن عامر.

وما يجعل ايضاً النوع اكثر خطورة من الكم في الاستيطان الصهيوني لفلسطين خلال هذه المرحلة الزمنية ان معظم المستعمرات خلال الانتداب البريطاني اقيمت على اراضي "الصندوق القومي اليهودي" (الكيرين كايميت) الذي انشأه هرتزل عام ١٩٠١ وبتمويل من "صندوق تأسيس فلسطين" (الكيرين هايسود) الذي انشأه وايزمان عام ١٩٢٠ بعد صراعه مع برانديس فكان الصندوق القومي يعتبر كل اراضيه كما اسلفنا ملكاً ابدياً للشعب اليهودي يؤجرها حصراً لليهود دون مقابل للسنوات الخمس الاولى وبعدها بشروط متناهية السهولة.

بينما كان صندوق التأسيس يقدم القروض الطويلة الاجل بفائدة ٢ في المئة لفترة ٤٠-٥٠ سنة لاعمال الانشاء والبناء. وزادت ملكية الصندوق القومي من ١٦,٠٠٠ دوغم عام ١٩١٤ الى حوالي نصف الاراضي اليهودية في فلسطين البالغة ١,٦٢٤,٠٠٠ دوغم عام ١٩٤٦ اما صندوق التأسيس فقد موّل تأسيس ٢٥ مستعمرة عام ١٩٢٢ زادت الى ٧٦ مستعمرة عام ١٩٣٦ والى ١٥٣ مستعمرة عام ١٩٤٤ فكانت نسبة المستعمرات التي مولها الى مجموع مستعمرات فترة الانتداب حوالي ٦٠ في المئة.

وهكذا ارتبطت هذه المستعمرات وارتبط سكانها ومصالحهم وولاؤهم بسلطة المنظمة الصهيونية المركزية من ناحية كما ارتبطت من ناحية اخرى بكل من المهستدروت (الاتحاد العام للعمال) عبر تعاونياته وبتنظيمه العسكري "الهاغانا".



## بعض ملامح الدولة الكامنة في المجتمع اليهودي

سنكتفي بذكر بعض ملامح الدولة الكامنة في المجتمع اليهودي المتنامي في فلسطين اثناء الانتداب البريطاني فمن حيث البنية الاقتصادية الاجتماعية الاساسية وبسبب نوعية المهاجرين الثقافية وتوفر رأس المال الخارجي

- اتخذ المجتمع بنية المجتمعات الصناعية الغربية. فنسبة انتاج اليهود في قطاع الصناعة والتعدين والبناء عام ١٩٤٧ من مجموع انتاجهم كانت ٣٧ في المئة وقريبة من نسبة الانتاج في هذا القطاع في بريطانيا (٤٤ في المئة) بينما نسبة انتاج العرب الفلسطينيين في هذا القطاع كانت ١٤ في المئة وكانت نسبة انتاج اليهود في قطاع الزراعة لا تتعدى ١٢ في المئة بينما نسبة العرب فيها كانت ٤١ في المئة وعمل ١٠ في المئة الطبقة العاملة اليهودية في الزراعة و ٣١ في المئة في الصناعة والبناء بينما نسبة العرب كانت ٥٠ في المئة في الزراعة و ١١ في المئة في الصناعة والبناء وبلغ معدل دخل الفرد اليهودي ١٤١ جنيهاً مقابل ٥٠ جنيهاً للفرد العربي.

- اما في حقل الخدمات الاجتماعية فكان حضور الطلاب في سني ٥-١٤ المدارس بنسبة ٩٧ في المئة لليهود و ٣٢,٥ للعرب وكان لدى اليهود ٣٣ مدرسة فنية وزراعية مقابل ٦ مدارس عربية.

- وبلغ ما انفقته الحكومة الانتدابية على الصحة عام ١٩٤٤ (وكان اعتماد العرب في معظمه على الخدمات الحكومية في هذا المجال) نصف مليون جنيه بينما بلغ ما انفقته صندوق الصحة في الاتحاد العام للعمال اليهود "المستدروت" لوحده في هذا العام مليون ومئتي الف جنيه وكان لدى الفلسطينيين ١٢٥ جمعية اقراض **Credit** قروية تعاونية عضويتها ٦٠٠٠ ورصيدا ٢٧,٠٠٠ جنيه بينما كانت عضوية اليهود في الجمعيات التعاونية ٣٥٥ ألفاً ورصيدا عشرة ملايين جنيه وبلغت عام ١٩٤٦ ودائع اليهود في البنوك وجمعيات الإقراض التعاونية ٧٧ مليون جنيه مقابل ١٨ مليون جنيه للعرب.

- ولم يزد عدد العمال العرب المنتظمين في نقابات لهم عام ١٩٤٥ على ٢٠,٠٠٠ عامل بينما ضم "المستدروت" ١٤٣,٠٠٠ عامل من الراشدين بما فيهم ٣٨,٠٠٠ امرأة كما ضم ٨,٥٠٠ من الشبيبة العمالية وشكلت عضوية المستدروت ٧٥ في المئة من مجموع اجراء اليهود ولم يكن "المستدروت" اتحاد عمال بالمعنى العادي فكانت شركة قابضة عملاقة تفرغت عنها شبكة عجيبة من النشاطات العمالية والزراعية والتجارية والاقتصادية والثقافية والصحية في كل مجال من مجالات حياة المجتمع اليهودي وكانت ذات علاقة هجيمة بـ ٢٠٠ مستعمرة عبر تعاونياتها الزراعية كما كانت وثيقة الصلة بمنظمة "هاغانا" العسكرية واشرفت على المستدروت هيئة تنتخب من قبل القاعدة الشعبية وتعكس انتماءات اعضائها الحزبية وكان ديفيد بن غوريون امينها العام من ١٩٢١ الى ١٩٣٥ اما تمويل نشاطاتها فكان معظمه يرد من الخارج عبر المنظمة الصهيونية العالمية.

- وتميز المجتمع اليهودي في فلسطين ايام الانتداب بتنظيمه السياسي وكانت الحكومة البريطانية اصدرت عام ١٩٢٦ "مرسوم الجاليات الدينية" التي اذنت به للجاليات في فلسطين ان تنظم نفسها بموجبه ورفض الفلسطينيون العرب من حيث المبدأ ان ينتظموا في طائفتين: اسلامية ومسيحية ولم يشكل المرسوم اي حرج لليهود الذين سارعوا الى تنظيم انفسهم بموجبه فانتخبوا مجلساً عاماً **Leumi Va'ad** انتخب بدوره لجنة تنفيذية مثلت يهود فلسطين تجاه حكومة الانتداب وخول المجلس العام جباية الضرائب من طائفته التي انفقها على الخدمات الاجتماعية لها.

- لكن مركز السلطة اليهودية لم يكن هذا المجلس العام المحلي على اهميته المستند الى تشريع سلطة الانتداب في فلسطين بل كان الوكالة اليهودية **Jewish Agency** التي نص عليها صك الانتداب ذاته ومنحت المادة الرابعة من الصك الوكالة حق "النصح والتعاون" **Advising and cooperating** مع ادارة فلسطين في "الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الشؤون التي قد تؤثر في تنمية المسكن القومي اليهودي" كما نصت المادة السادسة منه على ان على الادارة البريطانية، بالتعاون مع الوكالة اليهودية... تشجيع استيطان اليهود المكثف على اراضي فلسطين " **settlement... close on the land** .

وهكذا كانت الوكالة شريكاً فعلياً للإدارة البريطانية، على ان الاهم حتى من هذا وذاك هو انه بموجب صك الانتداب ايضاً كان على الوكالة "ان تضمن تعاون جميع اليهود الراغبين في المساعدة في انشاء المسكن القومي اليهودي" اي انها كان لها صفة دولية قانونية رسمية تشمل العالم بأسره.

### إعتراف بريطانيا بالمنظمة الصهيونية

- اعترفت الحكومة البريطانية بالمنظمة الصهيونية على أنها الوكالة إلى حين قيام الوكالة، ذلك أن الوكالة كان من المفترض فيها أن تضم كلاً من اليهود الصهيونيين وغير الصهيونيين ورسمياً تأسست الوكالة بهذا المعنى عام ١٩٢٩ وطغت الصفة الدولية طبعاً على المنظمة الصهيونية ذاتها منذ البداية. ففي ١٨٩٧ لم يزد عدد الأعضاء اليهود الفلسطينيين في المؤتمر الصهيوني الأول عن الأربعة من أصل ١٩٦ عضواً وحتى عام ١٩٣٩ في آخر مؤتمر صهيوني قبل الحرب العالمية الثانية (وهو المؤتمر الواحد والعشرون المنعقد في جنيف) كانت نسبة دافعي "الشاقل" للتصويت في المؤتمر من يهود المنعقد في جنيف)

كانت نسبة دافعي "الشاقل" للتصويت في المؤتمر من يهود فلسطين ١٦ في المئة وتبين الأرقام الآتية سعة القاعدة الدولية للمنظمة الصهيونية. فمن اصل ١،٠٤٠،٤٥٠ دافع شاقل لمؤتمر ١٩٣٩ كان ٢٩٩،١٦٥ من بولندا و ٢٦٣،٧٤١ من الولايات المتحدة و ١٦٧،٥٦٢ من فلسطين و ٦٠،٠١٣ من رومانيا و ٢٣،٥١٣ من بريطانيا و ٢٢،٣٤٣ من جنوب افريقيا و ١٥،٢٢٠ من كندا... الخ.

وكان مكتب الوكالة التنفيذي في القدس ولها مكاتب في كل من لندن وواشنطن ونيويورك و جنيف وكانت لها دوائر لكل من الاستيطان والشؤون المالية، والعمل، والتجارة والصناعة، والشؤون السياسية و(بصفة سرية) الامن اي شؤون "الهاغانا" وكانت تعمل بجانب "الجلس العام" المنتخب المحلي **Leumi Va'ad** وتدعمه تجاه السلطة البريطانية لكن خلافاً لهذا المجلس لم تكن لا الوكالة ولا المنظمة الصهيونية خاضعة لسلطة الانتداب بل كانتا رقيبتين عليها وذلك باعتراف دولي.

وكان للمنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية ثلاث وظائف رئيسة :-

- أولها الضغط على المراكز العصبية لصنع القرار في لندن مباشرة وعليها في العواصم الغربية الأخرى الكبرى كوسيلة للضغط غير المباشر على لندن،

- وثانيها الجباية لمؤسساتها المالية المركزية الكبرى وبخاصة "الصندوق اليهودي القومي" و"صندوق تأسيس فلسطين" الكيرين هايسود،

- وثالثها الدعاية الملحة المتصلة والمتنوعة لدعم الوظائف الأولى، وبلغ ما أرسلته المنظمة الصهيونية الى يهود فلسطين من يهود الولايات المتحدة فقط بين ١٩٣٠ و ١٩٤٨ (٣٩٦ مليون دولار) وهو مبلغ ضخم جداً بمقاييس ذلك الزمن.

### **عاشرا : اليهود وإغتصاب أرض فلسطين**

مرت الحرب الصهيونية العربية الأولى ١٩٤٧ - ١٩٤٨ في مرحلتين رئيسيتين:

- مرحلة الحرب غير النظامية بين القوات الصهيونية من جهة والقوات الفلسطينية الشعبية المدعومة لاحقاً بمتطوعين من الدولة العربية الذين انتظموا فيما سمي بجيش الانقاذ الذي اشرفت عليه الجامعة العربية وهي فترة امتدت من ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ إلى ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ وهو تاريخ انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وانسحاب القوات البريطانية من البلاد وإعلان قيام دولة "اسرائيل" فيها،

- ومرحلة الحرب النظامية بين قوات دولة "اسرائيل" وجيوش عربية أرسلتها سورية ولبنان ومصر والعراق وشرق الاردن بإشراف الجامعة العربية (اضيفت اليها فيما بعد قوات رمزية من السودان والسعودية) وامتدت من ١٥ ايار ١٩٤٨ الى أن تم التوقيع على اتفاقيات الهدنة في نهاية ١٩٤٨ ومطلع ١٩٤٩ بين "اسرائيل" من ناحية وكل من مصر وشرق الاردن، ولبنان وسورية من الناحية الأخرى.

وليس الغرض من هذا الفصل وصف القتال في هاتين المرحلتين فلهذا وقت ومجال غير هذا  
 انما الغرض من هذا الفصل هو تفحص الرواية الصهيونية لاسباب وقوع هذه الحرب  
 الصهيونية العربية الاولى وهي رواية تجذرت في ضمير اليهودية العالمية وبالتالي في الضمير  
 الغربي.

تقول الرواية الصهيونية إن الحرب قامت بسبب رفض العرب من فلسطينيين وغير  
 فلسطينيين لقرار هيئة الأمم بالتوصية بـ "حل وسط" **Compromise** بتقسيم  
 فلسطين الى دولتين احدهما يهودية والاشرى عربية ومقاومتهم المسلحة لهذا الحل ما اضطر  
 الدولة اليهودية أن تخوضها دفاعاً عن نفسها وبكلمة فإن فحوى الرواية الصهيونية ان  
 الطرف العربي هو المعتدي البادىء والطرف الصهيوني هو المعتدى عليه البريء. وصدق الحق  
 سبحانه وتعالى حين قال ( إنهم يكيّدون كيّداً )

والحقيقة في نظرنا هي على خلاف كلي مع الرواية الصهيونية ذلك أن التقسيم لم يكن  
 حلاً وسطاً بأي مفهوم عادل ومعتمد لهذا التعبير. فالحل الوسط بالمصطلح الاخلاقي  
 وحتى اللغوي يعطي كل ذي حق حقه، يحافظ على جوهر حقوق كل طرف في النزاع  
 القائم، ويقوم التوازن بين تنازلات كل منهما، وهو لا يعطي طرفاً ما ليس له على حساب  
 الطرف الاخر ويصدر غالباً عن طرف محايد حريص على مصلحة الطرفين المتنازعين تم  
 الاحتكام اليه والقبول المسبق بحكمه بالتراضي ويتم الاقرار بهذا الحكم من قبل المتنازعين ولو  
 على شيء من الموض المتساوي بينهما.

فأين هذا المفهوم للحل الوسط من مبدأ التقسيم (اي قيام دولة يهودية قسراً على جزء  
 كبير او صغير من فلسطين) في سياق تاريخ القضية الفلسطينية منذ ظهور الصهيونية  
 واين هو من اسلوب طرح التقسيم على هيئة الأمم عام ١٩٤٧ وتوقيته ومن تفاصيل التقسيم  
 التي اقرتها هيئة الأمم بل ومن الطريقة التي انتزعت بها الولايات المتحدة القرار به منها ناهيك  
 عن الابتهاج الذي وصل سميت الرأس عند طرف لدى سماعه به وعن الغضب العارم الذي  
 استولى على الطرف الاخر منه.

فمبدأ الدولة اليهودية غاية الصهيونية ومبتغاها وهو مبرر وجودها من قبل المؤتمر الصهيوني الاول ومن بعده ونجمها القطبي الذي اهتدت بمديه في كل كلمة صيغت لتغليفه وتمويهه ان في برنامج بازل (١٨٩٧) او وعد بلفور (١٩١٧) او صك الانتداب (١٩٢٢) والصهيونية لم تلجأ الى التغليف والتمويه الا لخداع فريستها الشعب الفلسطيني الذي تعرف مبكراً على الساعي لاغتباله فيها وذلك بالتواطؤ مع راعيها وحاميها بريطانيا المنتدبة لريثما يشند ساعدها وتتجمع لديها عناصر القوة اللازمة وترسى القواعد الثابتة لقيام الدولة اليهودية وهو الذي تم خلال الانتداب البريطاني كما أسلفنا.

ولم ينص قرار التقسيم الصادر عن هيئة الأمم عام ١٩٤٧ على أن يحتفظ كل طرف بما لديه من الاراضي بل "منح" الطرف الصهيوني الذي كان لا يملك اكثر من ٦ في المئة من مساحة البلاد منحه ٥٧ في المئة منها بينما كانت ملكية اليهود لا تتعدى ١،٦٢٤،٠٠٠ دونم قبل قرار التقسيم وذلك على رغم كل ما بذلته الصهيونية خلال ستة عقود منذ مطلع الثمانينات من القرن الماضي من جهد ومال وتخطيط وتحايل وحشد وضغوط سياسية ودعاية عالمية غدت مساحة الدولة اليهودية بعد قرار التقسيم ١٥ مليون دونم أي انه بين عشية ٢٩ وضحي ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ قفزت "ملكية" اليهود اكثر من ٩٠٠ في المئة وذلك لاعتبارات سياسية لا تمت بصلة لا من قريب ولا من بعيد الى أي قيم او قواعد قانونية او خلقية.

لم يحدد قرار التقسيم الكيفية التي ستمتد بها سلطة الدولة اليهودية من حيز مساحته ١،٦٢٤،٠٠٠ دونم الى حيز مساحته ١٥ مليون دونم يقطنه ويملكه العرب الفلسطينيون لكن الدول الأعضاء التي كانت وراء القرار بطلب وبضغوط هائلة من الصهيونية وعلى رأسها الولايات المتحدة كانت تعلم علم اليقين أن القيادة الصهيونية مصممة على تحقيق التقسيم بالقوة وأن العرب يرفضون ذلك رفضاً باتاً ومصممون على الدفاع عن ديارهم، وهكذا كان قرار التقسيم بمثابة الضوء الأخضر للقوات الصهيونية للقيام باحتلال الحيز العربي الواسع والآهل بالعرب الذي ضم اعتباطاً وتعسفاً ومن دون سابق إقرار من العرب إلى حدود الدولة اليهودية المقترحة فكان قرار التقسيم بالتالي نفسه قراراً بإعلان الحرب على العرب بالتواطؤ مع المنظمة الصهيونية ونيابة عنها .

قرار الحرب الصهيوني لم يؤخذ عام ١٩٤٧ لا قبيل قرار التقسيم ولا بعيده لكنه ينبع نظرياً من صميم العقيدة الصهيونية من حيث انها محررة منذ البدء وبطبيعتها من قيد الاعتماد على الرضى أو القبول العربي المسبق لها أو لسياساتها وكما قال حاييم وايزمان إلى الرئيس الامريكى فرانكلين روزفلت عام ١٩٤٤ "شرحت له نظريتي بانه لا يمكننا ان نربط قضايانا بقبول العرب ونحن لو فعلنا لحججوا عنا قبولهم". ولعل من ابلغ الادلة على تجاهل الصهيونية لرفض العرب أو قبولهم لجونها المتوال الفوقي إلى الدول الكبرى للاستحصال إلى "براءتها" المنشودة.

ويمكننا تتبع بلورة قرار الحرب في ذهن الزعيم الصهيوني ديفيد بن غوريون قبل قرار التقسيم باكثر من عشر سنوات ذلك أن بن غوريون هو الذي أخذ هذا القرار وهو الذي أشرف على التخطيط والإعداد للحرب من أواسط الثلاثينات بصفته رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (١٩٣٥-١٩٤٨)

والمسؤول عن شؤون الأمن. وفي عام ١٩٢٠ أسس بن غوريون حزب "وحدة العمل" (احدوت افودا) الاشتراكي القومي وفي عام ١٩٣٠ اشرف على دمج الحزب بحزب "العامل الشاب" (هابوعيل هاتسعير) ليؤلفا حزب "الماباي" الذي قاده وبقي العمود الفقري السياسي للوكالة اليهودية إلى قيام دولة "اسرائيل" ولوزاراتها المتعاقبة بعدئذ إلى انتصار حزب "الليكود" بقيادة مناحيم بيغن على "الماباي" في انتخابات "اسرائيل" النيابية عام ١٩٧٧.

ودعا برنامج حزب "وحدة العمل" إلى "تأسيس الجمهورية الاشتراكية اليهودية في جميع أنحاء فلسطين وإلى نقل ملكية أراضي فلسطين ومياهاها ومواردها الطبيعية إلى شعب "اسرائيل" لتصبح ملكاً ابدياً له"، كما دعا حزب "العامل الشاب" منذ تأسيسه عام ١٩٠٥ الى السيطرة **Conquest** على العمل العربي اي منع العمال العرب بالقوة من العمل على الاراضي اليهودية وبمذه الخلفية الحزبية ومن موقع المسؤولية في لجنة الوكالة اليهودية التنفيذية اخذ بن غوريون يفكر بعمق في مستقبل "العلاقة" بين الحركة الصهيونية والفلسطينيين وفي توازن القوى بينهما، فوصل الى قناعة ثابتة في اوائل ١٩٣٦

كما يجزم بذلك شبتاي تيفيث **Tevech** كبير الخبراء الاسرائيليين في سيرة بن غوريون وسياساته، بأن لا أمل في السلام مع الفلسطينيين ما داموا يرفضون قيام اكنثرية يهودية في البلاد ولا يقبلون بهجرة يهودية غير مقيدة إليها وأن لا بد من أن تكون العلاقة المستقبلية معهم علاقة عسكرية وليس سياسية.

ويضيف تيفيث أن هذا الاستنتاج لم يكن مصدر غم أو كدر لـ بن غوريون بل بالعكس كان قد وصل في الوقت نفسه الى قناعة ثانية وهي أن الحركة الصهيونية قد اجتازت مرحلة الخطر في ميزان القوى مع الفلسطينيين بسبب تدفق الهجرة اليهودية على البلاد في السنين الخمسة السالفة حين تضاعفت الجالية اليهودية عدداً فوصلت الى ١٥٧،٣٥٥ سنة ١٩٣٥ بينما لم تتعد ٩٥٠،١٦٤ سنة ١٩٣٠.

ويؤكد تيفيث ان لهذا السبب لم يعد بن غوريون مهتماً باي اتصالات مع الفلسطينيين التي كان قد بدأها قبل ١٩٣٦ وانه لم يسع الى مقابلة اي فلسطين بين ١٩٣٦ وقيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨. - ويشكل مشروع التقسيم للجنة الملكية البريطانية برئاسة اللورد بيل **Peel** الذي صدر في تموز (يوليو) ١٩٣٧ في اعقاب المرحلة الاولى من الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩) منعطفاً خطيراً اخرًا بالنسبة للقضية الفلسطينية والحركة الصهيونية وبلورة تفكير بن غوريون الاستراتيجي.

فهذه المرة الاولى منذ وعد بلفور التي يدعو فيها طرف بريطاني رسمي الى اقامة دولة يهودية مترجماً الوعد اياه الى دولة كما تدعو اللجنة الملكية الى الهجرة القسرية (**Compulsory Transfer**) للجاليات العربية من الدولة اليهودية والى ضم المناطق العربية الى شرق الاردن.

وتنفجر الثورة الفلسطينية ثانية في اعقاب صدور تقرير التقسيم لتصل الى ذروتها في السنتين (١٩٣٧-١٩٣٩) وينعقد المؤتمر الصهيوني العشرون في زوريخ عام ١٩٣٧ ويلقى تقرير التقسيم معارضة شديدة بخاصة من الاعضاء الامريكيين من حيث المبدأ لكونه يتضمن التخلي عن كل "ارض اسرائيل" والقبول بجزء منها فقط .



ويتزعم بن غوريون الرأي بقبوله مشروطاً ويلقي فيما يقوله في حينه اضواء كاشفة على نظرتة الى مشروع التقسيم عام ١٩٤٧ الذي نحن بصدده. ففي تموز ١٩٣٧ يقول في رسالة الى زعيم صهيوني بولندي "الدولة هي خطوة اولى نحو الحل الشامل للشعب اليهودي وأداة جبارة لتحرير جميع ارض اسرائيل " وفي خطاب لحزب "الماباي" في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٧ يقول "ان تحقيق الدولة اليهودية يمر في مرحلتين الاولى مرحلة البناء وارساء القواعد وتستمر من عشر الى خمس عشرة سنة وهي مقدمة الى المرحلة الثانية التي هي مرحلة التوسع (Expansion). وغاية المرحلتين تجميع المنفيين (exiles) من الشتات في جميع ارض اسرائيل".

ويقول في رسالة إلى اولاده في تشرين الاول ١٩٣٨ "ان قيام الدولة في جزء من فلسطين ليس غاية الصهيونية النهائية بل وسيلة باتجاهها". ويقول تيفيث انه حتى قبل تقرير اللجنة الملكية وبدءاً بنهاية العشرينات كان بن غوريون يصف نفسه بانه يمارس "الصهيونية العميقة" (Zionism Deep) وان "المبتدئين" في الصهيونية لا يفهمون استراتيجية "المراحل" وان الظروف غير المؤاتية تقتضي صياغة اهداف تبدو لهؤلاء المبتدئين على انها تنازلات وهي ليست كذلك.

## الباب الثامن :

### قيام أول حكومة صهيونية

#### أولاً :إنعقاد أول مجلس للحكومة الصهيونية

عقد المجلس الوطني اليهودي جلسة فوق العادة في تل ابيب في الثاني عشر من ايار / مايو ١٩٤٨ برئاسة ديفيد بن غوريون حيث قدم بن غوريون تقريراً يشرح فيه الوضع العام في البلاد ، وطلب أثناء الاجتماع التصويت على موضوعين :

١ - إعلان قيام الدولة اليهودية فوراً .

٢ - قبول هدنة مؤقتة بين اليهود والعرب .

وقد جرى التصويت على هذين الإقتراحين ، حيث وافق المجلس الوطني على قيام الدولة اليهودية مع هدنة مؤقتة . كما عرض بن غوريون اقتراح الرئيس الامريكى ترومان تأجيل إعلان قيام الدولة اليهودية لوقت قصير ، وطلب أن يتم الإعلان عن قيام الدولة في جلسة سرية في متحف تل ابيب في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة ١٤ ايار/ مايو ١٩٤٨ .

وقد تم عقد إجتماع المجلس الوطني في متحف تل ابيب ، ليلة الرابع عشر من ايار / مايو ١٩٤٨ ، ولم تكن جلسات الإجتماع سرية ، كما تقرر لها من قبل ، وناقش المجتمعون إسم الدولة الجديدة وحدودها ، فأقترح البعض أن تأخذ إسم (إله إسرائيل) ، واقترح آخرون إسم (جوريج) ، وغيرهم طرح إسم (صخرة إسرائيل) ، كما طرح البعض لإسم صهيون ، وعندما قال بن غوريون إن اسمها سيكون (إسرائيل) ، صفق جميع الحاضرين ،

وأقترح البعض أن يكون حدودها حدود التقسيم ، حسب قرار هيئة الأمم المتحدة ، الصادر في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧ ، ولكن بن غوريون إعترض على ذلك ، وقال إن العرب رفضوا التقسيم ، وهم الآن يحاربوننا ، وإنما سنحاربهم وحينما نحتل كل الجليل وجميع الطرق المؤدية إلى القدس نتحدث عن الحدود ، وأشار بن غوريون إلى الولايات

المتحدة قاتلا : هذه الولايات المتحدة الأمريكية حين أعلنت إستقلالها لم تعين حدودها ، وجيشنا هو الذي يعين حدوده .

### خطاب بن غوريون الذي أعلن فيه قيام إسرائيل :

(( نحن أعضاء مجلس الشعب ، ممثلي المجتمع اليهودي في أرض إسرائيل ، والحركة الصهيونية ، في يوم إنتهاء الإنتداب البريطاني على أرض إسرائيل ، وبفضل حقنا الطبيعي والتاريخي بقوة القرار الصادر عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، نجتمع لنعلن بذلك قيام الدولة اليهودية في أرض إسرائيل ، والتي تدعى دولة اسرائيل .

ونعلن أنه منذ لحظة الإنتداب هذه الليلة عشية السبت السادس من أيار (مايو) ١٩٤٨ حتى قيام سلطة رسمية ومنتخبة للدولة ، وفقا للدستور الذي تقره الجمعية التأسيسية المنتخبة ، في مدة لا تتجاوز أول تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨ ،

منذ هذه اللحظة سيمارس مجلس الشعب سلطات مجلس دولة مؤقت ، سيكون جهازه التنفيذي الإدارة الشعبية ، بمثابة الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية ، التي تدعى إسرائيل ((إسرائيل الحكومة المؤقتة .

صفحة رسمية : رقم ١ تل أبيب الخامس من أيار / مايو عام ٥٧٠٨ حسب التقويم العبري الموافق ١٤/٥/١٩٤٨

### ثانيا : إعلان الصهاينة لإقامة إسرائيل

تم إعلان وثيقة الاستقلال **1948** في مدينة تل أبيب عند انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين يوم الجمعة الرابع عشر من شهر أيار، وقد حضر الإعلان مندوبو المنظمات والأحزاب اليهودية في البلاد وهذا هو نصها :

" نشأ الشعب اليهودي في أرض إسرائيل ، وفيها أكتملت صورته الروحانية والدينية والسياسية ، وفيها عاش حياة مستقلة في دولة ذات سيادة ، وفيها أنتج ثرواته الثقافية

والقومية والانسانية وأورث العالم أجمع كتاب الكتب الخالد . وعندما أجلى الشعب اليهودي عن بلاده بالقوة ، حافظ على عهده لها وهو في بلاد مهاجره بأسره ولم ينقطع عن الصلاة والتعلق بأمل العودة إلى بلاده واستئناف حريته السياسية فيها .

ويدافع هذه الصلة التاريخية التقليدية أقدم اليهود في كل عصر على العودة إلى وطنهم القديم والاستيطان فيه ، وفي العصور الأخيرة أخذوا يعودون إلى بلادهم بآلاف مؤلفة من طلائعيين ولاجئين ومدافعين ، فأحيوا القفار وبعثوا لغتهم العبرية وشيدوا القرى والمدن وأقاموا مجتمعاتهم أخذوا في النمو شيد اقتصادياته وثقافته ينشد السلام ويدافع عن ذماره ويزف بركة التقدم إلى جميع سكان البلاد متطلعا إلى الإستقلال الدولي .

وفي عام **5657** عبرية الموافق عام **1897** ميلادية عقد المؤتمر الصهيوني تلبية لنداء صاحب فكرة الدولة اليهودية ثيودور هرتزل وأعلن حق اليهود في النهضة الوطنية في بلادهم .

وقد أعترف بهذا الحق في تصريح بلفور في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني / نوفمبر عام **1917** . وتمت المصادقة على هذا الحق في صك الانتداب الصادر عن عصبة الأمم والذي أكسب بصفة خاصة مفعولية دولية للصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بأرض ( إسرائيل ) آى فلسطين وحق الشعب اليهودي في إعادة تشييد وطنه القومي المزعوم .

واختلق اليهود فكرة الهولوكست وأنهم اصابتهم كارثة في المانيا وأن هذه الكارثة التي حلت باليهود في الآونة الأخيرة والتي كان من ضحاياها الملايين من يهود أوروبا . قد عادت وأثبتت بالفعل ضرورة حل مشكلة الشعب اليهودي الخروم من الوطن والاستقلال باستئناف الدولة اليهودية في أرض إسرائيل لتفتح باب الوطن على مصراعيه من أجل كل يهودي وتؤمن للشعب اليهودي حياة أمة متساوية الحقوق مع سائر الأمم في العالم .

وأن البقية الباقية التي أنقذت من المجزرة النازية الفظيعة في أوروبا مع يهود سائر البلدان لم يكفوا عن اللجوء إلى أرض فلسطين رغم جميع الصعوبات والعراقيل والأخطار . ولم ينقطعوا عن المطالبة بحقهم في حياة من الكرامة والحرية والعمل الشريف في وطنهم .

وفي الحرب العالمية الثانية ساهم المجتمع اليهودي في أرض فلسطين بنصيبه كامل في نضال الأمم نصيرة الحرية والسلام ضد قوى الظلم النازية ، وقد اكتسب اليهود بدماء جنودهم وبجهدهم الحربية حق اعتبارهم من الشعوب التي وضعت الأسس لميثاق الأمم المتحدة .

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني / نوفمبر عام **1947** اتخذت الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة قرارا ينص على إقامة دولة يهودية في فلسطين وطالبت الجمعية العمومية للأمم المتحدة أهالي فلسطين باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار بأنفسهم .

إن اعتراف الأمم المتحدة بحق الشعب اليهودي في إقامة دولته غير قابل للإلغاء . إنه لمن الحق الطبيعي للأمة اليهودية في أن تكون أمة مستقلة في دولتها ذات السيادة مثلها في ذلك مثل سائر أمم العالم .

أعضاء مجلس الشعب الصهيوني وقرار الأمم المتحدة

وعليه فقد اجتمعنا نحن أعضاء مجلس الشعب . ممثلو المجتمع اليهودي في البلاد والحركة الصهيونية في يوم انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين . وبحكم حقنا الطبيعي والتاريخي بمقتضى قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، نعلن عن إقامة دولة يهودية في أرض إسرائيل في " دولة إسرائيل " .

وإننا لنقرر أنه ابتداء من اللحظة التي ينتهي فيها الانتداب الليلة ، ليلة **6** أيار / مايو عام **5708** عبرية ، الموافق **15** أيار / مايو عام **1948** ميلادية ، وإلى أن تقام سلطات الدولة المنتخبة والنظامية طبقا للدستور الذي يضعه المجلس التأسيسي المنتخب في موعد لا يتأخر عن مطلع شهر تشرين الأول / نوفمبر عام **1948** ، يقوم مجلس الشعب

مقام مجلس الدولة الموقت وتكون هيئته التنفيذية . أي الإدارة الشعبية - هي الحكومة الموقته للدولة اليهودية التي تسمى إسرائيل . وأصدروا القرارات الآتية :

- تكون دولة إسرائيل مفتوحة الأبواب للهجرة اليهودية وجمع الشتات

- تدأب على ترقية البلاد لصالح سكانها جميعا

-وتكون مستندة إلى دعائم الحرية والعدل والسلام بين ابناءهم الصهاينة لا غيرهم من الشعوب الاخرى

- مستهدية بنبوءات أنبياء إسرائيل التي وضعها الحاخامات في كتبهم بعد إنتقال أنبياءهم إلى جوار ربهم جل وعلا .

- نقيم المساواة التامة في الحقوق اجتماعيا وسياسيا بين جميع رعاياها من غير تغيير في الدين والعنصر والجنس

- وتؤمن حرية الأديان والضمير والكلام والتعليم والثقافة

- وتحافظ على الأماكن المقدسة لدى كل الديانات

- وتكون أمينة لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة

- إن دولة إسرائيل مستعدة للتعاون مع مؤسسات وممثلي الأمم المتحدة على تنفيذ قرار الجمعية العمومية الصادر بتاريخ **29** تشرين الثاني /نوفمبر عام **1947** وللعمل على إنشاء اتحاد اقتصادي يشمل أرض إسرائيل برمتها .

- إننا نناشد الأمم المتحدة أن تمد يد المساعدة للشعب اليهودي في تشييد دولته وقبول دولة إسرائيل ضمن أسرة الأمم . إننا ندعو أبناء الشعب العربي سكان دولة إسرائيل - رغم الحملات الدموية علينا خلال شهور - إلى المحافظة على السلام والقيام بنصبيهم في

إقامة الدولة على أساس المساواة التامة في المواطنة والتمثيل المناسب في جميع مؤسساتها الموقنة والدائمة .

- إننا نمد يد السلام وحسن الجوار لجميع البلدان المجاورة وشعوبها وندعوهم إلى التعاون مع الشعب اليهودي المستقل في بلاده ، وإن دولة إسرائيل مستعدة لأن تساهم بنصيبها في مجهود مشترك لرقى الشرق الأوسط بأسره .

- إننا ندعو الشعب اليهودي في جميع مهاجره إلى التكاتف والالتفاف حول يهود هذه البلاد في الهجرة والبناء والوقوف إلى جانبهم في كفاحهم العظيم لتحقيق أمنية الأجيال وهي تحرير إسرائيل .

- نثبت تواقيعنا على هذا الإعلان في اجتماع مجلس الدولة الموقت في أرض الوطن ، في مدينة تل أبيب اليوم ، يوم الجمعة الخامس من شهر أيار / مايو عام 5708 عبرية الموافق الرابع عشر من شهر أيار / مايو عام 1948 م " .

### ثالثا : مساندة بريطانيا للصهاينة

طبعاً لم ينسحب البريطانيون في حينها من فلسطين بل عدلوا عن مشروع التقسيم بسبب اشتداد الثورة الفلسطينية ودعوا إلى مؤتمر في لندن عام ١٩٣٩ صدر كتاب ابيض في اعقابه يحدد الهجرة اليهودية وانتقال الأراضي وينص على استقلال فلسطين دولة موحدة ضمن فترة عشر سنوات شرط اتفاق الطرفين الفلسطينيين واليهود ولا شك في أن الكتاب الأبيض هذا جاء نتيجة تلبد الأجواء الدولية واقتراب موعد اندلاع الحرب العالمية الثانية.

أدت المجاهدة العسكرية بين الفلسطينيين وبريطانيا خلال الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩ هجرية إلى توسيع الهوة في توازن القوى بين الفلسطينيين والصهيونيين لصالح الأخيرين فحطمت بريطانيا القوة العسكرية والتنظيمات السياسية الفلسطينية خلالها من ناحية بالمقابل وبالتعاون مع بن غوريون ضاعفت القوة العسكرية الصهيونية بإنشاء وتدريب وتسليح قوة يهودية رسمية رديفة للهاغانا اطلقت عليها اسم "شرطة المستعمرات اليهودية" **Jewish Settlement Police** قوامها ٢٠,٠٠٠ مسلح اضيفت إلى الهاغانا

"غير الرسمية" وقوامها ٢٥،٠٠٠ مسلح فأصبح لدى بن غوريون جيش قلما توفر لليهود مثله من قبل قادر على تولي العلاقة "العسكرية" مع الفلسطينيين ومع الدول العربية .

فها هو بن غوريون يجتمع بمالكولم مكدونلد وزير المستعمرات البريطاني في شباط (فبراير) ١٩٣٩ فيسأله الاخير "الى متى تعتقدون اننا سنضع حرابنا تحت تصرف هجرتكم الى فلسطين؟" فيجيبه بن غوريون "لسنا بحاجة الى حرابكم". فيقول مكدونلد "وكيف يكون هذا؟ هم اكثر منكم عدداً وسيأتي لخدمكم جيش عربي من العراق". فيجيب بن غوريون "ان اجتياز البحر اسهل من اجتياز الصحراء".

غضب بن غوريون غضباً شديداً على سياسة الكتاب الأبيض لكنه أدرك أن مصلحة الصهيونية هي في انتصار بريطانيا على المانيا كما أدرك اهمية القتال بجانب بريطانيا بالنسبة "للعلاقة العسكرية" مع العرب بعد الحرب فدفع بشبابه للانخراط في الجيش البريطاني فانخرط منهم خلال السنوات ١٩٣٩-١٩٤٥ (٢٧،٠٠٠) حصلوا على احسن خبرة وتدريب فازداد الصهيونيون بهم قوة على قوة.

في الوقت نفسه ادرك بن غوريون ان الكتاب الأبيض مؤشر لانحسار التأييد البريطاني للصهيونية وان القوة العالمية الصاعدة هي الولايات المتحدة وان لدى الصهيونية امكانات ضخمة هناك قابلة للتعبئة فانتقل اليها ونظم في ايار / مايو ١٩٤١ انعقاد مؤتمر يهودي في فندق بيلتمور في نيويورك استحصل منه على قرار بـ"انشاء فلسطين كومنولثاً يهودياً"

وهي الصيغة التي اقترحتها المنظمة الصهيونية على بريطانيا بعد مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠ عند بداية المفاوضات حول صك الانتداب ورفضتها بريطانيا في حينه كما اسلفنا. وهكذا الزم بن غوريون يهود امريكا بانشاء الدولة اليهودية وفق مخططه هو في جميع انحاء فلسطين وليس في جزء منها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

حتى قبيل مؤتمر بيلتمور كان بن غوريون طلب من الهاغانا بوضع خطط عسكرية لمواجهة سيناريوهات عدة تأخذ في الاعتبار درجات مختلفة من تدخلات اعتراضية من قبل بريطانيا



أو الدول العربية. وبالفعل وضعت بين ١٩٤٠-١٩٤٦/١٩٤٦ اربع خطط عرفت بالخطط الف ، باء ، جيم ، ودال وكانت الاخيرة تمهد الى احتلال فلسطين بكاملها مذكرة بخطة افنير **AVNER** عام ١٩٣٧

كما حرص بن غوريون في مطلع الاربعينات على تكوين قوة ضاربة خاصة داخل الهاغانا عرفت بـ"البالمخ" وكان قبل ذلك قد أولى الصناعة العسكرية اهتمامه فبلغت طاقة عشية الحرب العالمية الثانية مكنتها من صنع مدافع الهاون **Mortar** وقذائفها والقنابل اليدوية وذخيرة من عيار ٩ ملم.

وفي حزيران (يونيو) ١٩٤٥ قام بزيارة الى الولايات المتحدة لتوسيع قاعدة هذه الصناعة وطلب الاجتماع بعشرين من كبار رجال الاعمال اليهود المهتمين في "شؤون الامن". وفي ١٢ تموز (يوليو) ١٩٤٥ وفي جلسة صباحية تم تخصيص ١٥ مليون دولار للهاغانا انفق نصفها على شراء آلات لصناعة السلاح من "ادارة موجودات الحرب الامريكية" **Assets Administration War** التي كانت بدأت تصفية هذه الموجودات وبيعها خردة. وعلى سبيل المثال تم شراء ٥٠ آلة لاختبار **Test** الذخيرة سعر كل منها العادي ١٨,٠٠٠ دولار تم شراؤها كلها بسعر ١٥٠ دولاراً للخمسين آلة.

وهكذا شحنت الى فلسطين ٢٠٠٠ ماكينة تزن مئات الاطنان وصلت جميعاً سالمة على رغم الحصار البحري البريطاني الذي سمعنا عنه الكثير في الدعايات الصهيونية ولعل ابلغ دليل على ذهنية الحرب التي استحوذت على بن غوريون وارتباط هذه الاستعدادات بها هي بدء حملة شرسة على وايزمان لازاحته عن زعامة الحركة الصهيونية (وهي حملة نجحت في غرضها في المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين المنعقد في بازل عام ١٩٤٦) بحجة كما قال بن غوريون عام ١٩٤٢ ان وايزمان "اعجز من ان يقود الصهيونية على الدرب الملتوي المؤدي الى الدولة ولا هو مكون لقيادة الشعب اليهودي في فلسطين او الامة اليهودية في الحرب لتأسيسها".

وضع بن غوريون نصب عينيه هدف احراج بريطانيا والضغط عليها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لاجراجها من فلسطين حتى يتسنى له تنفيذ خطته العسكرية (الخطتين

جيم ودال) وافترضت الخطة ج حياد بريطانيا في قتاله مع العرب، اما الخطة دال فافترضت غياب بريطانيا وتدخل جيوش الدول العربية وتحاشى بن غوريون بعناية متناهية المجاهدة العسكرية مع بريطانيا معتبراً ان "العلاقة" معها سياسية وان "العلاقة العسكرية" انما هي مع العرب.

ونجح بمعونة المنظمين الارهابيين "الارغون" و"الشتيرن" المنشقتين عن "الحركة التنقيحية" اليمينية **Revisionist** التي اسسها فلاديمير جابوتنسكي في مطلع العشرينات و"الخارجتين" عن طاعة الهاغانا في دفع بريطانيا باتجاه التخلي عن الانتداب ومغادرة البلاد.

وكان حليف بن غوريون الاكبر في الضغط على بريطانيا الولايات المتحدة كما توقع سالفاً خصوصاً بعد وفاة فرانكلين روزفلت واستلام نائبه هاري ترومان الرئاسة عام ١٩٤٥. وكان ترومان دشن سياسته الشرق اوسطية عندما صرف وفداً حاشداً من سفرائه في الدول العربية ابقاه واقفاً جاء "ليتنحج" على موالاته للصهيونية بقوله "اني آسف ايها السادة ولكنني مضطر للاستجابة لمئات الآلاف الحريصين على نجاح الصهيونية وليس بين ناخبي مئات الآلاف من العرب".

على هذه الأرضية المتينة وضع بن غوريون في آب (اغسطس) الخطة الصهيونية الجديدة لتقسيم فلسطين اي لقيام الدولة اليهودية على ٧٥ في المئة من مساحة البلاد. وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٦ ايد ترومان هذه الخطة في معرض تهنته ناخبيه اليهود بعيد الغفران (يوم كيبور) فكانت الشعرة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة لبريطانيا اذ ما لبث ان احوالت القضية الفلسطينية الى هيئة الأمم حين تبنى الاتحاد السوفيتي بدوره ولأسبابه في ربيع ١٩٤٧ مبدأ التقسيم اي قيام دولة يهودية فحصل بن غوريون بذلك على دعم العملاقين الكبارين في آن واحد.

وفي ٦ تشرين الأول (اكتوبر) اي قبل قرار هيئة الأمم بتقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ اصدر بن غوريون امراً لصناعته العسكرية لانتاج ٢٠,٠٠٠ بندقية و ١٠,٠٠٠ مدفع رشاش و ١٠,٠٠٠ مسدس و ٥٠٠ رشاش و ٤ مليون طلقة.

وكان شعور بن غوريون في تلك اللحظة بالقوة اقل من شعوره عام ١٩٣٦ بسبب وصول عدد اليهود في فلسطين الى ٣٥٥ الفاً وهل نسي عام ١٩٤٧ كل ما قاله عن "الصهيونية العميقة" ومراحل تحقيق الاحلام الصهيونية؟.

#### رابعاً : برنامج للإستيلاء على أي أرض وبأي وسيلة

في اعقاب ١٩٠٥ ألف الزعيم الصهيوني الروسي مناحيم سوشكين (١٨٦٣-١٩٤١) كتباً في اعقاب زيارته فلسطين بعنوان "برنامجنا" يتساءل فيه "كيف يتسولى على الارض في اي بلد ما؟" ويجيب "ثمة طرق ثلاثة:

١- القوة، اي بانتزاع الارض من مالكيها بالعنف،

٢- وبالبيع القسري اي باستملاك الملك الخاص لاغراض عامة،

٣- وبالبيع الطوعي".

وبالفعل لجأت الصهيونية تباعاً الى الطرق الثلاثة. ففي الفترة العثمانية اعتمدت البيع الطوعي بالتحويل على قوانين البلاد فدرّ عليها ٤٤٠,٠٠٠ دونم خلال حوالى اربعين عاماً (١٨٨٠-١٩١٨). وفي الفترة البريطانية اعتمد مزيجاً من البيع الطوعي للبيع القسري فدرّ ذلك عليها ١,٢٠٠,٠٠٠ دونم خلال ثلاثين عاماً (١٩١٧-١٩٤٨)

ولجأت الى الحرب فدرّ عليها ٢٠,٦٦٦,٠٠٠ دونم في اقل من سنة واحدة (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ تشرين الثاني ١٩٤٨) وكان اربح الصفقات وانجزها. وهكذا بعد خمسين عاماً من المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧ تحققت الغاية الاساسية من "برنامج بازل".

ومن اشد نتائج الحرب الصهيونية العربية الاولى هولاً بعد هزيمة جيوش خمس دول عربية، اخراج ٧٥٠ الفاً من سكان فلسطين من ديارهم وتشردهم لاجئين في الدول العربية المجاورة (لبنان، سورية، شرق الاردن، مصر، العراق والسعودية)، واحتلال

"اسرائيل" لاثنتي عشرة مدينة فلسطينية (عكا، صفد، الناصر، طبريا، حيفا، بيسان، يافا، المجدل، اشدود، اللد، الرملة والقدس الغربية)،

اضافة الى ٥١٨ قرية فلسطينية ما لبثت "اسرائيل" ان هدمت ٤٠٠ منها للحيلولة دون عودة اصحابها اليها، ودست معالمها وسوتها مع حقولها، ووزعت اراضيها على المستعمرات المجاورة والجديدة التي حلت محلها، واعطت مواقعها اسماء عبرية مستحدثة لازالتها من الذكر والذاكرة اضافة الى ازلتها من الطبيعة، واضحى من تبقى من الفلسطينيين داخل "اسرائيل" اقلية غربية في بلدهم.

واشتغلت يد النهب والسرقه في طول البلد وعرضها واشترك في اختطاف الغنائم والاسلاب رجال الجيش والمدنيون وتوزعت المكاتب والشقق والفيلات والمزارع على كبار ضباط الجيش والسلك المدني على السياسيين وغيرهم. واختفت من المنازل والمكاتب والمتاجر المنقولات على اشكالها من اثاث واجهزة وكتب وسجاد واوان ومجوهرات وثياب ونقود، ومن القرى المواشي والدواجن والمؤن والآلات الزراعية، ومن الشوارع السيارات والشاحنات .

ويبلغ مثلاً ما سلبه الجيش الاسرائيلي من بلدة صغيرة نسبياً هي اللد، بتقدير توم سيغيف الكاتب الاسرائيلي، حمولة ١،٨٠٠ شاحنة. ووصل الامر الى حد جعل بن غوريون نفسه يتذمر حسب رواية سيغيف ايضاً قائلاً: "الشيء الوحيد الذي فوجئت به وفوجئت به بمرارة هو اكتشافي لمدى الانحطاط الخلقى المنفشي بيننا الذي لم اكن لأشبهه به على الاطلاق، واعني هذه اللصوصية الجماعية التي اشترك فيها جماعات قطاعات شعبنا على حد سواء".

بيد أن اللص الاكبر كان دولة "اسرائيل" بزعامة المتذمر إياه ذلك أن الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) اصدر عام ١٩٥٠ "قانون املاك الغائبين" حول بموجبه حارس الاملاك **Custodian** بنقلها الى "سلطة التنمية" **Development Authority** التي خولت بدورها بيعها الى "الصندوق القومي اليهودي" **Jewish National Fund** المعروف بالعبرية بـ **Keren Kayemet** الذي اسسه

هرتزل عام ١٩٠١ وتنص لوائحه على بقاء اراضيه ملكاً ابدياً للشعب اليهودي غير قابل للتصرف تجوز ايجارها فقط وحصراً لليهود ولا يجوز عمل غير اليهودي عليها .

وبذلك اصيحت ٩٢ في المئة من مساحة "فلسطين" ملكاً ابدياً ليهود "اسرائيل" من دون غيرهم من مواطنيها ولم يتعد ما بقي في ايدي الجالية العربية ١-٢ في المئة مع ملكية يهود افراد وغيرهم للرصيد، ولم "ترث" "اسرائيل" املاك الفلسطينيين المنقولة وغير المنقولة فحسب لكنها ورثت ايضاً كل موجودات القطاع العام من العهدين العثماني والبريطاني من اراض وسكك حديد وطرق ومرفئ ومنشآت ومبان ومكاتب ومستشفيات وثكنات ومستودعات كان للفلسطينيين النصيب الاكبر فيها بصفتهم اكثرية البلاد قبل شتاتهم.

وإذا كانت "اسرائيل" استغلت سلطة الدولة لحسم استيلائها على الارض الذي كان شغل الصهيونية الشاغل منذ بدء الاستيطان في مطلع الثمانينات من القرن الماضي فانما لجأت الى السلطة عينها لحسم أمر لم يقل استحواذاً على الصهيونية ألا وهو الهجرة الجماعية . فسنت في تموز (يوليو) ١٩٥٠ "قانون الودعة" الذي كرس حق كل يهودي في الهجرة الى فلسطين عملاً بالمبدأ الصهيوني الاصيل الداعي الى "تجميع المنفيين" **Ingathering of Exiles** اي تفرغ الشتات اليهودي فيها.

وكان بن غوريون من غلاة الداعين الى تطبيق هذا المبدأ الى درجة اعتباره الصهيونية مرادفة للهجرة ( **Aliya**) ومطالبته بحل المنظمة الصهيونية بعيد تأسيس الدولة على أساس أن واجب اليهودي في الشتات اصبح بعد قيامها "العودة" إلى "اسرائيل" ليس إلا.

وفتح بن غوريون بقانون العودة باب الهجرة الجماعية على مصراعيه ووضع نصب عينيه مضاعفة عدد اليهود في البلاد خلال اربع سنوات ووظف كل امكانات الصهيونية المالية والتنظيمية والسياسية لهذا الغرض. ودل أول احصاء لإسرائيل في تشرين الثاني ١٩٤٨ على أن في البلاد ٧١٣،٠٠٠ يهودي و٦٩،٠٠٠ عربي. وما كادت سنة ١٩٥١ تصل إلى نهايتها حتى كان قد دخل البلاد ٦٨٩،٢٧٥ يهودياً.

هكذا خلال أقل من أربع سنوات وبفضل سلطة الدولة دخل "اسرائيل" من اليهود أصبح عدد اليهود يساوي العدد الذي دخلها خلال سبعين عاماً منذ بدء الاستيطان الصهيوني بما فيه نموه الطبيعي خلال هذه السنين، واستطراداً نقول إن عدد يهود "اسرائيل" وصل عشية حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الى ٢,٣٧٥,٠٠٠ بسبب ما قامت به الدول من ارسال ما لديها من يهود الى اسرائيل . وكانت على النحو التالي :

١- (ايران ٣٩,٠٠٠، تركيا ٣٧,٠٠٠ وافغانستان ٣,٨٠٠)

٢- والبلاد العربية لـ ٣٥٩,٠٠٠ (العراق ١٢٣,٠٠٠، المغرب ١٢٠,٠٠٠)

٣- مصر ٧٥,٠٠٠، اليمن ٤٨,٠٠٠، ليبيا ٣٥,٠٠٠، تونس ٣٠,٠٠٠

٤- سورية ٢٦,٠٠٠، عدن ٦,٥٠٠، الجزائر ٣,٥٠٠، وهكذا افرغت الدول العربية ما لديها على فلسطين بحفة وقلة بصيرة مذهلة حقاً لعواقب ما تفعل.

ونتيجة لهذه الهجرة تغيرت بنية المجتمع الإسرائيلي اليهودي الاثني فهبطت نسبة الاوروبيين فيه من ٨٤,٩ في المئة عام ١٩٤٨ الى ٥٦,٨ في المئة عام ١٩٦١ بينما ارتفعت نسبة اليهود "الاسيويين" من ١٢,٥ في المئة الى ٢٤,٨ في المئة واليهود "المغربيين" من ٢,٦ في المئة الى ١٨,٤ في المئة. وقد حمل بعض هؤلاء حنيناً الى اوطانهم الاسلامية والعربية لكن السواد الاعظم منهم شكل مستودعاً لا قاع له من الحقد والبغضاء عليها وضعه بتصريف الأحزاب الإسرائيلية اليمينية.

وتأسيس الدولة وتحقيق الغاية من "برنامج بازل" غداً لزاماً على "إسرائيل" والمنظمة الصهيونية ان تحدد الغاية من الصهيونية بعد قيام الدولة وان تنظما العلاقة فيما بينهما بعد ان اصبح احدهما ذا سيادة، فانعقد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون في القدس ايام ٢٤ نيسان (ابريل) - ٧ ايار (مايو) ١٩٥١ في جو سادته نشوة الغلبة والنصر ولكن ايضاً وبخاصة للاعضاء الامريكيين تحت سحابة مقولة بن غوريون بمرادفة الصهيونية حصراً للهجرة الى "اسرائيل".

واحتدم النقاش والخلاف على صياغة الهدف كما وقع في المؤتمر الصهيوني الأول واستقر الرأي على الصيغة الآتية: غاية الصهيونية إنما هي توطيد **Consolidation** دولة "اسرائيل" وتجميع منفيين في ارض "اسرائيل" **Ingathering Of Exiles** ورعاية وحدة الشعب اليهودي".

وكانت الصيغة التي اصر عليها بن غوريون بادىء الامر تنص على "تجميع المنفيين" — ال التعريف اطلاقاً على ميع اليهود خارج الدولة مما اثار حفيظة الممثلين الامريكانيين الذين نفوا بشدة عن انفسهم صفة "النفى" في بلدهم الولايات المتحدة فكانت الصيغة التي اقرت. اما مهمات المنظمة في المرحلة الجديدة فتحددت:

— بتشجيع الهجرة واستيعاب المهاجرين وتنشيط الاستيطان الزراعي والتنمية الاقتصادية والحصول على الارض ملكاً للشعب وتدريب الرواد الرزاعيين **Halutzim** والجهد المكثف لجمع المال لهذه الاغراض بما فيه استثمار رأس المال الخاص وتعميق الهوية والثقافة اليهوديين وتعبئة الرأي العام العالمي لتأييد "اسرائيل" سيادة في سائر المجالات.

— وادرك بن غوريون أن لا واردات الدولة ولا العائدات العادية من "الصندوق القومي اليهودي" **Keren Kayemet** و"صندوق التأسيس" **Krem Hatesod** وقدرها حوالي ٣٠٠ مليون دولار سنوياً تكفي لسد نفقات برنامج الطموح لمضاعفة عدد اليهود في البلاد خلال اربع سنين وانه كما يقول في مذكراته "

— لا يمكن تحمل هذا العبء من دون تعبئة الطاقة الهائلة **Tremendous Capacity** ليهود امريكا لهذا الغرض". فقرر اصدار سندات **Bonds** بمقدار بليون دولار تباع في الولايات المتحدة ودعوة كبار رجال الاعمال الامريكانيين الى مؤتمر في القدس لإقرار فكرته فيل له ان السندات لا تعفى من الضرائب كما هي الحال بالنسبة الى التبرعات الى الصندوقين السالفي الذكر في امريكا لكنه اصر على رأيه وعقد المؤتمر وتم بيع سندات بقيمة ٨٢٧ مليون دولار بين ١٩٥١ و١٩٦٥.

- وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥١ قابل ناحوم غولدمان الروسي المولد (١٨٩٤-١٩٨٢) ورئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية الرئيس الالماني اديناور على رأس وفد يمثل ٢٣ هيئة يهوية للمطالبة بالتنسيق مع بن غوريون بتعويضات لما اصاب اليهود على ايدي الحكومة النازية وتم الاتفاق بين الطرفين في ايلول (سبتمبر) ١٩٥٢ دفعت المانيا بموجبه ٨٢٢ مليون دولار نقداً وسلعاً الى "اسرائيل" ما بين ١٩٥٢ و ١٩٦٥ غير مبلغ ٤٥٠ مليون مارك دفع الى سائر الهيئات اليهودية.

- ووصل جزء كبير منها ايضاً الى "اسرائيل" بطرق غير مباشرة. ولاقى الاتفاق معارضة شديدة في الكنيست من قبل مناحيم بيغن زعيم "الحزب اليميني" (الحيروت) المنشق عن الحركة التنقيحية **Revisionist** وكذلك من احزاب اليسار وحرص بيغن اتباعه على مهاجمة الكنيست ورشقه بالحجارة مما استدعى تدخل الجيش لحمايته وتعليق عضوية بيغن في الكنيست لمدة ثلاثة اشهر.

- ووصلت الطاقة الإسرائيلية في مجالي الزراعة والصناعة الى ما وصلت اليه بفضل احداث الآلات الالمانية التي تدفقت عليه بموجب هذه الاتفاقية وبنيت المانيا اسطول "اسرائيل" التجاري الحديث اذ سلمتها ٦٠ سفينة حمولتها ٤٥٠,٠٠٠ طن و ٨ ناقلات بترول حمولتها ٢٠٠,٠٠٠ طن اضافة الى حوض جاف للسفن وحدثت "اسرائيل" شبكتها الهاتفية وسككها الحديد ومحطات توليد الكهرباء بفضل هذه الاتفاقية، كما دفعت المانيا ثم الوقود لهذه المطات وتم كل هذا ما بين ١٩٥٢ و ١٩٦٤ مما مكن "اسرائيل" من انشاء ١٧٢ مستعمرة جديدة ومضاعفة قطاعها المدني خلال هذه الفترة.

- وفي عهد الرئيس الامريكى ترومان (١٩٤٥-١٩٥٣) الذي اعترف "باسرائيل" خلال دقائق من اعلانها يوم ١٥ ايار ١٩٤٨، كون ١٩٤٨ سنة انتخابية رئاسية، قدمت الولايات المتحدة الى "اسرائيل" (بين ١٩٤٩ و ١٩٥٣) قروضا بقيمة ١٣٥ مليون دولار ومعونات بقيمة ١٦٠ مليون دولار.



ورغمًا عن الخلافات مع الرئيس ايزنهاور الذي خلف ترومان (١٩٥٣-١٩٦١) الذي لم يكن بحاجة الى اصوات اليهود بحكم قيادته لجيوش الحلفاء خلال الحرب قدمت الولايات المتحدة الى "اسرائيل" خلال السنوات الثلاثة من هذه المرحلة (١٩٥٤-١٩٥٦) معونات بقيمة ١٧٨ مليون دولار.

### خامسا : هيئة الامم المتحدة ودعمها للصهاينة

وفي ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨ قدمت "اسرائيل" طلباً لعضوية هيئة الأمم المتحدة ورفض هذا الطلب. وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ اصدرت الجمعية العامة لهيئة الأمم قراراً (١٩٤١١١) بإنشاء لجنة توفيق "لمساعدة الحكومات... لتحقيق تسوية سلمية نهائية لجميع القضايا العالقة بينها".

كما نصت الفقرة الحادية عشرة منه على حق اللاجئين "الراغبين في العيش بسلام مع جيرانهم" في العودة "الى منازلهم" او في التعويض لمن يرغب في العودة، وفي نيسان / إبريل ١٩٤٩ وافقت كل من الدول العربية (مصر والاردن ولبنان وسوريا) و"اسرائيل" على حضور مؤتمر برعاية لجنة التوفيق يعقد في لوزان في سويسرا.

وفي ايار /مايو - من نفس العام وقع الطرفان مستقلين عن بعضهما البعض مسودتين متطابقتين في نصيهما تفيدان بأنهما على استعداد لاعتماد خريطة لتقسيم فلسطين وفق قرار هيئة الأمم الصادر عام ١٩٤٧ الخقت بكل المسودتين "كنقطة بداية واطار Framework & Starting Point لبحث القضايا الاقليمية".

واصر الطرف العربي على عودة اللاجئين وفق قرار كانون الاول/ ديسمبر ١٩٤٨ وكان اقصى عدد وافقت "اسرائيل" على عودته ١٠٠,٠٠٠ لاجيء على ان يشمل هذا الرقم من دخل البلاد من الفلسطينيين منذ وقف القتال قدرتهم "اسرائيل" بـ ٣٥ ألفاً فرفض العرب الاقتراح وقدمت "اسرائيل" جانبياً اقتراحاً بضم قطاع غزة بسكانه ولاجئيه على ان يكون هذا بديلاً عن اقتراحها الاول فرفض هذا ايضاً طبعاً.

وهكذا لم تسفر محادثات لوزان عن اية نتيجة، اللهم الا انها استعملت كورقة تين لقبول "اسرائيل" في عضوية هيئة الأمم في ايار/مايو ١٩٤٩ ما لبثت بعد الحصول عليها ان اعلنت "اسرائيل" رفضها لـ"اطار" التقسيم لعام ١٩٤٧ ولقرار هيئة الأمم بعودة اللاجئين. وهكذا تم ضمناً الاقرار الدولي بما فعلته "اسرائيل" خلال الحرب وحصلت هي على الشرعية الدولية رغماً عن ذلك وكان هذا الاساس "القانوني" لتدفق المعونات عليها الذي اسلفنا ذكره.

ونصت اتفاقات الهدنة التي عقدت عند وقف القتال ١٩٤٩ بين "اسرائيل" من ناحية وكل من مصر والاردن ولبنان وسوريا (سحب العراق جيشه من فلسطين من دون التوقيع على اتفاق هدنة) من ناحية اخرى على انها اتفاقات "املتها اعتبارات عسكرية على وجه الحصر" **Dicated exclusively by military considerations** وانه لا يقصد منها ان تضعف او تبطل ولا بشكل من الاشكال اي حقوق اقليمية او غير اقليمية لاي من الاطراف وان خطوط الهدنة ليست بأي معنى من المعاني **In any sense** خطوطاً سياسية او اقليمية وانما رسمت من دون الاخلال **Without prejudice** لحقوق الاطراف السياسية عند التسوية النهائية.

وعلقت اتفاقات الهدنة مسألة السيادة على المناطق المجردة من السلاح التي تضمنتها الى حين التوقيع على معاهدات السلم النهائية وحددت هذه المناطق على كل من الحدود الاردنية والمصرية والسورية المشتركة مع "اسرائيل" وخولت الرئيس الدولي لكل لجنة هدنة مشتركة على كل من الجبهات الثلاث اعادة الحياة المدنية العادية داخل هذه المناطق وحرمت على الاطراف العدة ادخال قوات بوليس او عسكرية خارجية اليها كما حرمت عليها احداث اي تغيير في الوضع العسكري الراهن فيها لمصلحة اي منها.

وفي ايار/مايو ١٩٥٠ اصدرت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا بياناً ثلاثياً التزمت به بمقاومة اللجوء الى القوة بين دول المنطقة وبالا تزود الدول العربية و"اسرائيل" بالسلاح الا بما تحتاجه منه لاغراض الدفاع عن النفس المشروعة **Legitimate self defence**.

بقي بن غوريون رئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع منذ اعلان قيام الدولة إلى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٣ عندما قرر التخلي عن الحكم والانتزاع في مزرعة انشأها في النقب المحتل حديثاً وتولى رئاسة الوزارة من بعده زميله موشيه شاريت (١٨٩٤-١٩٦٥) الروسي المولد وتولى وزارة الدفاع بنحاس لافون مرشح بن غوريون،

وفي شباط (فبراير) ١٩٥٥ عاد بن غوريون من خلوته الى الحكم وزيراً للدفاع خلفاً لـ لافون اثر استقالة الاخير بسبب فضيحة العملاء الذين أرسلهم إلى مصر وبقي بن غوريون وزيراً للدفاع الى ان استقال شاريت من الرئاسة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٥ وخلفه فيها بن غوريون الذي بقي طوال هذه الفترة في مزرعته او في منصب وزير الدفاع الصوت الاقوى في صنع القرار الاسرائيلي.

ورافق هضم مغامم الحرب وتوطيد الذات نشاط في المناطق الحدودية ما لبث ان اسفر عن مخطط يرعاه بن غوريون بمعاونة كبار ضباطه وعلى رأسهم رئيس الاركان موشيه دايان الروسي الاصل والفلسطيني المولد (١٩١٥-١٩٨١) وهو مخطط يتطلع الى مرحلة من التوسع تلي مرحلة هضم المغامم.

وتجسدت اولى بوادر هذا المخطط في عنف ما سمي بالغارات "الانتقامية" على الجبهة الاردنية رداً على حوادث تسلل عبر الحدود. وكانت حرب ١٩٤٨ زلزلت اوضاع الفلسطينيين المعيشية وفصلتهم عن مصادر كسبهم ورزقهم في مدنها وقراهم وقطعت الاتصال بين ما تبقى من تراب البلاد في الضفة الغربية وقطاع غزة والقنات بمئات الآلاف في العراق عائلة على احسان الاخرين.

اضافة الى هذا وذاك فصلت حدود الهدنة الاردنية الاسرائيلية الممتدة ٣٥٠ كيلومتراً حوالى مئة قرية عربية عن اخصب اراضيها الزراعية وشاهد اهلها الصامدون الاغراب يأكلون ثمارها فكان من الطبيعي ان يحصل تسلل كان في بدايته من قبل افراد عزل من السلاح وكانت الغارة على قرية قبيه العربية في تشرين الاول ١٩٥٣ من اعنف هذه الغارات الانتقامية حين قتل ٤٢ اردنياً وجرح ١٥ "انتقاماً" لمقتل ثلاثة اسرائيليين.

وتجلى مخطط بن غوريون على الحدود السورية في اصرار "اسرائيل" على سيادتها على المناطق المجردة من السلاح وفي دخولها اليها بقواتها المسلحة وطرد مزارعيها العرب منها كما تجلى في منعها سكان الجولان من الصيد في بحيرة طبريا وهو حق مارسوه منذ الازل وادخالها قوارب مسلحة الى البحيرة لتطبيق سياستها هذه، ولعل اعنف غارة اسرائيلية على هذه الحدود هي غارتها المفاجئة في ١٠ كانون الاول ١٩٥٥ على المواقع السورية التي ادت الى مقتل ٥٦ جندياً سورياً وجرح ٧ وفقد ٣٢ من دون ان تكون قد وقعت اصابة اسرائيلية واحدة في المناوشات التي سبقت الغارة.

بيد ان اخطر تطور على الجبهة السورية كان محاولة "اسرائيل" الاولى عام ١٩٥٣ لتحويل مجرى نهر الاردن تحويلاً من جانب واحد من دون الالتفات الى حقوق الدول النهرية الاخرى (الاردن، سورية، لبنان) وما تنم عنه هذه المحاولة من عنجهية واستعداد للتوسع على حساب الاخرين.

وتجلى مخطط بن غوريون اكثر ما تجلى على الجبهة المصرية حين طبقت "اسرائيل" السياسة عينها التي طبقتها على الجبهة السورية بالنسبة للمناطق المصرية المجردة من السلاح فدخلت عام ١٩٥٣ منطقة العوجا الاستراتيجية من الحدود وطردت منها سكانها من البدو واقامت فيها "كيبوتسا" عسكرياً.

لكن اخطر ما حدث على هذه الجبهة هو ارسال وزارة الدفاع الاسرائيلية عام ١٩٥٤ عملاء لها داخل مصر لنسف مؤسسات امريكية وبريطانية املاً في افساد العلاقات الطيبة بين مصر وهذين البلدين التي تلت الثورة المصرية واتفاق الجلاء عن قناة السويس البريطاني المصري في تموز (يوليو) ١٩٥٤. بيد ان السلطات المصرية اعتقلت العملاء ويعد محاكمتهم اعدمت اثنين منهم في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥

فقرر بن غوريون الانتقام وكان قد استلم وزارة الدفاع في ٢١ شباط (فبراير) بعد استقالة لافون اثر فضيحة العملاء، وانتهاز بن غوريون فرصة حادث مقتل اسرائيلي واحد في حادث تسلل من قطاع غزة بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٥٥ ليضرب في ٢٨ منه ضربته

فجاءت على شاكلة هجوم مفاجيء مركز على ثكنة الجيش المصري في غزة قتل فيه ٣٨ جندياً وجرح ٣١.

وشكل هذا الحادث منعطفاً من اخطر منعطفات تاريخ المشرق في القرن العشرين بعد الحرب العالمية الثانية، ذلك انه ادى الى صفقة السلاح "التشيكية" التي ادت الى تأزم العلاقات المصرية الامريكية فسحب العرض الامريكى المساعد في بناء السد العالى فتأميم شركة قناة السويس.

وتدهورت في هذه الاثناء ايضاً العلاقات بين مصر من ناحية وكل من بريطانيا وفرنسا من ناحية اخرى بسبب الخلاف حول حلف بغداد بالنسبة لبريطانيا وتأييد مصر لثورة الجزائر بالنسبة لفرنسا واملت بريطانيا في القضاء على عبدالناصر ان تعيد مجدها في المشرق العربي، واملت فرنسا في القضاء عليه ان يستتب لها الامر في "الجزائر الفرنسية" والمغرب العربي، وتلألأت امام بن غوريون فرصته الذهبية .

### **سادسا : الصهاينة والعدوان الثلاثي**

فكان العدوان الثلاثي الذي كانت "اسرائيل" رأس حربته واعلن بن غوريون بعد احتلاله سيناء ان سيناء ليست ارض مصرية وبلدة "رأس محمد" في جنوب سيناء الاقصى على البحر الاحمر انما اسمه الحقيقي هو "مفراآتس شلومو". ولعل بن غوريون تذكر وهو يقول ذلك ما كان قد دونه في مفكرته اليومية بتاريخ ١٤ ايار ١٩٤٨ عشية اعلانه لدولة "اسرائيل" اذ قال "لو اخذنا اعلان استقلال امريكا مثلاً لوجدنا انه لا ذكر لاي حدود فيه لذلك نحن لسنا مضطرين لذكر حدود دولتنا" قال ذلك قبل دخول الجيوش العربية البلاد.

فصلت احدى عشرة سنة حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ عن حرب السويس عام ١٩٥٦ وكانت المطة الكبرى على طريق السويس ثانية تحويل "اسرائيل" لنهر الاردن عام ١٩٦٤ وفشل الدول العربية في الحيلولة دون ذلك. واقول "السويس ثانية" لان المتأمل في مسار الصهيونية منذ البدء وفي مجريات هذا العقد في سياق هضم "اسرائيل" لمكاسب حرب ١٩٤٨ وتشبيت ذاتها منذئذٍ، لا يسعه الا ان يصل الى قناعة بحتمية

اعادة "اسرائيل" للكرة بعد ان ارغمها الرئيس دوايت ايزنهاور على الانسحاب من سيناء. فالقوى الاسرائيلية الذاتية متنامية والبيئة الاقليمية العربية ميسرة وموازن القوى محفزة والظروف الدولية ملائمة والاضاع الداخلية الاسرائيلية مشجعة والذرائع لشن الحرب متوفرة مستساعة.

هدد ايزنهاور "اسرائيل" بالمقاطعة الاقتصادية كما هددها بالغاء الاعفاء الضريبي للتبرعات اليهودية فرضخت "اسرائيل" بالطبع واثبت ايزنهاور باصراره على انسحاب "اسرائيل" انسحاباً كاملاً من قطاع غزة وسيناء وعلى عودة الوضع الى ما كان عليه قبل الحرب ( **bellum Status quo ante** ) ان واشنطن قادرة على فرض ارادتها على "اسرائيل" اذا ما عقدت النية فعلاً على ذلك على رغم كل ما لدى الصهيونية والجاليات اليهودية الامريكية من سطوة ونفوذ في الولايات المتحدة.

والتعديل الوحيد الذي طرأ على وضع ما قبل الحرب هو نشر قوات طوارئ دولة **UNEF** على حدود قطاع غزة وفي مضيق تيران عند مدخل خليج العقبة مما سمح بمرور السفن الاسرائيلية فيه ورافق ذلك تأكيد من واشنطن على انها تعتبر مياه الخليج مياهاً دولية واعلن الامين العام للأمم المتحدة يوثانت ان وجود القوات الدولية تم بموافقة مصر وان القوات تسحب في حال طلب مصر لذلك. ورفضت "اسرائيل" ان تنشر القوات على جانبها من الحدود ايضاً وكان هذا من المؤشرات المبكرة على نياتها المستقبلية في هذه المرحلة.

ان موقف واشنطن الصارم تجاه "اسرائيل" خلال حرب ١٩٥٦ تلى موقفاً صارماً سابقاً اتخذته عام ١٩٥٣ عندما هددت ايضاً بالغاء الاعفاء الضريبي للتبرعات اليهودية وقطعت بالفعل مساعدتها المالية لتلك السنة لإرغام "اسرائيل" على ايقاف محاولتها الاولى لتحويل نهر الاردن من المنطقة المجردة من السلاح على الحدود السورية-الاسرائيلية، وهذان الموقفان يلقيان اضواء كاشفة على صنع القرار الامريكي تجاه "اسرائيل" منذئذٍ والى يومنا هذا. فكيف ولماذا اتخذ؟

الجواب هو ان ايزنهاور وصل الى الرئاسة بسبب كونه بطلاً قومياً دفعته الى القمة موجة ضخمة من التأييد الشعبي العارم من دون ان يكون لاحد اي فضل عليه وهي حال

فريدة ووليدة ظروف استثنائية غير قابلة للتكرار، ثم امضى ايزنهاور حياته في بيئة عسكرية محافظة لم يكن لليهود بعد فيها اي وجود او اثر يذكر فلم تشمل دائرة زملائه واصدقائه ولا حتى معارفه يهودا، خلافاً للوضع العام بالنسبة لجمهرة السياسيين الامريكيين.

واختار ايزنهاور وزيراً للخارجية جون دالاس المحافظ جداً ايضاً والمنتسب الى النخبة الانكلوسكسونية المغلقة على نفسها والبعيدة، ان لم نقل النافرة، من الاوساط اليهودية. وهو الى ذلك ذو نظرة فاحصة ناقدة للصهيونية يشاركه فيها اخوه آلان دالاس الذي دعا الكونغرس عام ١٩٢٢ لرفض "الضغوط الصهيونية" من موقع المسؤول عن شؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية. وآلان دالاس هذا اصبح رئيساً لك "سي آي آي" اثناء ولاية ايزنهاور.

نشأ عن هذا الوضع ان الصهيونية افتقرت اثناء هذه الولاية الى "المدخل" **Access** ان قمة صنع القرار الامريكي في الشؤون الخارجية: الرئيس ووزير الخارجية. وكان شعورها بالفاقة اكثر ايلاماً نظراً لما تمتعت به من حرية ذهاب واياب في عهد الرئيس هاري ترومان السابق، ونشأ عن الغياب شبه المطلق لاي "مدخل" يهودي فعال عليه ان استطاع ايزنهاور ان يحدد سياسته تجاه "اسرائيل" خلال حرب ١٩٥٦ في ضوء المصلحة الامريكية العليا من دون ان تشوبها الاعتبارات الداخلية الفتوية او بالاحرى بالحد الأدنى من التلوث منها ذلك ان النفوذ اليهودي في الكونغرس كان قائماً.

غير ان أثر الكونغرس في صنع السياسة الخارجية إلى حرب فيتنام كان اقل مما اصبح بعدها. وكان ليندن جونسون الوثيق الصلة باليهود رئيس الاكثريّة الديمقراطيّة **Majority Leader** في مجلس الشيوخ وهو الذي ضغط على ايزنهاور حتى لا يلغي الاعفاء الضريبي عام ١٩٥٦.

شكلت "المجاهمة" بين ادارة ايزنهاور و"اسرائيل" خلال الخمسينات منعطفاً خطيراً في تطور التنظيم الصهيوني في الولايات المتحدة وصممت الحركة الصهيونية مندها ان تحول دون تكرارها مع ادارة لاحقة وذلك باحكام ادارة اللوبي اليهودي. فتأسست عام ١٩٥٤ لجنة "الايياك" **Public Affairs American Israel**

**Committee** بإيعاز من ابا ايبان سفير "اسرائيل" لدى هيئة الأمم وانشأ عام ١٩٥٥ "مؤتمر رؤساء الهيئات الامريكية اليهودية الكبرى" الذي ضم في بدايته رئيس ١٦ هيئة يهودية كتنظيم قائم يعقد عند كل طارئ للضغط على كبار المسؤولين . وما زال هذان التنظيمان الركيز الاساسيين للنشاط الصهيوني المباشر في واشنطن واصبحت "الايباك" اليوم المدرسة لتخريج موظفي وزارة الخارجية والبيت الابيض من اليهود الذين حلوا محل "المستعربين" **Arabists** بينما بلغ عدد رؤساء التنظيمات اليهودية الكبرى المنضمة الى المؤتمر ٣٧ رئيساً.

استمرت "اسرائيل" في هذه المرحلة في توطيد ذاتها وتثبيتها :-

- واصبح عدد سكانها من اليهود عشية حرب حزيران /يونيو حوالى ٢،٤٠٠،٠٠٠

- وبلغ عدد الناخبين المسجلين لانتخابات الكنيست السادس (عام ١٩٥٦) ١،٤٩٩،٧٠٩

- بينما كان عددهم لانتخابات الكنيست الاول (عام ١٩٤٩) ٥٠٦،٥٦٧

- وزاد عدد سكان المدن الرئيسية فبلغ عدد سكان تل ابيب، مثلاً، ٣٨٠،٠٠٠ عام ١٩٦٧

- بينما كان ٢٢٠،٠٠٠ عام ١٩٤٨ .

- وقفزت القيمة الاجمالية لصادراتها من ٢٨،٥ مليون دولار عام ١٩٤٩ الى ٥٠٣ ملايين دولار عام ١٩٦٦ وبلغت نسبة الصادرات الى الواردات عام ١٩٦٦ ٥٨،٨ في المئة بينما لم تتعد ١١،٣ في المئة عام ١٩٤٩ وكانت اهم صناعاتها في الاجهزة الكهربائية والآلية والالكترونية.

وشهدت "اسرائيل" نمواً مائلاً في حقل الزراعة فزاد عدد قراها الى ٧٥٠ قرية عشية حرب حزيران / يونيو وبينما استهلكت ٣٠٠ مليون متر مكعب من الماء عام ١٩٤٩ استهلكت ما يزيد على ١،٣٠٠،٠٠٠ متر مكعب عام ١٩٦٥ وذلك بفضل تحويل نهر



الأردن الذي تم في السنة السابقة من نقطة انطلاق مختلفة عن نقطة ١٩٥٣ مما مكنها من زيادة مساحة أراضيها تحت الري من ٣٠٠،٠٠٠ دونم عام ١٩٤٨ إلى ١،٤٥٠،٠٠٠ دونماً عام ١٩٦٧ وزيادة إنتاجها الزراعي ستة أضعاف خلال الفترة ذاتها.

وعززت "إسرائيل" خلال هذه الفترة علاقاتها الدولية على رغم سلسلة القرارات الصادرة عن هيئة الأمم في شجب تصرفاتها فأقامت علاقات دبلوماسية مع تسعين دولة، ستون منها من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وأسست علاقات وثيقة في أفريقيا خصوصاً مع الحبشة وغانا وغينيا وساحل العاج إضافة إلى أفريقيا الجنوبية. وحافظت على علاقات جيدة مع الدول الأوروبية الكبرى: ألمانيا الاتحادية وبريطانيا وفرنسا وتم الاعتراف المتبادل مع ألمانيا الاتحادية عام ١٩٦٥.

وباعت ألمانيا الاتحادية "إسرائيل" طائرات هليكوبتر ودبابات أمريكية الصنع بإيعاز من أمريكا. وباعت بريطانيا "إسرائيل" سفناً حربية ودبابات "سنتوريان" الثقيلة. لكن أهم علاقة في مجال التسليح كانت مع فرنسا. وكان معظم طائرات "إسرائيل" الحربية قبل حرب حزيران/يونيو وخلالها فرنسية الصنع كذلك دباباتها ومدفعتها الثقيلة. بيد أن الفتور بدأ يذب تدريجياً بينهما بعد استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ بسبب حرص الرئيس شارل ديغول على إعادة العلاقات الطيبة مع الدول العربية وخصوصاً مع مصر.

وكان أخطر بعد على موازين القوى بين "إسرائيل" والعرب في العلاقة الفرنسية - الإسرائيلية التعاون السري في المجال النووي العسكري، الذي بدأ عام ١٩٥٤ بإشراف شمعون بيريز (مهندس الشرق الأوسطية في إيماننا) ممثلاً لإسرائيل بوصفه وكيلاً لوزارة الدفاع وكانت "إسرائيل" بدأت تفكر في حيازة السلاح النووي بعيد إعلان قيامها عام ١٩٤٨ ،

وانشأت عام ١٩٥٢ لهذا الغرض لجنة الطاقة النووية. وفي عام ١٩٥٥ استغلت مشروع ايزنهاور النووي السلمي **Atoms for Peace** لتسني بمعونة أمريكا مفاعلاً بحثياً **Research Reactor** صغيراً في ناحل سوريك طاقته ٥ ميغاواط وتضمن الاتفاق مع فرنسا قيامها بمساعدة "إسرائيل" على بناء مفاعل نووي في ديمونا تتراوح تقديرات طاقته بين ٢٥ ميغاواط و ٤٠ ميغاواط مقابل ان تعين "إسرائيل"

فرنسا في صناعة الماء الثقيل **Heavy Water** الذي يبدو انما كانت قد طورته وهذه مادة تستعمل في تبريد المفاعلات. وثمة دلائل على ان مفاعل ديمونا بدأ العمل عام ١٩٦٣ في انتاج مادة البلوتونيوم التي تصنع منها القنبلة النووية فاذا كانت طاقته ٢٥ ميغاواط فهذه تكفي لصناعة قنبلة واحدة في السنة، واذا كانت ٤٠ ميغاواط فهي تكفي لصناعة ٣-٤ قنابل سنوياً.

واكدت مصادر رسمية امريكية وفرنسية على حيازة "اسرائيل" للسلح النووي. كما اكد على ذلك عام ١٩٨٦ الاسرائيلي "فعنونو" الذي كان يعمل مساعداً فنياً في ديمونا، و"اسرائيل" تنكر حيازتها السلح النووي وترفض رفضاً باتاً كلاً من التوقيع على معاهدة عدم نشر الاسلحة النووية او التفيتش الدولي على مفاعلها في ديمونا.

وبحيازة السلح النووي اصبحت "اسرائيل" سادس دولة نووية عسكرية في العالم بعد امريكا وروسيا والصين وبريطانيا وفرنسا واكتسبت قوة ردع هائلة لا مثيل لها لدى العرب اضافة الى قواتها النظامية التقليدية الضخمة المتفوقة على جيوش الدول العربية المتاخمة لها.

لم يتخذ ايزنهاور موقفه من "اسرائيل" عام ١٩٥٦ حياً بالعرب، بل املاه عليه حذره من الصدام مع حليف القاهرة الاتحاد السوفيتي الذي لمح الى وجوب قيام العملاقين الاثنيين بطرد المعتدين او الى قيامه هو بمبادرة عسكرية من جانب واحد علماً بان تمديد موسكو المباشر لكل من لندن وباريس وتل ابيب تلا اتخاذ ايزنهاور لموقفه الحازم تجاههم.

ولم يلبث هذا الاخير بعد اخراج الغزاة من مصر الا ان اطلق مشروعه "لحمائية" المشرق العربي وكان هذا هو الخطر المحدق به وهو انما فعل ذلك لان واشنطن نظرت الى كل مناطق العالم طوال الحرب الباردة من خلال منظار صراعها مع موسكو ولان اخراج بريطانيا وفرنسا بهذه الشاكلة المهينة من مصر احدث في نظرها "فراغاً" غربياً في المنطقة كان لا بد لواشنطن من ان تملؤه، حماية لمصالح الغرب البترولية.

وبالرغم من موقفه المتشدد من "اسرائيل" حصلت "اسرائيل" على معونات مالية من واشنطن خلال عهد ايزنهاور (١٩٥٣-١٩٦٠) قدرها ٤٩٣ مليون دولار مما يدل على قوة نفوذها في الولايات المتحدة حتى بوجود ادارة غير متعاطفة.

وباقتراب نهائية "كابوس" ايزنهاور تطلع اللوبي الاسرائيلي الى المرشح كينيدي الذي كان له "مدخل" **Access** عليه رغم تخوفهم منه بسبب مواقف والده جوزيف المناصرة لألمانيا النازية ايام عمله سفيراً في لندن في الثلاثينات ولكنه كاثوليكياً. اضافة الى انه لم يهرع الى تأييد "اسرائيل" خلال العدوان الثلاثي كما فعل المرشحان الديمقراطيان الاخران ليندن جونسون وهويرت همفري.

واجرى الزعيم اليهودي كلوتزنيك صاحب "المدخل" امتحاناً مكرراً لكينيدي في القضية الفلسطينية ووجد اجوبته في روايته للحادث "ضبابية" **Cloudy** كما اظهر كينيدي لمتحنه اهتماماً بأوضاع اللاجئين الفلسطينيين، فما كان من كلوتزنيك الا ان قال له "اذا كنت تنوي ان تقول مثل هذا الكلام اثناء معركتك الانتخابية فأخرجني من حساباتك واخرج معي عديدين اخرين". وسأله كينيدي "ماذا يريد اليهود ان اقول؟" فنصحته كلوتزنيك "ان موقف ايزنهاور في السويس لم يكن حسناً وموقف ترومان عام ١٩٤٨ اصاب الهدف . **On The Marka** .

وعقب ذلك حضر كينيدي اجتماعاً مع رجال اعمال يهود كان بينهم كلوتزنيك فوعده بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ دولار لصندوقه فوقف في مؤتمر للمنظمة الامريكية الصهيونية **Zionist Organization Of America** بعد ذلك ليقول "ان هرتزل كان في السابعة والثلاثين من عمره عندما اعلن حتمية قيام دولة "اسرائيل" وذلك جواباً على بعض منتقديه من الجمهوريين على صغر سنه، واذاف "ان الشعب اليهودي منذ انتصار داوود على جوليت **Goliath** لم يعتبر صغر السن حائلاً دون الزعامة" وحصل كينيدي في انتخابات ١٩٦٠ ضد منافسه نيكسون على ٨٠ في المئة من اصوات اليهود مما رجح كفته عليه ولو بنسبة قليلة فتأكدت بذلك اهمية هذه الاصوات لكل طامح الى الرئاسة من بعده.

وعبر كينيدي عن تقديره بتعيين كلوتزنك نائباً لرئيس الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة. وقال لـ"بن غوريون" عندما التقيا في نيويورك في ربيع عام ١٩٦١ (حسب رواية بار زوهار مترجم سيرة الاخير) "انني اعرف بانني انتخبت بفضل اصوات اليهود الامريكيين فهل استطيع ان اعمل شيئاً للشعب اليهودي"، يقول بار زوهار ان بن غوريون ذهل لهذه الصراحة واجاب "عليك ان تعمل ما هو الافضل للعالم الحر".

ورغمًا عن ذلك كان كينيدي مؤيداً لثورة الجزائر ومعجباً بعبدالناصر ومنتظلاً الى لقائه وآملاً بالتعاون معه للوصول الى تسوية خصوصاً فيما يتعلق باللاجئين الفلسطينيين عملاً بقرار العودة ١٩٤ الصادر عن هيئة الأمم عام ١٩٤٨. وفعلاً ايد كينيدي مشروعاً اعده جاوزيف جونسون عامي ١٩٦١-١٩٦٢ (هو غير ايريك جونسون مبعوث ايزنهاور لشؤون المياه) يتضمن مبدأ اعطاء اللاجئين الخيار بالعودة او التعويض ولاقامة صندوق تشارك "اسرائيل" فيه للتعويض عليهم.

اغضب المشروع بن غوريون غضباً شديداً فكتب الى سفيره في الولايات المتحدة حسب رواية ساي كينين مؤسس "الايباك" ان يخبر اللوبي الصهيوني بان "اسرائيل" تعتبر هذا المشروع خطراً على وجودها اشد وادهى من تهديدات جميع الديكتاتوريين والملوك العرب ومن جميع الجيوش العربية وصواريخ ناصر وطائراته السوفياتية"فقضي بذلك على المشروع. وفي الوقت نفسه وافق كينيدي على بيع "اسرائيل" صواريخ هوك **Hawk** ، المضادة للقاذفات فزادت بذلك قوة "اسرائيل" الدفاعية وبالتالي الهجومية وكانت هذه اول صفقة سلاح متطور امريكية-اسرائيلية منذ قيام الدولة تبعتها سيل لا ينقطع الى يومنا هذا.

وباغتيال كينيدي وتولي نائبه ليندن جونسون الرئاسة تعددت "المداخل" اليهودية الى البيت الابيض .... مستشار الامن القومي واخوه يوجين الرجل الثالث في الخارجية وارثور غولد برغ السفير في هيئة الأمم وجون روش المساعد الخاص في البيت الابيض وارثور كريم **Krim** ، وزوجته صديقان مقربان يتزلان على البيت الابيض وعلى "عزبة" الرئيس. والسيدة كريم مسيحية تمودت وهي عضو سابق في منظمة الارغون الارهابية بقيادة مناحيم بيغن.

واستحوذ القتال في فييتنام على ذهن جونسون، وعند استلامه الحكم في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣ كان وصل عدد القوات الامريكية هناك الى ١٥ الف جندي فارتفع الى ٣٠٠،١٨٤ في نهاية ١٩٦٥ والى حوالى نصف مليون في نهاية ١٩٦٦. وامتد القتال الى كمبوديا. وامر جونسون بقصف منطقة هانوي قصفاً متواصلاً وكلما ازداد الضغط الشيوعي على جونسون في جنوب شرق آسيا ازداد الحافز لديه لرد التحية في غربها.

وتميز الوضع السياسي الداخلي في "اسرائيل" خلال هذه الفترة بظاهرتين: اولاهما تفاقم ذيول فضيحة لافون مما ادى الى استقالة بن غوريون نهائياً من الحكم وثانيهما احتدام التنافس بين احزاب اليمين بزعامة مناحيم بيغن والاحزاب العمالية بزعامة بن غوريون.

وبقي بن غوريون رئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع من نوفمبر ١٩٥٥ (بعيد استقالة موشيه شاريت) لغاية حزيران (يونيو) ١٩٦٣ عندما استقال بسبب فشله في اقناع زملائه بإدانة لافون الذي اصر على انه كان ضحية خداع المؤسسة العسكرية اي بمعنى اخر ضحية بن غوريون نفسه وظل بعد خروجه من الحكم الاب الروحي لهذه المؤسسة كما كان رئيس الاركان بين ١٩٦٤-١٩٦٨ اسحق رايبن احد اقرب المرشحين العسكريين اليه. وخلف بن غوريون في الحكم ليفي اشكول الذي بقي رئيساً الى ان توفي عام ١٩٦٩.

وبقي حزب "الخبروت" اليميني المنبثق عن العصابتين الارهابيتين الارغون والشيتيرن في مرتبة ادنى من حزب الماباي العمالي في انتخابات الكنيست الاولى (١٩٤٩) والكنيست الثاني (١٩٥١) فكانت مرتبته الرابعة في الاولى، والخامسة في الثانية، لكنه قفز الى المرتبة الثانية بعد الماباي في كل من انتخابات الكنيست الثالثة (١٩٥٥) والرابعة (١٩٥٩) ووحد الطرفان صفوفهما عام ١٩٦٥ استعداداً لانتخابات الكنيست الخامسة في هذه السنة فتجمعت احزاب اليسار فيما سمي بـ **Alignment** ، وتجمعت احزاب اليمين فيما سمي بحزب "الجاحال" واحتفظ حزب "الجاحال" بمرتبته الثانية في هذه الكنيست وكان "الجاحال" يزايد على العمال في السياسة الخارجية خصوصاً تجاه الدول العربية.

## سابعا : أسباب بغض الصهاينة لمصر وللرئيس عبد الناصر

كانت هذه خلفية الأحداث الجسام التي شهدها الوطن العربي خلال هذه الفترة من الوحدة (١٩٥٨) الى الانفصال (١٩٦١) ومن استقلال المغرب فتونس (١٩٥٦) والكويت (١٩٦١) والجزائر (١٩٦٢) ومن ثورة لبنان (١٩٥٨) والعراق (١٩٥٨) ونزول قوات الماريتز في لبنان وخروجها منه في السنة ذاتها الى ثورة اليمن (١٩٦٢) ونزول القوات المصرية فيه في السنة ذاتها الى سقوط عبدالكريم قاسم (١٩٦٢) الى فشل محادثات الوحدة بين العراق وسورية ومصر عام ١٩٦٣ وما بعد.

وكانت هذه الأحداث الدولية والإسرائيلية والعربية خلفية سعي "اسرائيل" الحثيث مجدداً الى تحويل نهر الاردن الذي تم لها في صيف ١٩٦٤ وهي سنة انتخابات رئاسية في الولايات المتحدة اعيد فيه ليندن جونسون الى الحكم وهو الذي وصفه ساي كيتين مؤسس "الايبيك" في مذكراته عام ١٩٨١ بانه "افضل صديق **The Best Friend** لاسرائيل من بين رؤساء الولايات المتحدة".

وانعقد مجلس الجامعة العربية عام ١٩٦٠ اثناء الوحدة ليعلن ان مواصلة "اسرائيل" السعي لتحويل النهر "عمل عدواني ضد العرب يبرر تدابير دفاعية مشتركة" فجاء ما جاء بعد هذا الاعلان ولم يجتمع رؤساء الاركان العرب الا في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٣ بطلب من سوريا الانفصالية فقرروا ان لا مندوحة من القوة العسكرية لايقاف اعمال التحويل فدعا عبدالناصر الى اجتماع قمة في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ (وهو اول اجتماع قمة عربية بعد اجتماع انشاص في مصر عام ١٩٤٦ قبيل قرار التقسيم عام ١٩٤٧).

وتخلل اجتماع القمة تلاسن وتداول وتجريح لا يشرف المتفوهين به وقرر القيام بتحويل مضاد لروافد النهر الواقعة في الدول العربية (الحاصباني، والبانياس، واليرموك) وانشاء قيادة عسكرية موحدة للدفاع عنه كما قرر الطلب من ممثل فلسطين في الجامعة احمد الشقيري المتابرة في انشاء "الكيان الفلسطيني".

وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ وبعد بدء تدفق مياه الاردن الى النقب في جنوب "اسرائيل" عبر الجليل والسهل الساحلي في انابيب قطرها ١٠٨ بوصات انعقدت قمة ثانية لتقرر بناء السدود على البانياس والخاصاني واليرموك وقناة تمتد ٨٠ ميلاً داخل الاراضي السورية تربطها ببعضها البعض.

وهددت "اسرائيل" وتوعدت وقامت بغارات متتالية جوية ومدفعية على لاقري السورية ومواقع التحويل المضاد في تشرين الثاني ١٩٦٤ واذار (مارس) ويار (مايو) ١٩٦٥ وتموز (يوليو) ١٩٦٦ اوقفت عملياً هذا المشروع العربي المشترك فتبين لها ميدانياً هزالة العمل العربي الجدي مع انه لم تكن بحاجة الى دليل عليه. وتم لها سرقة المياه العربية بعدما سرقت معظم الاراضي الفلسطينية قبل ذلك بعشرين عاماً وكانت المجاهدة بصدد التحويل بمثابة "بروفة" عسكرية لما هو آت.

واضاف الى فقايع الشقيري (رحمه الله) اللفظية برزت في الميدان حركة "فتح" الجهادية تنادي بالقياس بين حرب تحرير شعبية في فلسطين وحرب التحرير في الجزائر وفيتنام والصين مع ان لا قياس بين هذه وتلك. ولم تخف "فتح" غايتها في توريث الجيوش العربية النظامية في حرب مع "اسرائيل" بحجة تقاعس الدول العربية عن القيام بواجبها اتجاه فلسطين فقامت بسلسلة غارات صغيرة من الاراضي السورية والاردنية لم يكن لها اي اثر عسكري يذكر على رغم بطولة من قام بها، لكنها اضافت الى مستودع الذرائع التي كانت "اسرائيل" تحرص على تجميعها كما شهد بذلك موشيه دايان في التصريح الذي روي عنه مؤخراً.

وتوج عبدالناصر (رحمه الله) هذه الذرائع تحت تأثير ضغوط عربية هائلة تعرض لها من كل صوب فاقترب رابع الاخطاء الاستراتيجية الكبرى في حياته السياسية: احجامة عن ممارسة صلاحياته الدستورية في الحفاظ على الوحدة (١٩٦١) وقرار التأميم (١٩٦١) وارسال جيشه الى اليمن (١٩٦٢) اما رابع الاخطاء وادهاها فكان طلبه سحب قوات الدولية من قطاع غزة ومضيق تيران.

## ثامنا : نكسة يونيو ٦٧ التي تسبب فيها الصهاينة

– حرب حزيران هي ثالث الزلازل الكبرى التي غيرت معالم مشرقنا منذ مطلع القرن الجاري بعد الحرب الكونية الاولى والحرب الصهيونية العربية عام ١٩٤٨ . وعكست السرعة البرقية التي حسمت "اسرائيل" فيها النتيجة العسكرية، مقدار تفوقها على الجيوش العربية قيادة وتخطيطاً، تنظيمياً واداءً، ففي غضون ساعات قلائل عرت "اسرائيل" قواتنا البرية عن مظلتها الجوية وجعلتها لقمة سائغة لطيرانها في بيئتنا الصحراوية الجرداء بعد ان حطمت قواتنا الجوية ومعظمها جاثمة على الارض في ضربات ماحقة استباقية ومفاجئة.

واستولت "اسرائيل" بعد قتال لم يدم اكثر من ستة ايام على مساحة من الارض العربية ثلاثة اضعاف مساحتها قبل العدوان فعدت محتلة لـ ١٠٠ في المئة من الارض الفلسطينية ما بين النهر والبحر بما في ذلك القدس بأكملها، واشرفت من على جبل الشيخ على دمشق شمالاً، وفي سيناء على قناة السويس غرباً واعماق البحر الاحمر جنوباً وهجرت "اسرائيل" خلال القتال وبعيده ٢٥٠,٠٠٠ لاجيء من الضفة الغربية وقطاع غزة و ١٠٠,٠٠٠ من اهالي الجولان وآلافاً من بدو سيناء، كما استولت على الحقول البترولية فيها. واستشهد حوالي ١٥,٠٠٠ جندي عربي معظمهم من المصريين وخسرت الجيوش العربية ٧٠ في المئة من اسلحتها الثقيلة بما فيها ٤٠٠ طائرة تحطمت و ٥٠٠ دبابة تحطمت او غنمت. وبلغت خسائر "اسرائيل" "ما يزيد على ٧٠٠ قتيل و ٦٠ دبابة و ٢٠ طائرة" كما تصفها مصادرها الرسمية.

واختلفت ردة الفعل الامريكية على هذا العدوان مقارنة بردة فعلها على العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ اختلاف جونسون عن ايزنهاور نشأة وبيئة اجتماعية وعلاقات مع اليهود ونظرة اليهم، كما عكست نمو اللوبي اليهودي منذ العدوان الثلاثي ونتيجة الموقف بالذات الذي اتخذته ايزنهاور من العدوان. وهكذا لم يكن وارداً في ذهن جونسون على الاطلاق ان يطالب بعودة الوضع الذي كان قائماً قبل الحرب **Status quo ante bellum** او ما يقترب من ذلك بل بالعكس حرص جونسون عملياً على ان تبقى الاراضي المحتلة في ايدي "اسرائيل" الى ما شاء الله او حتى توظفها لفرض التسوية التي تبتغيها بشروطها هي اذا ما حلا لها ذلك.



وتجسدت نظرة جونسون هذه بمشورة الاخوين روستو والسفير غولدبرغ في القرار ٢٤٢ الذي لا يحدد اية مهلة للتسوية المطالب بها ويترك هامشاً واسعاً (بالانكليزية) للدعاء بعدم وجوب الانسحاب من جميع الاراضي ويهمل كلياً اي اشارة الى فلسطين أو الفلسطينيين معتبراً ان القضية انما هي بين الدول العربية ودولة "اسرائيل" مع تأكيد ديباجية القرار على عدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالقوة حفظاً لماء الوجه. وكان القرار ٢٤٢ من منظور الحرب الباردة جواب جونسون الى موسكو على المأزق الذي حشرت امريكا نفسها فيه في فيتنام.

اسكر النصر الساحق الشعب اليهودي حيثما وجد واثار الاستيلاء على القدس الشرقية وحائط البراق وكامل التراب الفلسطيني وهزيمة القاهرة ودمشق وعمان معاً دفين الغرائز لدى عدد متزايد منهم وجعل من كل يهودي امريكي من دون استثناء يذكر صهيونياً ملتزماً فزاد بذلك اللوبي اليهودي واثره على المؤسسة السياسية الامريكية قوة على قوة، وبلغت تبرعات يهود امريكا خلال ثلاثة اسابيع من بدء القتال ١٠٠ مليون دولار معظمها نقداً، ونمت موجة من الهجرة الى "اسرائيل" بلغت ٣٠,٠٠٠ امريكي يهودي بين ١٩٦٧-١٩٧٣

مما استدعى انشاء وزارة للهجرة والاستيعاب لتولي امورهم. وعزرت نتائج حرب حزيران الشعور القومي بين يهود روسيا وحفزتهم الى المطالبة بالهجرة الى "اسرائيل". اما في "اسرائيل" نفسها فبلغ الزهو والاعتداد بالنفس الذروة وكان الشعور السائد "ان ليس بالامكان احسن مما كان" وان الزمن لصالح "اسرائيل"

وان المفاوضات تعني التخلي عما باليد وبالتالي لا وجوب لها وان العرب في عجز سحيق وتجسد هذا الشعور اكثر ما تجسد في القدس الشرقية وبخاصة في البلدة القديمة اذ هدمت احياء بكاملها بجوار حائط البراق وطرد الآلاف من سكانها ودعا بن غوريون المتقاعد الى هدم اسوار المدينة القديمة التي بناها السلطان سليمان القانوني لكونها تضيي الطابع الاسلامي على القدس الشرقية.

لم تكتفِ مصر وسوريا بـ لاءات قمة الخرطوم الثلاث بل اردتها بالمبادرة بمناوشات بالمدفعية على حدودهما الجديدة ما لبثت ان تطورت الى ما سمي "بحرب الاستنزاف" التي دامت من

حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الى تموز (يوليو) ١٩٧٠. وكان الهدف منها اثبات الذات على رغم الهزيمة والضغط على الولايات المتحدة لكسر الجمود التي سعت "اسرائيل" الى تثبيته في المنطقة.

في هذه الاثناء كان ولاية جونسون قد انتهت عام ١٩٦٨ وخلفه ريتشارد نيكسون الذي عين هنري كيسنجر مستشاره للأمن القومي ووليم روجرز وزيراً للخارجية. اما في "اسرائيل" فقد توفي ليفي اشكول عام ١٩٦٩ واعقبته في الحكم غولدا مائير (١٨٩٨-١٩٧٨) الروسية المولدة والامريكية النشأة .

وكانت الحكومة الاسرائيلية ما زالت حكومة اتحاد وطني منذ تأسيسها عشية حرب حزيران تضم حرب "الجحاح" اليميني بزعامه مناحيم بيغن اضافة الى حزب "الائتلاف" العمالي بزعامه غولدا مائير. ولم يكن لليهود "مدخل" مميز على نيكسون على رغم تعيينه لهنري كيسنجر ولا كان متعاطفاً معهم مثله مثل معظم الجمهوريين في حينه وكان الذي يجمع بينه وبين كيسنجر نظرة متطابقة بالنسبة للتعامل مع موسكو في الشرق الاوسط وخارجه.

وتتلخص نظرة نيكسون الى الصراع الصهيوني-العربي بصرف النظر عن الضغوط اليهودية والاعتبارات الانتخابية في ضرورة المحافظة على التفوق العسكري الاسرائيلي في وجه حلفاء الاتحاد السوفياتي من العرب مع الحرص على التخفيف من حدة توتر الصراع لتلافي الصدام بين الجبارين. وبعبارة لم يكن لدى نيكسون اهتمام خاص خارج هذا الاطار في الشرق الاوسط ولا رغبة معينة في تسوية النزاع الصهيوني-العربي وهو توجه شجعه كيسنجر في المحافظة عليه. وكانت خلفية روجرز الاجتماعية شبيهة بخلفية الاخوين دالاس على دماثة خلق وتوضع جم.

بيد ان القتال خصوصاً في الجبهة المصرية استمر في التصاعد وكان نيكسون قد وصف الوضع في المنطقة في اول مؤتمر صحافي له على انه "برميل بارود" Powder Keg فقام روجرز في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ بإعلان مبادرة عكست من دون شك وجهة نظر "المستعربين" Arabists في الوزارة الخارجية اكثر منها البيت الابيض، ناهيك عن كيسنجر، تقوم على ضرورة ان تكون سياسة الولايات المتحدة "متوازنة" Balanced

وعلى رفض التوسع **Expansionism** وعلى ان التسوية الاقليمية يجب الا تعكس  
ثقل الانتصار العسكري **Weight of conquest**

ورفضت المبادرة اي خطوات احادية الجانب ودعت الى الانسحاب الكامل من سيناء مقابل  
معاهدة صلح اسرائيلية مصرية، ولم تتعرض المبادرة الى الجولان، وبالنسبة للاردن دعت الى  
الانسحاب الى حدود الهدنة مع بعض التعديلات والى مشاركة الاردن و"اسرائيل" في القدس  
كما لحت الى اعطاء اللاجئيين حق الخيار بين العودة والتعويض.

وهبطت السماء على رأس روجرز في اعقاب مبادرته وعلقت غولدا ماير عليها بقولها: "لم  
نخض ثلاث حروب حتى ننتحر الان". ونظمت "الايبيك" في الولايات المتحدة مظاهرة لـ  
١٤٠٠ زعيم يهودي من ٣١ ولاية هبطوا دفعة واحدة على واشنطن وقابلوا ٢٥٠ عضواً في  
الكونغرس وشنّت "اسرائيل" في خطوة تصعيدية غارات جوية في اعماق مصر للتدليل على  
صلابة عزمها تجاه كل من القاهرة وواشنطن وموسكو وطار عبدالناصر الى موسكو وهدد  
بالاستقالة لمصلحة خلف "مقبول" لدى الولايات المتحدة فأرسل الاتحاد السوفياتي اكبر حملة له  
خارج حدوده قبل غزو افغانستان فكان الصدام الجوي الاسرائيلي الروسي في اجواء مصر  
وتجدد نشاط روجرز.

طالب روجرز بوقف فوري للقتال وقدم صيغة "ملطفة" لاقتراحه الاول قائمة على "مبادئ"  
قرار ٢٤٢ قبلتها مصر والاردن ولم تقبلها "اسرائيل" في تموز ١٩٧٠ الا كما انهكت الحرب  
عبدالناصر فوق انهاكه بحوادث الاردن المتزامنة وتوفاه الله في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٠.

## الباب التاسع

### حرب أكتوبر وكسر شوكة الصهاينة

#### أولاً : استراتيجية الرئيس الراحل " أنور السادات "

قامت استراتيجية الرئيس الراحل " أنور السادات " منذ البدء على الابتعاد عن الإتحاد السوفيتي والإقتراب من الولايات المتحدة وعلى اطلاق المبادرات "الاجابية" بالتوالي أملاً باستدراك اهتمام امريكا وإحراج "إسرائيل" مع التنسيق الوثيق مع السعودية. وفي ٤ شباط (فبراير) ١٩٧١ اقترح السادات أن تنسحب "إسرائيل" إلى الممرات على أن تعبر القوات المصرية القناة إليها وتحافظ على وقف اطلاق النار وتفتح قناة السويس وتقيم العلاقات الدبلوماسية مع امريكا وتعلن استعداداً لعقد اتفاق سلمي مع "إسرائيل" عن طريق هيئة الأمم.

وتقول الصحيفة الإسرائيلية "هآرتس" إن اقتراح السادات هذا أوقع "جولدا ماير" في حال ذعر **Panic** ذلك أنه اخر ما كان في ذهنها هو التفاوض من أجل السلم. وأكد السادات في تصريح له في مجلة "نيوزويك" الأمريكية رغبتة في التعايش السلمي مع "إسرائيل". وفي نيسان (ابريل) ١٩٧١ أعاد اقتراحه بفتح القناة (الملائم لامريكا) كخطوة أولى تجاه اتفاق سلمي مقابل التزام "اسرائيل" بالانسحاب من جميع الاراضي المحتلة فرفضت "اسرائيل" بعد ان حصلت على تطمينات من نيكسون نفسه فحواسها أن الانسحاب الاسرائيلي لن يكون بالضرورة الى حدود ١٩٦٧

وإن تسوية قضية اللاجئين لن تضعف الصبغة اليهودية لاسرائيل وان الولايات المتحدة ستؤمن التوازن (اي النفوق) في السلاح واعقب ذلك ارسال امريكا لـ ٤٥ طائرة فانتموم مقاتلة وثمانين طائرة سكاي هوك قاذفة كان روجرز قد اخر وصولها الى "اسرائيل" قبل موافقتها على مبادرته.

ومع ذلك استقال مناحيم بيغن من حكومة الاتحاد الوطني في آب (اغسطس) ١٩٧٠ غاضباً حانقاً ومعلنأ أن مبادرة روجرز ستؤدي الى محرقة **Holocaust** يهودية ثانية. وهكذا لم تفص مبادرتا " روجرز " بسبب حرب الإستنزاف عن اي نتيجة ملموسة على الأرض سوى وقف القتال واسفرت الحرب ذاتها عن ١٠،٠٠٠ شهيد مصري و١٠٠٠ قتيل اسرائيلي اضافة الى خسائر مادية فادحة في مدن القناة وريفها

واقترحت امريكا محادثات جوار **Proximity Talks** برعايتها فامتنت "اسرائيل" وحاول روجرز الضغط عليها ثانية باعاقبة دفعة جديدة من المقاتلات والقاذفات، لكنه اضطر بسبب الضغوط عليه من الكونجرس ان يفرج عنها في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ .

### ثانيا :رفض الصهاينة لقبول الصلالم والتعايش مع العرب

وياعاز من مصر زار "اسرائيل" في خريف ١٩٧١ اربعة رؤساء افريقيون للاستحصال على تعهد من "إسرائيل" بعدم ضم اي من الاراضي العربية فصدوا كما صد مسعى قام به امين الأمم المتحدة حينئذ " كورت فالدهايم " بعد ذلك بقليل. وفي عام ١٩٧٢ اعلن الكنيست " ان حقوق الشعب اليهودي في ارض "اسرائيل" فوق التحدي".

واستمر انشاء المستعمرات في كل من الجولان والضفة والقطاع وسيناء واعلنت "اسرائيل" عن نيتها في بناء مدينة ياميت **Yamit** في سيناء ليقطنها ٢٠٠،٠٠٠ يهودي. وفي تموز / يوليو ١٩٧٢ اخرج السادات من مصر الخبراء العسكريين السوفيت وعددهم بين ١٥،٠٠٠ - ٢٠،٠٠٠ وتطلع الى نهاية عام ١٩٧٢ وهي سنة انتخابات رئاسية امريكية أملاً بان يتحرر نيكسون كلياً في ولايته الثانية من الضغوط اليهودية.

ولم تلق اي من هذه الخطوات اي استجابة من "اسرائيل" ذلك ان الولايات المتحدة في تعليق للكاتب الصهيوني البريطاني المخضرم " جون كيمشي " قد عززت القوات الاسرائيلية بحيث اصبحت سيدة **Master** الشرق الأوسط فلماذا يقدمون التنازلات الى مصر أو لغيرها؟" اما بالنسبة لنيكسون فلم تتحقق الأمال في ولايته الثانية بل بالعكس خف تخوفه وتخوف كيسنجر من الصدام مع السوفيت بخروجهم من مصر واستجاب لطلب ماير في آذار

(مارس) ١٩٧٣ لارسال ٤٨ مقاتلة وقاذفة جديدة. ووظف نيكسون ذلك لتثبيت الوفاق **entente** مع السوفيت، من دون اشراكهم في شؤون الشرق الاوسط واقتصر البيان اثر اجتماع لقمة بينه وبين " ليونيد برجنيف " في حزيران / يونيو ١٩٧٣ على عبارة عابرة عن المنطقة دوغما ذكر لقرار ٢٤٢ وكانت اهتمامات نيكسون منصبة في معظمها في فيتنام من ناحية وفي العلاقات مع موسكو وبكين من الناحية الثانية، وهو الذي زار بكين في مطلع عام ١٩٧٢ للضغط على موسكو. واخذت فضيحة " وترجيت " تستحوذ اكثر فأكثر عليه بدءاً **بعام ١٩٧٣.**

### ثالثاً : الصهاينة وحرب أكتوبر

وبداً خلال هذه المرحلة (عام ١٩٧٢) تطورا سيكون له اخطر العواقب لاحقاً وهو يشهد مجدداً على جاذبية الأصوات اليهودية في سوق الانتخابات الأمريكية ذلك أن السناتور " هنري جاكسون " الديمقراطي والطامح للرئاسة في انتخابات ١٩٧٢ استجاب لمطلب صهيوني قديم يعود الى المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين المنعقد في القدس عام ١٩٥١ جرى تكراره في المؤتمرات التالية منذئذ يؤكد على حق يهود الاتحاد السوفيتي في الهجرة إلى "اسرائيل". وقرر " جاكسون " ان يلحق تعديلات بهذا المعنى على مشروع قانون لتنظيم التجارة بين امريكا والاتحاد السوفيتي قيد التداول في الكونجرس ينص على حرمان السوفيت من منافع التجارة مع امريكا في حال عدم تجاوبهم.

وتم له ذلك على رغم طلب " نيكسون " شخصياً من " ماير " أن تقنع جاكسون بإيقاف مسعاه حرصاً منه على الوفاق مع السوفيت. وما قاله نيكسون لجولدا مائير أنه حصل على تعهد من " بريجينيف " بالسماح في هجرة ٣٥,٠٠٠ يهودي الى الخارج شرط عدم سن قانون جاكسون.

وبالفعل سمحت موسكو في الفترة ١٩٧١-١٩٨١ لـ ٢٧٠,٠٠٠ يهودي بالهجرة ذهب ١٦٥ ألفاً منهم الى "اسرائيل" وكان هذا قبل السيل العارم الذي اطلقه ميخائيل غورباتشوف، وليس مصادفة ان تأتي مبادرة جاكسون في الوقت الذي كانت "اسرائيل" تخطط لاسكان ٢٠٠,٠٠٠ يهودي في "ياميت في سيناء".

أهم ملامح الصراع الصهيوني-العربي في هذه المرحلة :

ما سبق كان باختصار شديد بعض اهم ملامح الصراع الصهيوني-العربي على محوره الرئيسي في هذه المرحلة: فالجبهة المصرية التي شكلت الخلفية لحرب رمضان كانت الخطة الكبرى على منتصف الدرب بين حرب يونيو ١٩٦٧ وكامب ديفيد.

فقد قامت حرب رمضان على الثلاثي: القاهرة ودمشق والرياض وكانت المحاولة العسكرية الاولى والاخيرة المشتركة للتصدي للقوة العسكرية الصهيونية منذ ١٩٤٨ لكنها تميزت عن محاولة ١٩٤٨ باليون الشاسع في احجام القوات المتصارعة على الطرفين وفي انظمة اسلحتها وقوة نيرانها فبينما لم يكن لدى جيوش الدول العربية مجتمعة اكثر من ٢٢ دبابة وعشرة مقاتلات عام ١٩٤٨ دفعت سوريا وحدها على جبهتها بـ ١٤٠٠ دبابة.

وكما كان الحال عام ١٩٤٨ لم يقصد عام ١٩٧٣ الى حرب مجابهة الى النهاية مع العدو بقدر ما كان القصد خصوصاً في حرب رمضان افهام تل ابيب وحليفها الكبرى واشنطن استحالة بقاء الوضع الراهن على حاله وجعل الاولى تدفع ثمناً غالياً لتثبيتها الصلح به وارغام الثانية على اعطاء المنطقة قسطاً اوفر من اهتمامها السامي الموزع بين موسكو وبكين وفيتنام.

وتميزت حرب رمضان بفضل المغفور له الملك فيصل بنية الثلاثي للمرة الاولى والاخيرة في استخدام موجودات الامة من وسائل عسكرية وغير عسكرية مجتمعة، كما تميزت بدقة التنسيق في مراحلها الاولى بين الجبهتين الشمالية والجنوبية وبالحفاظ المحكم غير المعهود عربياً على عنصر المفاجأة المطلقة عند بدايتها. ترنحت "اسرائيل" من هول الضربة الاولى والاقتحام الموفق لخط "ماجينو"- "بارليف" الذي اقامته على القناة وتوغل القوات السورية في الجولان .

ونتيجة عدم تقدم القوات المصرية لاحتلال الممرات التقطت انفسها واكملت تعبئتها العامة واستندت الى جسر جوي امريكي نقل ٢٢,٠٠٠ طن من العتاد الثقيل مباشرة الى ميدان القتال للعبور الى الضفة الغربية من القناة فكان التهديد السوفيتي بالتدخل المباشر وكان اعلان

امريكا لحال التأهب حرب عالمية ثالثة فكان اعلان وقف القتال بعد ان استردت "اسرائيل" الجولان واستولت على اراضٍ سورية خارجه.

وخسرت "اسرائيل" على الجبهتين ٢٧٧٠ قتيلاً و٧٤٠٠ جريح و٨٠٠ دبابة و١٢٠ طائرة وكانت الخسائر العربية ١٥،٠٠٠ شهيد مصري و٣،٠٠٠ شهيد سوري و٨٠٠ دبابة سورية و٦٥٠ دبابة مصرية و١٦٠ طائرة سورية و١٨٠ طائرة مصرية.

واخيراً استرعى الصراع الصهيوني-العربي اهتمام واشنطن الجدي وتولى ادارة الازمة هنري كيسنجر شبه مطلق اليد بسبب انغماس نيكسون في معالجة ذيول فضيحة واترجيت التي اضطرته الى الاستقالة في آب/ أغسطس ١٩٧٤ ليخلفه "جيرالد فورد" نائبه الذي كان قليل الخبرة في الشؤون الخارجية لكنه ذو استقامة وحسن خلق.

#### رابعا : كامب ديفيد في عيون الصهاينة

كانت لدى "كيسنجر" عند مباشرته لمهمته الشرق أوسطية صورة ذهنية واضحة شاملة لما يريد أن ينجزه وما لا يريد وحيثيات الشطرين. ففي المدى الاقرب كان الهدف فصل القوات على الجبهتين لتثبيت وقف اطلاق النار ورفع الحظر البترولي، وبلي ذلك تشجيع المفاوضات بين "اسرائيل" من ناحية ومصر والاردن من ناحية اخرى بغية الوصول الى اتفاقات ثنائية بين "اسرائيل" وكل من البلدين العربيين. ولم يكن كيسنجر ليؤمن أو يرغب في حل "شامل وعادل" للصراع الصهيوني \_ العربي لأن ذلك سيكون من منظوره الصهيوني "على حساب اسرائيل".

وكان الهدف من الاتفاق الثنائي المصري - الاسرائيلي تحييد مصر عسكرياً عملاً بنظرية توازن القوى **Balance Of Power** وهي بمفهوم كيسنجر تعني ترجيح كفة "اسرائيل" على كفة سائر الدول العربية عن طريق "ارضاء" مصر. اما الاتفاق الاردني - الاسرائيلي فكان هدفه بتصوره الائتلاف حول "القضية الفلسطينية" ومنظمة التحرير والحقوق الفلسطينية التي لم يكن ليوليها جميعاً اي اهتمام بالذات.



كما ان كيسنجر لم يكن معنياً كثيراً في اتفاق ثنائي سوري - اسرائيلي بعد اتفاق فصل القوات بحجة ان سورية حليفة موسكو وبالتالي جديرة بالحقاء والعزل والعقاب. وكان كيسنجر شديد الحرص على ابعاد موسكو عن الادارة المركزية لهذه الازمة مع استعداده لالقاء بعض الفتات امامها عن طريق اشراكها في مؤتمرات دولية طقوسية في جنيف وغيرها.

وظهرت نتائج دبلوماسية كيسنجر في الميدان في اتفاقي فصل القوات بين "اسرائيل" ومصر في كانون الثاني ١٩٧٤ وبينها وبين سورية في ايار (مايو) ١٩٧٤ واعقب الاخيرة رفع الحظر البترولي واصطدم مسعى كيسنجر في دفع الاتفاق المصري - الاسرائيلي الثنائي الى امام بتعنت "اسرائيل" حين تولى رئاسة الوزارة اسحاق رابين في نيسان (ابريل) ١٩٧٤ بعد استقالة غولدا ماير بسبب حرب تشرين الاول/ اكتوبر ٧٣ .

وكان من آثاره في الوضع الداخلي الاسرائيلي تقوية احزاب اليمين التي انضمت الى تكتل جديد باسم "الليكود" في انتخابات الكنيست الثامن (كانون الاول ١٩٧٣) اذ انخفض الفارق بين حزب العمال (الاتحلاف) وبين حزب "الجاحال" / "الليكود" اليميني من ٥٦ : ٢٦ مقعداً في انتخابات ١٩٦٩ الى ٥١ : ٣٩ مقعداً في انتخابات ١٩٧٣ .

وعلى رغم مرونة السادات وانسجامة "الفكري" مع كيسنجر لم يفلح هذا الاخير في بادىء الامر في زحزحة رابين عن موقفه. وكان هذا يعلم علم الخبير مدى النفوذ اليهودي في واشنطن وهو الذي امضى خمس سنوات سفيراً ومرشداً للوبي اليهودي فيها وكان رابين على قناعة تامة بان ضغط واشنطن عليه انما بسبب النفوذ العربي البترولي وان هذا النفوذ ظاهرة تدوم لسبع سنين عجاف يتبعها السمان فلا ضير في الجمود **Immobilism** والصمود الى ان يأتي الفرج الاكيد.

وقالت "النيويورك تايمز" عن رابين انه اشد عناداً من غولدا ماير فحيث قالت "كلا" **No** يقول رابين "ابداً" **Never** . وغضب فوراً لموقف رابين وهدد بـ "اعادة النظر" **Reassessment** في العلاقات الامريكية - الاسرائيلية "فقبلت" "اسرائيل" اخيراً بعد ان غمرها كيسنجر بـ "التعويضات" والاسلحة والتنظيمات والمغريات. وكان الاتفاق الثنائي الاسرائيلي - المصري المرحلي **Interim Agreement** في ايلول

(سبتمبر) ١٩٧٥ الذي وصفه راين نفسه بقول انه "اعطى اسرائيل" حرية عمل اعظم في المجال السياسي ووضع سورية في وضع اضعف سياسياً وعسكرياً ومكن "اسرائيل" من ان تبرز منه وهي اقوى سياسياً وعسكرياً".

في هذه الاثناء ومع انه لم يشترك في حرب رمضان طالب الاردن بعقد اتفاق ثنائي بينه وبين "اسرائيل" على غرار ما حصل على الجبهتين السورية والمصرية وكان من جملة مغريات كيسنجر الى "اسرائيل" في "مذكرة التفاهم" **Memorandum of Understanding** الملحقه بالاتفاقية المرحلية مع مصر ان تعهدت الولايات المتحدة لاسرائيل بالا تتحدث مع منظمة التحرير حتى تعترف هذه من طرف واحد بحق "اسرائيل" بالوجود وبقرار ٢٤٢ وهو التعهد الذي جمد العلاقات الفلسطينية - الامريكية إلى عام ١٩٨٩ وكان اكثر بلد عربي تحمل مضاعفاته هو لبنان الذي انتقلت اليه منظمة التحرير الفلسطينية بعد اخراجها من الاردن عام ١٩٧٠ - ١٩٧١.

وفي اعقاب هذا الحدث الاخير اخذت "اسرائيل" تفكر اكثر فأكثر في "الخيار الاردني" حلاً نهائياً للقضية الفلسطينية للإلتفاف على منظمة التحرير الفلسطينية عن طريق اتفاق ثنائي مع عمان. ووضعت سلسلة تصورات لخارطة الضفة الغربية على هذا الاساس بدأ بمشروع يغال اللون عام ١٩٧٠ وزير التربية في حينه، ولب فكرة الخيار الاردني "التقاسم الوظيفي" **Functional compromise** بين الاردن و"اسرائيل" يتولى بموجبه الاردن الادارة المدنية لمناطق فلسطينية معينة وتبقى لاسرائيل السلطة على الارض والمياه والمستعمرات والامن، ولم تصل المفاوضات الاردنية - الاسرائيلية على هذه المشاريع الى اي نتيجة على رغم حض كيسنجر لاسرائيل على "اغراء" الاردن .

واتبعت "اسرائيل" خطة رديفة تجاه منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان مستغلة خطأ الاخيرة الاستراتيجي في اعتبار لبنان "هانوي" عربية وفي تورطها المتزايد في السياسة الداخلية اللبنانية ولم تعوض مكاسب منظمة التحرير الفلسطينية المعنوية في هيئة الامم على سلبيات ما حصده في لبنان ولا عن اهمالها لشؤون الاراضي المحتلة النتائج عن هذا التورط.

وإذا كانت حرب رمضان المحطة الكبرى على منتصف الدرب بين حرب حزيران (يونيو) وكامب ديفيد فان الاتفاق المرحلي المصري-الاسرائيلي كان المحطة الكبرى بين حرب رمضان نفسها وكامب ديفيد ولعل اهم ما قدمه كيسنجر علاوة على ما اسلفنا لاسرائيل خلال وجوده في مركز القرار في ولايتي نيكسون (١٩٦٩-١٩٧٤) وفورد (١٩٧٤-١٩٧٦) مساهمته الفعالة في رفع المعونات المالية السنوية اليها الى مستويات لم يسبق ان اقتربت منها.

فقبل ولاية نيكسون كان اعلى رقم وصلت اليه المعونة الامريكية الرسمية في اي سنة واحدة بين ١٩٤٩-١٩٦٨ (عهود ترومان وايزنهاور وكينيدي وجونسون) هو ١٢٧ مليون دولار (عام ١٩٦٦ في عهد جونسون) لكنها وصلت الى بليونين و٦٤٦ مليون دولار عام ١٩٧٤ وبليونين و٣٦٢ مليون دولار عام ١٩٧٦ وكان مجموع ما تلقتة "اسرائيل" من امريكا في العشرين سنة (١٩٤٩-١٩٦٨) بليون و٣٢٤ مليون دولار بينما وصلها في السنوات الثمانية اثناء وجود كيسنجر في الحكم سبعة بلايين و٩٦٦ مليون دولار.

وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧ تولى جيمي كارتر الرئاسة بعد جيرالد فورد وعين سايروس فانس وزيراً للخارجية والكاثوليكي البولوني الاصل زفيجنييف بريجنسكي مستشاراً للأمن القومي ولم يكن لليهود "مدخل" **access** خاص على اي منهم وكانت نظرهم الى كيفية معالجة الصراع الصهيونية - العربي تختلف اختلافاً كلياً عن نظرة كيسنجر وكان كارتر اول رئيس امريكي يبدي اهتماماً شخصياً بالفلسطينيين ومأساتهم.

واستندت سياسة كارتر تجاه القضية الى تقرير كان قد صدر عن مؤسسة بروكينكز للابحاث ساهم بريجنسكي ومساعدته وليام كوانت في اعداه، اسسه: سرعة التحرك نحو حل شامل، الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ ومعاودة صلح وتطبيع واقامة دولة فلسطينية او اتحاد **Federation** مع الاردن شرط اعتراف منظمة التحرير بحق "اسرائيل" في الوجود وبالقرار ٢٤٢ واشراك الاتحاد السوفياتي بعد نضوج الحل في مؤتمر يعقد في جنيف.

وفي غضون اشهر سقطت حكومة راين في انتخابات الكنيست التاسع في ايار ١٩٧٧ ، اثر فوز احزاب اليمين بالاكثريه للمرة الاولى منذ تأسيس "اسرائيل" وتولي مناحيم بيغن رئاسة

الوزارة. وكانت نظرة بيغن على نقيض تام مع نظرة واشنطن الجديدة، فشعار حزبه الموروث عن حركة "التقحيين" **Revisionist** بنديقية تصل بين فلسطين وشرق الاردن، وهو الذي قال عن القرار ٢٤٢ انه سيؤدي الى محرقة **Holcaust** جديدة، واستقال بسببه من حكومة الاتحاد الوطني عام ١٩٦٠ والصفة الغربية لم تحمل عام ١٩٦٧ بل حررت **Liberated** واسمها الحقيقي السامرة ويهودا وحق اليهود في استيطان كل شبر من ارض "اسرائيل" اذلي ابدى ولا اعتراف ولا اتصال بمنظمة التحرير الارهابية حتى ولو اعترف باسرائيل، واعتقد البعض ان هذا الآراء ستنتفر اليهود الامريكيين حلفاء حزب العمل التقليديين،

ولكن العكس حصل والتف هؤلاء من حول بيغن بقيادة الحاخام اليكساندر شيندلر رئيس مؤتمر رؤساء الهيئات اليهودية الامريكية الكبرى التي تضم ٣٧ عضواً وباشروا بالضغط على كارتر. لم يكتف بيغن بالكلام فاتبعه بالعمل على خطين، اولهما الاسراع في وتيرة الاستيطان والدعم لحركة "غوش امونيم" التي تأسست عام ١٩٧٤ وهي التي تقول بعدم جواز اعادة الارض اليهودية المقدسة بعد احتلالها الى "الغرباء" وتعتبر الاستيطان في "اسرائيل" واحدة موحدة فرضاً دينياً واجباً على جميع اليهود.

وترجمت غوش امونيم هذه الآراء في الاستيطان المتعمد داخل المناطق المخصصة في مشاريع حزب العمل للفلسطينيين. اما خط بيغن الثاني فكان تكثيف الدعم للأحزاب اليمينية المسيحية اللبنانية وتصعيد الضربات "الانتقامية" رداً على عمليات منظمة التحرير من لبنان وفي الوقت نفسه خطط بيغن بمعونة وزير خارجيته موشيه دايان الذي كان قد ترك الحزب العمالي للانضمام اليه للاتصال بمصر لاستكشاف امكانيات صلح منفرد معها.

وارتاح كارتر للسادات، لكنه صدم بنجاح بيغن وبسياساته وهو الذي دعا في آذار (مارس) في مطلع عهده الى انشاء وطن **Homeland** للفلسطينيين وحاول طيلة صيف وخريف ١٩٧٧ زحزحة بيغن عن موقفه، وطلب منه في مقابلة معه وقف الاستيطان واعلن فانس انه "غير قانوني" **Illegal** فلم يأبه بيغن بكارتر بسبب الدعم الذي تلقاه من يهود امريكا، وعاد من احدى رحلاته منها ليردد قول يوليوس قيصر المشهور **veni vidi vici** " جئت ورأيت وانتصرت". وفكر كارتر بمجابهة علنية مع بيغن **Public**

**showdown** يخاطب فيها الشعب الامريكي شاكياً من بيغن، لكنه عاد وعدل عن ذلك وارسل الى السادات رسالة يطلب منه فيها القيام بدور بطولى لينقذ الموقف، ولكن السادات لم يتحرك على الفور بل انتظر علام ستسفر الاحداث وحتى لا يكون موجهها من قبل كارتر .

وحاول كارتر الالتفاف على بيغن بالاتفاق في اول تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٧٧ مع الاتحاد السوفياتي على صيغة لمؤتمر صلح في جنيف تضمنت الاعتراف بـ"حقوق الفلسطينيين المشروعة" ومشاركة فلسطينية (من دون الاشارة الى منظمة التحرير الفلسطينية) في مؤتمر جنيف، فقامت الدنيا ولم تقعد بسبب ضجيج اللوبي اليهودي، ما اضطر كارتر الى التراجع عن الاتفاق في ٤ تشرين الاول / اكتوبر.

وكان السادات يراقب كل هذا، واعتبر رسالة كارتر اليه وتراجعته عن بيان اول تشرين الاول / اكتوبر دليل ضعفه تجاه اللوبي اليهودي فخطا خطوته نحو القدس التي اوصلته الى كامب ديفيد بالمعاهدة.

والمفارقة ان كارتر مكن بيغن من تنفيذ سياسة نقيضة لسياسته هو تنطوي على تحييد اقوى دولة عربية من دون الالتزام بإيقاف الاستيطان الكفيل بنسف اسس "الوطن الفلسطيني" الذي كان كارتر يسعى اليه، والمفارقة ايضاً ان كارتر اضطر "لتعويض" بيغن على ما فعله الاخير، فدفعت ادارته اكثر معونة مالية لاسرائيل دفعتها ادارة امريكية منذ ١٩٤٨، اذ بلغ ما قدمه كارتر لاسرائيل عشرة بلايين و٦٦٩ مليون دولار، وهو مبلغ يزيد عما وصلها حتى في سنوات كيسنجر. ولعل ام المفارقات ان كارتر "كوفيء" على كل هذا بان هبطت نسبة اليهود الذين صوتوا اليه في الانتخابات ضد رونالد ريغان الى ٤٥ في المئة مقارنة بنسبة الـ ٦٨ في المئة الذين صوتوا له في انتخابات ١٩٧٦.

### **خامسا : إستغلال الصهاينة لمعاهدة كامب ديفيد**

– زادت سرعة تدهور اوضاعنا تجاه الصهيونية و"اسرائيل" منذ المعاهدة المصرية-الاسرائيلية الى ان وصلنا الى الدرك الذي نحن فيه اليوم وكان اجتياح صدام الغير مدروس للكويت المحطة

الرئيسية على منتصف درب هذا الانحدار المربع. طبعاً لم يكن ميزان القوى الفعلي (وليس الكامن) بيننا وبين "اسرائيل" في يوم من الايام منذ تأسيسها وإلى كامب ديفيد لصالحنا بيد ان قاهرة المعز كانت الوزن الاهم في الكفة العربية والعمود الفقري لاي عمل عربي مشترك جاد فنتج عن تحييد مصر العسكري واخراجها من الحلبة تعزيز لكفة "اسرائيل" بوزن مصر وانقاص لنا بقدره ايضاً وكسب منطق "القطر" ازاء منطق "القوم" جولة جديدة بعد كسبه جولتين سابقتين في الانفصال عام (١٩٦١) وفشل محادثات الوحدة بعده وترسخت تدريجياً شرعية الانفراد الكياني في التعامل مع الصهيونية و"اسرائيل".

وتزامنت المعاهدة المصرية - الاسرائيلية ومضاعفاتها المباشرة وغير المباشرة في السنين التي فصلت ما بينها وبين اجتياح صدام للكويت مع الحروب الروسية الافغانية (١٩٧٩ - ١٩٨٩) والحرب العراقية - الايرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨) وحولت الاولى انظار موسكو وواشنطن عن الشرق الادنى بينما ادخلت الحرب الثانية العرب في مجاهمة ماحقة مع نظام قضى لتوه على اكبر حليف لاسرائيل بعد الولايات المتحدة (شاه ايران) وابدى تعاطفاً خاصاً مع القضية الفلسطينية فهدرت في محاربه عشرات البلايين من الدولارات وزهقت مئات الآلاف من الارواح العربية والمسلمة في وقت تولى الحكم فيه في تل ابيب زعيم غلاة "اسرائيل" واشدهم بأساً وبطشاً.

وتزامن مع كل هذا استلام رونالد ريغان لرئاسة الولايات المتحدة (كانون الثاني / يناير ١٩٨١ - ١٩٨٩) وتعيينه للجنرال الكسندر هيغ تلميذ هنري كيسنجر وزيراً للخارجية. وكان ريغان خال الذهن خلواً تاماً بالنسبة للعالم العربي وغيره ويصاهي جونسون في علاقاته الوثيقة باليهود بسبب خلفيته كممثل محترف في هوليوود. واعتمد ريغان خاصة في الشؤون الاسرائيلية على يوجين روستو الخامي الامريكى اليهودي الصهيوني العتيق الذي سبق ان اشرفنا الى دوره ودور اخيه في عهد جونسون (١٩٦٣ - ١٩٦٩)

وكانت نظرة أمريكا للإتحاد السوفيتي انما هو امبراطورية شريرة **evil empire**. اما بالنسبة لاسرائيل فهي جزء اصيل من "نحن" ( أى أمريكا ) وهو بكلامه هو "الموجود **asset** الاستراتيجي الوحيد المتبقي لنا الذي يمكننا الاعتماد عليه في الشرق الاوسط بعد سقوط نظام الحكم في ايران (يعني الشاه)". اما هيغ فطموحه منذ قيادته لقوات الحلف

الاطلسي رئاسة الجمهورية وما وزارة الخارجية الا وسيلة للوصول اليها، لذا كانت سياسته في الشرق الاوسط اشد خطراً على العرب من سياسة كيسنجر نفسه لاستدراجه لرضى اليهود واعقب هيغ وزيراً للخارجية لمعظم الثمانينات (١٩٨٢-١٩٨٨) رجل الاعمال جورج شولتز الذي كان اول وزير للخارجية للعرب "مدخل" عليه فاذا به فور اعتقاله كرسيه يصد الابواب في وجوه شركاء الامس كل الايصاد خوفاً من اولاد عمهم وارتعاشاً.

لم تخف على بيجن هزالة الاوضاع العربية ولا متانة وضعه في واشنطن خصوصاً وفي وجود القيادة الجديدة في البيت الابيض" ودشن ريجان سياسته الشرق اوسطية اثناء تبادل "س. وج." في اول مؤتمر صحافي عقده بعد انتخابه حين اجاب على سؤال حول "لاشرعية" الاستيطان في الاراضي المحتلة بقوله ان الاستيطان برأيه "ليس غير شرعي" **not illegal**

وهكذا وبكل بساطة نقض ريفان سياسات كل اسلافه ونسخها نسخاً واعطى بيغن ضوءاً اخضر مشعاً كان ينتظره، وليس مصادفة ان السؤال طرح على ريفان في مطلع عهده بل اغلب الظن انه من وحي يوجين روستو ملقن ريفان الاجابة عنه بالتنسيق المحكم مع "الايباك" وتل ابيب، واطلق بيغن وخلفه شامير (١٩٨٣-١٩٩٢) الاستيطان من عقاله رقعة وانتشاراً واسكاناً دونما رادع او وازع كما اطلق يد ارييل شارون وزير دفاعه للتخطيط "المشروع (مشروع شارون) الكبير" **great plan** لاعادة رسم خريطة لبنان السياسية الذي بحثه شارون مع هيغ في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨١ وشباط (فبراير) ويار (مايو) ١٩٨٢.

وصال بيجن وجمال في هذ الاجواء فأعلن القدس بنصفها الشرقي عاصمة ابدية "لاسرائيل" عام ١٩٨٠ وضرب المفاعل العراقي في حزيران (يونيو) ١٩٨١ من دون ان يحرك صدام ساكناً لانهماكه في محاربة اعداء العرب في رايه هو وهم "الفرس". وصرح بيجن بعد ضربة المفاعل ان "اسرائيل" لن تسمح لاي بلد عربي او غير عربي (يعني ايران وباكستان) بتطوير اسلحة الدمار الشامل". وقام في تموز (يوليو) ١٩٨١ بالغارة على حي الفاكهاني في بيروت ذهب ضحيتها ٣٠٠ شهيد لبناني وفلسطيني، وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨١ اعلن ضم الجولان الى "اسرائيل" وهي ثاني ارض عربية تضم رسمياً منذ ١٩٦٧ بعد القدس الشرقية واول ارض عربية خارج حدود فلسطين الانتدابية ضمتها "اسرائيل".

وعلق اسحاق شامير وزير الخارجية في حينه على تصويت الولايات المتحدة في مجلس الامن على ادانة ضم الجولان (من دون ان تفرض امريكا على "اسرائيل" اية عقوبة) بقوله: "ان مصالح "اسرائيل" والولايات المتحدة ليست متطابقة ولا بد لنا بين الحين والاخر من ان نهتم في مصالحنا". وكان ضم الجولان عملياً رد تل ابيب على مبادرة ولي العهد آنذاك الامير فهد في تشرين الثاني (نوفمبر) حين وضع اسماً لتسوية تتضمن التعايش مع اسرائيل" شرط الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ وقيام دولة فلسطينية بما فيها القدس الشرقية.

ولم يكنف بيجن بضرب المفاعل العربي لكنه سعى للحيلولة دون حصول المملكة السعودية على اسلحة تقليدية من واشنطن في معركة "الايواكس" **AWACS** الشهيرة عام ١٩٨١ اي انه كان يريد ان يكون لتل ابيب واللوبي اليهودي حق "الفيتو" على اية صفقة سلاح بين واشنطن وعاصمة عربية. ومع ان اللوبي اليهودي خسر هذه المعركة بالذات الا ان تفاصيل خسارته تدل بالعكس على فائق قوته ذلك ان ايقاف الصفقة كان يحتاج الى اكثرية في كل من مجلس النواب ومجلس الشيوخ .

وحصل اللوبي بالفعل على اكثرية مجلس النواب (٣٠١ صوت مقابل ١١١ صوتاً) وفشل في مجلس الشيوخ بأربعة اصوات فقط (٥٢ مقابل ٤٨) وذلك بعد ان تدخل ريجان شخصياً في المعركة واعلن على التلفزيون انه "ليس من شأن الشعوب الاخرى ان تصنع السياسة الخارجية الامريكية" وايده علناً كل الرؤساء السابقين الاحياء: كارتر، وفورد، ونيسكون.

واستغل بيجن محاولة اغتيال سفير "اسرائيل" في لندن لاجتياح لبنان في حزيران /يونيو ١٩٨٢ تمهيداً لتنفيذ "المشروع الكبير" الهادف الى تحطيم البنية المدنية والعسكرية الفلسطينية على ارض لبنان واخراج القوات السورية منه وتسليم "القوات اللبنانية اليمينية" الحكم وعقد معاهدة سلام وتطبيع معها. ايضاً يراقب بيروت تحترق وتقصف من البر والبحر والجو بأحدث اسلحة الترسانة الامريكية وافتكها إلى ٤ آب (اغسطس) عندما تفوه بملاحظة فحواها ان افعال "اسرائيل" "غير مناسبة" بعد ان اوفد فيليب حبيب وبعد ان استشهد ١٧،٥٠٠ لبناني وفلسطيني معظمهم من المدنيين.



نجح بيجن في اخراج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان وكاد ينجح بفرض المعاهدة عليه بفضل الدعم العنيد الذي تلقاه من جورج شولتز شولتز خليفة هيغ في وزارة الخارجية لولا بطولة المقاومة اللبنانية و صمود القوات السورية وظهور معارضة شعبية اسرائيلية ضد وجود "اسرائيل" في لبنان في اعقاب مذبحه صبرا وشاتيلا واكتشاف "اسرائيل" حسب قول معلق اسرائيلي "ان آل الجميل ليسوا كل الكنائس والكتائب ليسوا كل الموارد والموارنة ليسوا كل المسيحيين والمسيحيون ليسوا كل اللبنانيين".

وكان قد خلف بيجن في الوزارة شامير (١٩٨٣-١٩٨٤) ثم شعون بيريز الذي تعاقب على الحكم مع شامير في حكومة اتحاد وطني (١٩٨٤-١٩٨٨) بسبب حصول حزب العمال على اكثرية ضئيلة (٤٤-٤١) ازاء حزب الليكود في انتخابات الكنيست الحادي عشر عام ١٩٨٤.

ولم تنسحب "اسرائيل" من لبنان حتى ١٩٨٥ لكن انسحابها لم يكن كاملاً وهي لا تزال تحتل ما مساحته حوالي ١٠ في المئة من مجمل مساحة لبنان تضم اكثر من مئة قرية وضيفة يسكنها اكثر من ربع مليون مواطن لبناني ويقع رأس الضلع الشرقي لجنوب لبنان المحتل عند جزين في موقع اقرب الى بيروت منه الى الحدود الاسرائيلية وهو يلتف ويسيطر على اكثر من مئة قرية لبنانية اخرى جنوب صيدا وخارج المنطقة المحتلة.

### **سادسا : الصهاينة وإنهيار الإتحاد السوفيتي**

ويشكل الجنوب اللبناني المحتل الارض العربية الثانية بعد الجولان التي تحتلها "اسرائيل" خارج حدود فلسطين الانتدابية. ومن اخطر الاحداث ما بين المعاهدة المصرية - الاسرائيلية واجتياح الكويت واعظمتها اثراً على ميزان القوى بين العرب و"اسرائيل" بدء انخلال الإتحاد السوفيتي الذي كان اندرويوف (١٩٨٠-١٩٨٤) آخر زعيم صلب العود فيه وهو الذي دعم سورية خلال اجتياح "اسرائيل" للبنان، غير ان غورباتشوف (١٩٨٥-١٩٩١) ما لبث ان افهم سورية انه اعجز من ان يحافظ على التوازن الاستراتيجي بينها وبين "اسرائيل" التي كانت دمشق تعتمد عليه لسد الفراغ الناتج عن المعاهدة المصرية - الاسرائيلية فزادت كفة "اسرائيل" بذلك ثقلاً على ثقل،

وتجسد الانحلال السوفيتي ايضاً في رضوخ موسكو لضغوط "اسرائيل" وواشنطن والسماح للهجرة اليهودية الجماعية. وفي المقابل وافقت واشنطن على طلب شامير بتقييد الهجرة اليهودية اليها فتدفق ٧٠٠،٠٠٠ مهاجر سوفياتي يهودي على "اسرائيل" ما بين ١٩٨٩ و١٩٩٦ فزادت "اسرائيل" بهم قوة بشرية وخبرات فنية على اعلى المستويات وعادل عدد اليهود السوفيتي الذين دخلوا "اسرائيل" خلال هذه السنوات السبع عدد سكان "اسرائيل" عند قيامها عام ١٩٤٨ بعد سبعين سنة من الهجرة منذ مطلع الثمانينات في القرن الماضي.

وقام ريجان بضغط من المستعربين **Arabists** في الخارجية بإعلان مبادرته لتسوية القضية الفلسطينية بعد يومين من خروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت في اول ايلول (سبتمبر) ١٩٨٢، وأكدت المبادرة على عدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية حتى تعترف الاخيرة باسرائيل وبقرار ٢٤٢ كما اكدت عدم تأييد امريكا لدولة فلسطينية او لضم الاراضي المحتلة من قبل "اسرائيل" وطالبت بحكم ذاتي فلسطيني مرتبط بالاردن وبتجميد الاستيطان والمفاوضة على مستقبل القدس.

كانت هذه المبادرة ثاني مبادرة امريكية "شاملة" بعد مبادرة روجرز عام ١٩٦٩ واخر معزوفة لمستعربي الخارجية رفضها بيغن رفضاً فظاً في اليوم التالي لإعلانها واجابت عليها الدول العربية في قمة فاس في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢ اجابة استندت الى مشروع الامير فهد لعام ١٩٨١.

غير ان المبادرة بقيت كسابقتها حبراً على ورق ولم يتوقف الاستيطان لحظة بسببها واصبح شغل جورج شولتز الشاغل بعد فشله في فرض المعاهدة الاسرائيلية على لبنان الثار من العرب ولم يعد ينظر الى المنطقة الا من تقب ابرة "الارهاب" وكثف الضغوط على منظمة التحرير الفلسطينية لينتزع منها الاعتراف باسرائيل وبالقرار ٢٤٢ و"بنبد" الارهاب (وهو شرط ثالث اضيف الى شرطي هنري كيسنجر السابقين) من دون اي مقابل من "اسرائيل" وتم له ذلك في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨،

وكان هذا البند الوحيد في مشروع ريجان الذي نفذ واعتبره شولتز فتحاً مبيناً فنشر صورة عن رسالة عرفات بذلك في مذكراته وهي الصورة الوحيدة لوثيقة ديبلوماسية نشرها في هذه المذكرات التي تملأ مئات الصفحات.

وصمم شولتز خلال ولايته كما يقول هو ان يعزز العلاقة بين امريكا و"اسرائيل" (وكأنها ما زالت بحاجة الى تعزيز) بنويماً حتى لا تستطيع ادارة امريكية لاحقة ان تعكسها وكان من اهم تدابير تحقيقاً لذلك اخراج معالجة شؤون الصراع الصهيوني - العربي من ايدي المستعربين وحصرها في فريق يهودي من "خريجي" "الايباك" وبلغ ما وصل "اسرائيل" من المعونات خلال عهد ريغان وبمشرة شولتز ٢٢ بليوناً و ٨٨١ مليون دولار وهو ضعف ما وصلها في عهد كارتر.

ولعل ابلغ مؤشر على تعاسة اوضاعنا تجاه "اسرائيل" عشية اجتياح صدام الجنوبي للكويت قيام اطفال الضفة والقطاع بالتصدي لاسرائيل بالحجارة نيابة عن القيادة الفلسطينية والعواصم العربية على روعة هذا العمل ونبله فجاء الاجتياح ليرد الزلزال الرابع الكارثي بالزلازل الشرقية الثلاثة التي سبقته عام ١٩٦٧ و ١٩٤٨ و ١٩١٤-١٩١٨، وليضيف ذيوله السلبية وما اكثرها على ذيولها ذلاً متراكماً وهواناً وكسباً صافياً مجانياً للصهيونية و"اسرائيل".

وما مؤتمر مدريد الذي حضره جميع العرب باستثناءات قليلة الا اخطر هذه الذبول وافدحها ومرآة صادقة لمجمل ما وصل اليه ميزان القوى عبر هذه الاطوار والمراحل التي اسلفنا بين العرب من ناحية و"اسرائيل" والصهيونية العالمية والولايات المتحدة من ناحية اخرى.

### **سابعاً: الصهاينة ورؤساء أمريكا**

لست من المدافعين عن اتفاق اوسلو وهو الطافح بالفجوات والنواقص ولا عن القيادة الفلسطينية واخطائها الاستراتيجية التي لا تحصى من السعي لتوريط الجيوش العربية في أواسط الستينات الى نظرية ايجاد "هانوي" عربية الى التورط في السياسة الداخلية اللبنانية

الى التجافي المتعمد تجاه دمشق وعمان الى نسيان البعد العربي الاصيل للقضية الفلسطينية الى عدم شجب اجتياح صدام للكويت. بيد انني لست من المستسهلين الطلب بالغناء اتفاق اوسلو ومحاربه وميزان القوى هو على ما وصل اليه، بخاصة بعد اجتياح الكويت وولاية كلينتون والاتفاق في نهاية المطاف يخرج كثيراً عن كونه الناتج الطبيعي على الصعيد الفلسطيني لمؤتمر مدريد وشروطه.

ولم يكن جورج بوش خلف ريجان (كانون الثاني / يناير ١٩٨٩-١٩٩٣) نصيراً للصهيونية او متعاطفاً مع "اسرائيل"، ولا كان وزير خارجيته جيمس بيكر، ولا كان لليهود "مدخل" على ايهما، وكان بوش اكثر الرؤساء الامريكيين معرفة بالشؤون الخارجية لا يضاهاه فيها سوى نيسكون مع الفارق انه خلافاً لنيكسون كان بالغ الاهتمام بالشرق الاوسط وبالصراع الصهيوني العربي بالذات وهو الرئيس الامريكي الوحيد الذي سبق له قبل توليه الرئاسة ان قال كلاماً قاسياً كمثل لامريكا في الأمم المتحدة استنكاراً لسياسة الاستيطان الاسرائيلية كما ان الرئيس الوحيد الذي كانت له صداقات عربية، اما بيكر فقد كان المسؤول في البيت الابيض عن ادارة معركة "الايواكس" ضد اللوبي اليهودي وكان حانقاً عليه ومزماً مع رئيسه بوش على عدم الرضوخ له.

وغدت امريكا سيدة العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي اُمياً كاملاً، عامي ١٩٩٠-١٩٩١ وطبعاً كانت سيدة الشرق الاوسط من دون منازع في اعقاب عاصفة الصحراء، وضم التحالف الذي رأسته ليس دول الخليج فحسب بل ومصر وسورية ايضاً، وبلغت شعبية بوش في امريكا الذروة بعد اخراجه صدام من الكويت، ومع ذلك فقد كانت شروط مؤتمر مدريد الاساسية هي شروط اسحاق شامير: من حيث ابعاد هيئة الأمم وتهميش دور الراعيين واعتماد التفاوض الثنائي المباشر، واقصاء م.ت.ف، وعدم تمثيل الفلسطينيين تمثيلاً مستقبلاً، وتزامن المفاوضات على الجبهات المختلفة وتحويل قضية اللاجئين الى لجنة متعددة الاطراف تمييعاً لمسؤولية "اسرائيل"، وكان الفريق الخبير المرافق لبيكر هو في معظمه ممن عينهم جورج شولتز.

وكانت "اسرائيل" قد بدأت في اواخر عام ١٩٩٠ وبعد اجتياح الكويت تطالب الولايات المتحدة بضمن قرض بعشرة بلايين دولار لاسكان المهجرين من الاتحاد السوفيتي السابق فاستغل بوش الأمر لاعادة التأكيد على خطورة الاستيطان والتعويض عن سكوت ريجان

وشولتز المشين اذاءه فربط منح القرض بإيقاف الاستيطان وهو اصلب موقف وقفه رئيس امريكي بشأنه منذ ١٩٦٧ ، وكانت الهجاء العلنية وهبطت الوفود اليهودية على الكونغرس فلجأ بوش الى الرأي العام وتراجع اللوي ولو الى حين، وكان هذا التأزم بين واشنطن وتل ابيب من اسباب فشل الليكود في انتخابات ١٩٩٢ ونجاح راين.

ولكن ما لبث بوش ان سمح بالقرض الى راين من دون ان يحصل منه على التزام بوقف الاستيطان تحت ضغط مقتضيات الانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٢ التي خسرها لصالح كلينتون. بيت القصيد هنا هو ان حتى بوش رضخ فكيف بنا اذا كان الرئيس بيل كلينتون ونائبه الطامح آل جور؟

ولقد اصبح الشعب اليهودي هو اليوم شعب امريكي من حيث العدد والثروة المادية والبشرية والنفوذ السياسي، وهو جزء عضوي من المجتمع الامريكي ومن النخبة السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية فيه، وهو متعاطف تعاطفاً كلياً مع "اسرائيل" ومؤيد لها تلقائياً مهما فعلت .

وهو قادر تنظيمياً ونفوذاً ومواد ان يؤثر في اية ادارة حالية او قادمة تأثيراً حاسماً لمصلحة "اسرائيل" كما فعل في الماضي ولقد نجح نجاحاً لا حدود له في تدجين الكونغرس الذي اصبح اداة طيعة بين يديه وان الصراع الصهيوني العربي اصبح جزءاً من اللعبة السياسية الامريكية الداخلية لا علاقة لاعتباراتها بحقائق الميدان السياسي المشريقي .

وان المال الذي يتدفق على "اسرائيل" من حكومة الولايات المتحدة اصبح اليوم اضعاف ما ترسله المؤسسات الصهيونية وان لا رقابة او محاسبة على انفاق هذا المال ولا سياسة لواشنطن في صراعنا مع تل ابيب سوى سياسة تل ابيب وان الممول لاحتلال جنوب لبنان وللإستيطان في القدس والجولان والضفة والقطاع هو واشنطن وهي المحافظة على تفوق "اسرائيل" العسكري النوعي والكمي والمتغاضية عن برنامجها النووي والمدافعة عنها في هيئة الأمم والمعاقبة لكل من تصدى لها والراعية لجعل "اسرائيل" القطب المهيمن على مشرقنا من خلال معاهدات ثنائية بينها وبين كل بلد عربي على انفراد.

وان الكلام عن امريكا كوسيط نزيه هراء والقول باهتمام امريكي جدي بتسوية عادلة خرافة وان الحكومة (وليس الشعب الامريكي الساذج الطيب المرفه المعني اولاً واخيراً بالالعب والفن ) منحازة انحيازاً شبه كلي بسبب ما اسلفنا، وان هذا الوضع باقٍ لن يتغير واننا بالتالي في صراع ليس مع "اسرائيل" والصهيونية ولا مع هذه الادارة او تلك ولكن مع الحكومة الامريكية بالذات اليوم وغداً وبعد غد اننا دخلنا بالفعل عقد الانتداب الاسرائيلي - الامريكي علينا وان ما هو آتٍ لن يكون اقل هولاً مما فات. ولذا أقول لك عزيزي القارئ ما قاله الحق سبحانه وتعالى ( إنهم يكيدون كيدا ) وعليه فإما أن نحذرهم وإلا .

## الباب التاسع

### العلاقة بين الماسونية والصهيونية

#### أولاً : ما هي الماسونية ؟

جاءت تسمية الماسونية من كلمة (( ميسن )) أو ماسون التي تعني بالإنجليزية والفرنسية: ((البناء)) ، وتضاف إليها عادة لفظة أخرى هي : ((Free)) ومعناها بالإنجليزية : ((حرّ)) أو ((فرانك)) بالفرنسية ، أي الصادق ، فتصبح (( فري ميسن )) أو ((فرانك ماسون )) وكان هذا الإسم يلفظ في العهد العثماني (( فرمسون )) ، ومن هذا الإستعمال التركي اخرف قليلا انتقلت الكلمة إلى العراق والشام ، وكانت تلفظ في الإستعمال العامي (( فرمصون )) .

والماسونية في الإصطلاح : هي منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم ، وتدعوا إلى الإلحاد والإباحية والفساد . والعديد من أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم ، يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ويقومون ما يسمى بالمخافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام .

-- وعرفها بعضهم بأنها : (( جمعية سرية تحوي حشدا من الناس ينتمون إلى مذاهب وديانات ونحل وجنسيات وأوطان مختلفة ، تضم الملحد والمؤمن ، والشيعي والديموقراطي والديكتاتوري والعلماني والقومي والوطني والعربي وغير العربي والمسلم واليهودي والنصراني والعامل ورب العمل ، تجمعهم غاية واحده ويعملون لها ولا يعلم حقيقةها إلا آحاد ، وسواد أعضاء الجمعية عمي القلوب ، يجهلون لها كل الجهل ، ويوثقهم عهد بحفظ الأسرار وعدم البواح بها .

والماسونية هي القنطرة التي عبرت عن طريقها الصهيونية العالمية ، إذ أسسها تسعة من اليهود في عام ١٩٤٣م بغية الوصول إلى تحقيق الحلم الصهيوني الممثل في إنشاء حكومة يهودية

تسيطر على العالم ، فأعدت خططها وبرامجها لتحقيقه لأهدافها وأطلقت على نفسها إسم ((القوة الخفية )) .

وأتخذت في ذلك السرية والعهود والمواثيق التي كانت تأخذها على العضو المنضم إليها وسيلة ضغط عليه بحيث يصبح آلة توجهه كما تريد .

وقد إستشرى فساد الماسونية في المجتمعات الغربية وأستطاعت أن تجذب الكثير من الأعضاء عن طريق شعارها الظاهري :الحرية الإخاء والمساواة

كما كان لهذا الشعار دور فعال في إصطياد الكثير من أصحاب النفوس الضعيفة من المسلمين الذين ساروا في ركاب الماسونية ،إما بسبب جهلهم بدينهم ، وإما بسبب شهواتهم الآثمة ،ولما تفاقم أمر الماسونية وظهر خطرها في العالم بدلت ثيابها في مسميات مختلفة في صور نواد وجمعيات مثل: الروتاري ، والليونز ، وشهود يهوه ، وبناي برث .... بحجة أن هذه النوادي أسست من أجل التعارف والثقافة والترفيه عن النفس ، وأنها تدعو إلى البر والإحسان .

وهي في باطنها تحمل السم الزعاف الذي يتمثل في : تقديم المبادئ الدينية ، والأخلاقية ، والفكرية ، ونشر الفوضى والإلحاح ، والفسق ، والدعوة إلى الرذيلة والإنغماس في الشهوات ، والإلحاد ، والإرهاب وزينت ذلك بأسماء شيطانية ، تارة بإسم الفن ، وتارة بإسم تحرير المرأة ومساواتها مع الرجل ومشاركتها له في كل شيء وتارة في الدعوة إلى الإختلاط بين الجنسين .

### أراء مؤسسي الماسونية:-

-- ويطلق عليهم (( أي الماسونيون )) لفظ (( البنائون الأحرار )) ، وفي تعليق الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه (( السر المصون في سعة الفرمسون )) : (( فرمسون )) إسم مركب من لفظتين فرنسيتين (( فران )) : ومعناها الصادق ، و (( ماسون )) أي الباني ، أي ((البنائون الأحرار )) .



ويقول (( لويس شيخو )) : ومن غريب الأمور أن الفرمايون مع رضاهم بهذا الإسم الكاذب لا يحبون أن يجاهروا به .

وإذا نظرنا إلى تلك اللفظة وجدنا أن معظم حروفها مشكلة من كلمة (( موسى )) عليه السلام المرسل إلى بني إسرائيل بالتوراة قد صاغها اليهود لتلك الصياغة لتكون جارية على الألسنة في كل لغة .

-- وقال المستشرق الهولندي (( دروزي )) : إنها جمهور كبير من المذاهب المختلفة يعملون لغاية واحدة هي : (( إعادة هيكل سليمان وإقامة دولة يهودية )) .

ثانيا : العلاقة بين الصهيونية والماسونية :

إن الماسونية والصهيونية ترتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا ويسيران على خط واحد ويسعيان لتحقيق هدف واحد فالماسونية يهودية الأصل والمنشأ ، إذ أن الحركة الصهيونية الحديثة التي بشر ودعى إليها بعد أن أرسى الكثير من قواعدها العصرية: (( تيودور هرتزل )) ، باعتبارها ظاهرة عدوانية في التاريخ الحديث ، لا كما يدعى الفكر الصهيوني من أنها حركة تحرير للوجود اليهودي لم يكن ليتاح لها إمكانية النفاذ إلى مقدرات العالم الغربي حيث نشأت وخاصة في المراحل الأولى من عام ١٨٩٧م إلا بالخدمات والإنجازات التي قامت بها الجمعيات الماسونية .

ذلك أنه لم تكن هناك جهودا يهودية قد بذلت في الإعداد لكسب عواطف كثير من قيادات الفكر الغربي وعناصر السلطة فضلا عن إستغلال التيار التاريخي لحركة الإستعمار الرأسمالي وصراعاته على إستثمار البلدان المتخلفة وخاصة في المجال الدولي .

ومما يجدر ذكره في التدليل على أن الجهود الخفية لليهودية العالمية كانت تبذل على الدوام ، بل وفي دأب متواصل لتحقيق هدف إمكانية العمل اليهودي المنظم المعلن من أجل التجمع اليهودي وتشكيل عناصر القوة في شكل عمل موحد محدد الهدف والغاية ، انه قبل مؤتمر بازل في عام ١٨٩٧م كانت هناك محاولات على طول التاريخ اليهودي تتعلق بالعودة إلى فلسطين والإرتباط بصهيون كحركة المكابين ، وحركة باركوخبا ، وحركة موزس

الكريتي ، وحرركة دافيد روبين ، وحرركة منشة بن إسرائيل وغيرها . وظهرت آراهم جلية واضحة فيما بعد في البروتوكولات .

### نظرة على البروتوكولات :

إن جميع البروتوكولات الأربعة والعشرين تؤكد نصا أوضمنا أن الماسونية واحدة من بنات أفكار اليهود ، ومن النصوص التي تبين دور المحافل الماسونية في العمل لخدمة الصهيونية العالمية ما جاء في البروتوكولات ومنها:

-- في البروتوكول الثالث حيث يقول : (( أن المحافل الماسونية تقوم في العالم أجمع دون أن تشعر بدور القناع الذي يجب أهدافنا الحقيقية ، على أن الطريقة التي ستستخدم بها هذه القوة في خطتنا ، بل في مفر قيادتنا لازالت مجهولة من العالم بصفة عامة )) .

-- وفي البروتوكول الرابع : (إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا ) .

-- وفصل البروتوكول الحادي عشر الأهداف التي ترمي إليها الصهيونية من إفساح المجال لغير اليهود للإنتظام إلى المحافل الماسونية . فقد جاء فيه : ((ماهو السبب الذي دفعنا إلى أن نبتدع في سياستنا ونثبت أقدامنا عند غير اليهود ، لقد رسخناها في أذهانهم دون أن ندعهم يفقهون ماتبطن من معنى ، فما هو السر الذي دفعنا إلى أن نسلك هذا المسلك ، اللهم إلا أننا جنس مشتت وليس في وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة .

-- هذا هو السبب الحقيقي لتنظيمنا " الماسونية " التي لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود في فهم معناها ، أو الشك في أهدافنا ، إننا نسوقهم إلى محافلنا التي لاعداد لها ولاحصر ، تلك المحافل التي تبدو ماسونية فحسب ، كي نذر الرماد في عيون رفاقهم )) .

-- وأهم ماجاء في البروتوكولات بخصوص علاقة الماسونية بالصهيونية : ماجاء في البروتوكول الخامس عشر : (( وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن ننشئ ونضعف خلايا الماسونية الأحرار في جميع أنحاء العالم . وسنجذب إليها كل من يصير أو من

لا يصير أو من يكون معروفا بأنه ذو روح عامة ، هذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل من خلالها على ما نريد من أخبار ، كما انما ستكون أفضل مراكز الدعاية وسوف نركز هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا ، هذه القيادة من علمائنا وسيكون لها أيضا ممثلوها الخصوصيون كي تحجب المكان الذي تقيم فيه قيادتنا حقيقة .

-- ويضيف هذا البروتوكول يقول : (( ومن الطبيعي أننا كنا الشعب الوحيد الذي يعرف أن يوجهها ، ونعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأميين ( غير اليهود ) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية ، ولا يستطيع رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون )) .

وتتضح العلاقة بين الماسونية والصهيونية كما يوضحها الأستاذ علي السعدني في كتابه : (( أضواء على الصهيونية )) من خلال إتفاقها في أمور كثيرة : -

١- كل منهما يرسم في الظلام ويخطط في السر .

٢- الماسونية والصهيونية قائمة على أساس تلمودي .

٣- تتفق الماسونية والصهيونية في عدائهما لكل الأديان ماعدا اليهودية .

وبالمناسبة فمؤسس الماسونية الحديثة الأول هو - جيمس أندرسون - كان يهوديا وقد انضم اليهود إلى الحافل الماسونية في منتصف القرن الثامن عشر لا في إنجلترا وحدها وإنما في هولندا وفرنسا وألمانيا وفي سنة ١٧٩٣م أسس يهود لندن محفلا ماسونيا أطلقوا عليه إسم : محفل إسرائيل . وبهذا يتضح بأن الماسونية تتحرك بتعاليم الصهيونية وتوجهاتها وتخضع لها زعماء العالم ومفكره .

### ثالثا : نظام التعليم في إسرائيل

مما لا شك فيه أن العلم و التكنولوجيا الطريق لأي دولة لتثبيت أقدامها على أرض المجتمع الدولي وهذه الحقيقة أدركتها قيادة دولة الصهاينة التي لا عمل لها إلا إغتصاب الأرض حتى من قبل قيام دولتهم على الأراضي العربية المحتلة .. حيث بدؤوا في إنشاء مدارسهم في

فلسطين منذ عام ١٩١٢ حيث أقام بعض رجال الأعمال اليهود ما عرف وقتئذ باسم المدرسة التقنية العليا والتي تعرف حالياً باسم التخنيون و بالنظر إلى عملية التعليم الإسرائيلية سنجد أن وزارة المعارف هي المسؤولة مسؤولية قانونية وسياسية عن عمل جهاز التعليم الإسرائيلي الذي ينقسم إلى ثلاثة أجهزة هم:-

### 1 جهاز تعليم حكومي

### 2 جهاز تعليم حكومي \_ ديني

### 3 جهاز تعليم مستقل

وقد سن الكنيست الإسرائيلي أربعة قوانين لتنظيم عمل جهاز التعليم الإسرائيلي وهي :-

#### 1- قانون التعليم الإلزامي لسنة 1949

وهو يلزم التعليم المجاني على الأولاد من سن ٥ : ١٥ سنة أما التلاميذ من سن ١٦ : ١٧ فتعليمهم غير إلزامي و لكنه مجاني.

#### 2- قانون التعليم الحكومي لسنة ١٩٥٣

وهو يلزم الدولة بإدارة العملية التعليمية و الإشراف على المنهج الذي يقره وزير المعارف .

#### 3- قانون مجلس التعليم العالي لسنة 1958

يفرض على كل مؤسسة للتعليم فوق الثانوي أن تحصل على تصريح من المجلس و يعطى للمجلس حق الإشراف عليها .

#### 4- قانون الأشراف على المدارس لسنة 1969

وهو يلزم جميع مؤسسات التعليم أن تحصل على اعتراف من وزارة المعارف ويلزمها القبول بإشراف الوزارة عليها .

#### رابعا : مراحل التعليم في إسرائيل

ينقسم التعليم في إسرائيل إلى ستة مراحل هي :-

#### 1 - مرحلة الطفولة المبكرة

وهي تبدأ من سن ٣ أشهر إلى سن سنتان ويلتحق بها حوالي ٦٧% من الأطفال في سن السنتين وهي لا تدخل ضمن مراحل التعليم الرسمي ومعظمها ممول من هيئات نسائية .

#### 2 - مرحلة التعليم قبل الإلزامي

وهي تبدأ من ٣ سنوات إلى ٤ سنوات وهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع

١- حضانات تابعة للسلطات المحلية .

ب- حضانات تابعة للمنظمات النسائية .

ج- حضانات تابعة لوزارة المعارف .

وفي النوع الأول والثاني يسهم أهالي الأطفال في دفع أقساط تختلف بحسب اختلاف حالتهم المادية أما في النوع الثالث فإن الأهالي هي التي تدفع التكاليف كاملة ويذكر أن ٩٥% من الأطفال يلتحقون بهذه الحضانات وهم في سن الثالثة أما وهم في سن الرابعة فيلتحق ٩٩% منهم في هذه الحضانات .

### 3- المرحلة الابتدائية .

وهي حسب النظام القديم تضم التلاميذ من الصف الأول حتى الصف الثامن أما في النظام الحديث فهي تضم التلاميذ من الصف الأول حتى الصف السادس و ينقسم التلاميذ في هذه المرحلة إلى قسمين هما .. قسم رياض الأطفال والذي يدخل رسمياً ضمن مراحل الابتدائية و لكنه لا يندرج في صفوفها و القسم الثاني يبدأ من الصف الأول .

### 4 - المرحلة الإعدادية

وهي أنشئت سنة ١٩٦٨ بموجب قرار للكنيست أقره بهدف إصلاح نظام التعليم الإسرائيلي حيث قرر إقامة مدارس إعدادية وهذا عن طريق تقسيم المرحلة الابتدائية إلى قسمين .. قسم ابتدائي ( من الصف الأول حتى الصف السادس ) وقسم إعدادي ( من الصف السابع حتى الصف التاسع ) ويهدف هذا التقسيم إلى توحيد فكر ودراسة التلاميذ اللذين أتموا دراستهم الابتدائية التي تنتمي لشرائح مختلفة بعضها حكومي و بعضها حكومي \_ ديني وبعضها مستقل .

### 5 - المرحلة الثانوية

وهي تضم الصفوف من العاشر حتى الثاني عشر وبعد أن يجتاز الطالب هذه الصفوف يحصل إلى شهادة البغروت ( الثانوية العامة ) التي تؤهله للالتحاق بتعليمه العالي .

## التعليم العالي

وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواع هم

١-تعليم فوق الثانوي :-

وهي معاهد متخصصة تعلم مهن محددة

٢-تعليم عالي غير جامعي :-

وهي مؤسسات حصلت على اعتراف مجلس التعليم العالي ولكنها لا تمنح لقب جامعي

**3- التعليم الجامعي :-** وهي مؤسسات شبيهة لسابقتها ولكنها تمنح للطلاب لقب جامعي  
تعليم المعاقين ورعاية المحتاجين :-

في سنة ١٩٨٨ أقر الكنيست الإسرائيلي قانونا يقر بإقامة مدارس خاصة لتعليم التلاميذ  
الذين يعانون من الإعاقة وهذا لتحسين قدراتهم لتأهيلهم للاندماج في سوق العمل أما بالنسبة  
للتلاميذ المحتاجين فيتم رعايتهم في المدارس الإسرائيلية بعد تصنيف التلاميذ إلى تلاميذ عاديين  
وآخرين محتاجين للرعاية ويقوم هذا التصنيف على دراسة دخل العائلة ومستوى تعليم الوالد  
وحجم العائلة والشقة .

### مناهج التدريس ورعاية الموهوبين

تدرس المدارس الإسرائيلية حوالي ١٤ مادة دراسية أهمها  
اللغة العبرية - اللغة الأجنبية - ديانة يهودية - الوطن والمجتمع - تاريخ وجغرافيا  
أما عن برنامج الدولة اليهودية لاختيار الطلاب الموهوبين فيتم عن طريق إجراء اختبارات  
خاصة على الطلاب يتم بناء عليها اختيار الطلاب الموهوبين الذين يشكلون ٣% من مجموع  
الطلاب والطلاب ذوي المواهب والقدرات الخاصة ونسبتهم ١% ويدرس هؤلاء الطلاب  
مواد إضافية يتم وضعها بالتعاون مع أساتذة الجامعات وتهدف آلية التعليم في الدولة العبرية  
من هذا الاهتمام إلى إنتاج نخبة من الباحثين العلماء في شتى المجالات وتطوير المواهب الفردية  
والوصول بها إلى أعلى

### خامسا : الجامعات و المعاهد

تبلغ ميزانية إسرائيل للبحث العلمي حوالي ٣% من إجمالي دخلها القومي وهو ما يؤكد  
اهتمام قادة الدولة العبرية بالبحث العلمي .. وقد أدى هذا الاهتمام إلى ارتفاع نسبة العلماء  
في إسرائيل عن غيرها من الدول العربية حيث تتراوح نسبة العلماء في إسرائيل إلى ٤٥ عالمًا  
من كل ١٠٠٠ مواطن ليس هذا فحسب بل إن حوالي ٣٣% من مجموع الطاقة البشرية  
الإسرائيلية تعمل في مجال البحث العلمي وبالنسبة للجامعات والمعاهد في إسرائيل فهي كما  
يلي :-

### 1- الجامعة العبرية

وهي أقدم الجامعات الإسرائيلية حيث تم وضع حجر الأساس لها في عام ١٩١٨ وتم افتتاحها في حفل كبير عام ١٩٢٥ وتضم هذه الجامعة حوالي ٥ ، ٢١ % من إجمالي الطلاب الجامعيين في إسرائيل .. وهذه الجامعة بها مركز للدراسات قبل الجامعية ( مركز شالتيل ) أنشأ لمساعدة الطلاب اللذين لم يكملوا دراستهم الثانوية بسبب ظروف مادية أو اجتماعية

#### ٢- جامعة بار - إيلان

وهم حوالي ١٦,٢ من مجموع الطلاب الاسرائيلين -

#### ٣- جامعة تل أبيب

وتبلغ نسبة الطلاب فيها حوالي ٢٧,٥ من مجموع الطلاب الجامعيين في دولة الاحتلال وتم

افتتاحها عام ١٩٥٦

#### 4 - جامعة بن جوريون

ويشكل طلابها حوالي ٩,٩ من مجموع الطلاب الجامعيين من اسرائيل وتم افتتاحها ١٩٦٩

#### 5 - جامعة حيفا

تم إنشاؤها سنة ١٩٦٦ ويشكل طلابها نسبة ٥ ، ١٢ % من مجموع الطلاب الجامعيين في

إسرائيل

#### 6 - الجامعة المفتوحة

ويدرس بها حوالي ٦ ، ٤٥ % من إجمالي الطلاب الجامعيين في إسرائيل

## الباب العاشر

### نظام الحكم فى إسرائيل الصهيونية

لنظام الحكم الإسرائيلي عدة أجهزة مهمة كالحكومة و الوزارات ولكن أهم جهاز فى هذه الأجهزة هو الكنيست الإسرائيلي الذي يعد بمثابة السلطة التشريعية الإسرائيلية و أجهزة الحكم الإسرائيلية تشمل :-

#### أولا : الكنيست

هو الجهاز الأكثر قوة من أي جهاز حكومي آخر فى الدولة العبرية و يضمن القانون الإسرائيلي حرية الترشيح لانتخابات الكنيست بشرط أن لا يقل سن المتقدم عن ٢١ عام يوم تقديم أوراق ترشيحه و حسب القانون الإسرائيلي يذهب المواطنون إلى لجان الانتخابات كل حسب موقع سكنه و لا بد للناخب من صورة شخصية له أثناء إدلاؤه بصوته .. و يدلي الناخب بصوته لصالح قوائم المرشحين تضعها الأحزاب و ليس لصالح مرشح واحد كما هو الحال عندنا فى مصر و تحصل الأحزاب على تمويل لحملاتها الانتخابية من الدولة بحسب قوتها فى الكنيست السابق و يشرف على الانتخابات لجنة يرأسها أحد أعضاء محكمة العدل العليا و تتألف من مندوبي الأحزاب بحسب قوتها فى الكنيست السابق .

يوجد على الساحة السياسية عدد كبير من الأحزاب تتنافس و بكل قوتها للوصول إلى سدة الحكم فى إسرائيل .

#### ثانيا : الأحزاب

و تنقسم الأحزاب فى إسرائيل أحزاب عربية و هى قليلة جدا و الأحزاب اليهودية التى تنقسم إلى ثلاثة معسكرات هم

- ١ معسكر اليسار (٢) معسكر اليمين (٣) المعسكر الديني و نتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد .

#### أولا معسكر اليسار و يشمل :

**(1) حزب العمل** - هو حزب اشتراكي ديمقراطي صهيوني تأسس عام ١٩٦٨ ... و يعتبر حزب العمل امتداد لحزب الماباى الذي أسسه بن جوريون و جولداماير



- (2) مابام:- وهو حزب اشتراكي صهيوني تأسس ١٩٤٨ وقد حدث فيه كثير من الإنشقاقات بسبب تباين آراء قادته بشأن العمليات الإرهابية ضد العرب .
- (3) راتس :- حزب صهيوني تأسس عام ١٩٧٣ على يد مجموعة من أعضاء حزب العمل كانوا قد انشقوا عنه .
- (4) شينوى :- هو حزب صهيوني ليبرالي تأسس عام ١٩٧٤ يذكر أن الأحزاب الثلاثة الأخيرة ( مابام \_ راتس \_ شينوى) قد أقامت تكتل فيما بينها عام ١٩٩٢ عرف باسم ( كتلة ميرتس

### ثانيا :- معسكر اليمين

- (1) الليكود :- حزب يميني شديد التطرف تأسس سنة ١٩٧٣ على يد مجرم الحرب أرئيل شارون ووصل حزب الليكود لسدة الحكم لأول مره في تاريخه عام ١٩٧٧ وكان ذلك عن طريق التحالف مع الأحزاب الدينية وقد تأسس الليكود نتيجة اتحاد قام بين أحزاب أربع أهمها :-
- أ -- حيروت :- حزب يميني قومي شديد التطرف أسسه مناحم بيغن القائد العام لمنظمة إيتسل الإرهابية ورئيس الوزراء الصهيوني الأسبق عام ١٩٤٨
- ب -- الأحرار :- تأسس عام ١٩٦١ من اتحاد حزب اتحاد الصهيونيين العموميين و الحزب التقدمي

### ثالثا : جيش الدفاع الإسرائيلي

- في يوم ٢٩ أيار ١٩٤٨ أصدرت الحكومة المؤقتة لإسرائيل قرارا يأمر بتشكيل جيشا للدفاع . مكون من أسلحة بحرية وجوية وفي ٢٨ حزيران من نفس العام أدى جميع جنود الجيش الإسرائيلي قسم الولاء لدولة إسرائيل في حفل كبير.
- والمعروف أن الجيش الإسرائيلي ليس وليد هذا التاريخ ولكننا يمكننا أن نقول أن هذا التاريخ قد شهد ولادة اتحاد بين مختلف المنظمات الإرهابية التي كانت قد قامت على ارض فلسطين منذ بداية الانتداب البريطاني كالهجاناه واشتيرن وايتسل وغيرهم وقد قسمت إسرائيل إلى ثلاثة مناطق عسكرية هي :-
- 1- المنطقة الشمالية :- وهي مسؤولة عن الجليل والحدود مع لبنان وسوريا ووادي بيسان في الحدود مع الأردن .
- 2-منطقة الوسط :- وهي مسؤولة عن الجزء الأوسط من إسرائيل والضفة الغربية .

**3- المنطقة الجنوبية :** - وتتولى مسؤولية الدفاع عن النقب والحدود مع مصر وتبلغ ميزانية وزارة الدفاع الإسرائيلية حوالي عشرة مليار دولار نقسمه على أسلحة الجيش .

### رابعا : رئاسة الدولة

موقع رئيس الدولة في إسرائيل موقع رمزي ، إذ لا يتمتع الرئيس باختصاصات واسعة في المجالات السياسية ، فالصلاحيات في معظمها تتركز في أيدي الحكومة التي تتولى إدارة البلاد وبناء السياسة الداخلية ، والخارجية على حد سواء ، وفي العادة يأتي رئيس الدولة من بين صفوف الحزب الذي يحوز على أكبر المقاعد في البرلمان .

### كيفية إنتخاب رئيس الدولة :

رغم ان انتخاب رئيس الدولة يتم بواسطة الكنيست فإن التجربة اثبتت ان انتخاب المرشح للرئاسة يتم اولا بواسطة الأحزاب ، ومن ثم يقدم إلى الكنيست كعملية معدة وجاهزة من قبل هذه الأحزاب . وقد حدد القانون الإنتقالي لعام ١٩٤٩ وقانون رئيس الدولة لعام ١٩٥١ الصادر في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٤ كيفية إنتخاب رئيس الدولة .

وينتخب رئيس الدولة بالاقتراع السري في اللجنة المخصصة للإنتخابات ولمدة خمس سنوات تحسب بالتقويم العبري ، ويحق لعشرة نواب أو أكثر أن يقدموا إسم مرشح ، على أن يكون ذلك في كتاب ترفق به موافقة المرشح ، وخلال فترة لاتقل عن عشرة أيام قبل يوم الإنتخاب ويعلن رئيس الكنيست لجميع أعضاء الكنيست كتابه ، خلال فترة لاتقل عن سبعة ايام ، قبل يوم الإنتخاب ، عن كل مرشح وعن أسماء اعضاء الكنيست الذين رشحوه . ويجري انتخاب الرئيس في فتره لا تسبق فترة انتهاء الرئاسة بتسعين يوما ، ولاتقل عن ٣٠ يوما .

أما إذا شغل المنصب ، فيجري انتخاب الرئيس الجديد خلال ٤٥ يوما ويشترط أن يحصل المرشح لمنصب الرئاسة على أكثر من نصف الأصوات ، أي أكثر من ٦٠ صوتا من اعضاء الكنيست ، لكي يفوز بالمنصب . كما يشترط في المرشح ان يكون مواطنا إسرائيليا ، وان يكون مقيما في إسرائيل ، وان لا يكون قد شغل المنصب أكثر من مرتين متتاليتين . وبعد نجاح انتخاب رئيس الدولة بالاقتراع السري فإنه يقسم اليمين القانوني التالي : (( اتعهد انا

..... أن التزم بدولة إسرائيل ويقوانينها ، وان أكون مخلصا في تنفيذ مهام رئيس دولة إسرائيل ))

### صلاحيات الرئيس :

لا يتمتع رئيس الدولة في إسرائيل بصلاحيات مهمة في إسرائيل ، وتتسم علاقته بالكنيست بصفة فخرية ، فهو يقوم بافتتاح دوراته ، كما يقوم بتوقيع القوانين التي يصدرها دون ان يكون له الحق في الاعتراض على هذه القوانين ، وردها إلى الكنيست لإعادة النظر فيها، أما بالنسبة لعلاقته بالحكومة فتقتصر على مايلي : -

- ١- تعيين رئيس الحكومة ورئيس الحكومة وتكليفه بتأليفها .
- ٢- تسلم إستقالة رئيس الحكومة والوزارة .
- ٣- توقيع الأوراق الرسمية الخاصة بالحكومة .
- ٤- الإطلاع على التقارير الرسمية عن اعمال الحكومة المقدمة إليه من امين سر الحكومة .

ولا يحضر رئيس الدولة اجتماعات الحكومة ، إلا بناء على دعوة خاصة ، ويقوم رئيس الدولة ، بتعيين الهيئات الدبلوماسية والقنصلية الإسرائيلية في الخارج بناء على توصيات وزير الخارجية ، كما يتسلم أوراق الهيئات المماثلة الأجنبية في إسرائيل ، ويوقع المعاهدات التي تعقدها إسرائيل مع الدول الأخرى بعد الموافقة عليها من قبل الكنيست ، ورفعها إليه بالطرق الرسمية ، كما يقوم بتعيين مراقب الدولة ، وعميد بنك إسرائيل ، والقضاة المدنيين ، والقضاة الشرعيين للطوائف المختلفة .

### خامسا : مجلس الوزراء (الحكومة)

يكلف رئيس الدولة ، في العادة زعيم الحزب الذي يحتل أكبر عدد من المقاعد في الكنيست ، بتشكيل الحكومة ويجب أن يكون الرئيس المكلف عضو كنيست بعكس الوزراء الذين يمكن

ان يكونوا من خارج البرلمان ، ويتم تشكيل الحكومة بعد مشاورات يجريها الرئيس المكلف مهلة قانونية مدتها (٢١) يوما قابلة للتجديد لمرة واحدة لإنهاء مشاوراته وتشكيل الحكومة فإذا لم يستطع رئيس الدولة يكلف شخصا آخر بذلك وهو في العادة ، الزعيم التالي من الناحية العددية في البرلمان فإذا لم يستطع هو الآخر تشكيل الحكومة ، ومن ثم تفشل الاحزاب في الوصول إلى مرشح يحوز على ثقة الكنيست ، فإن الكنيست تقرر حل نفسها ، ومن ثم تدعو لانتخابات عامة مبكرة .

ويعتبر مجلس الوزراء هو السلطة التنفيذية العليا في إسرائيل ، وهي بهذه الصفة تحتفظ بمجها في إدارة البلاد وممارسة السلطة العامة فيها ، وهي التي تقوم بسن القوانين التي يوافق عليها الكنيست ، كما تقوم بتحديد صلاحيات كل وزير ، وتقرر توزيع السلطة بينهم . كما انها تمنح رئيس الوزراء أو أي وزير آخر المزيد من السلطة مادام ذلك لا يتعارض مع قوانين الدولة ، وتضع الإجراءات الخاصة بممارسة عملها ، وهي تمارس سلطة واسعة في التشريع خاصة في حالة الطوارئ وبشكل عام فهي تمارس عملية صنع السياسة العامة في الدولة وتجتمع الوزارة مرة اسبوعيا في يوم الاحد لتناقش في القضايا السياسية العامة ولإقرار بعض التشريعات وتقديمها للكنيست ، ورغم أن قرارات الحكومة يمكن أن تكون بالاغلبية إلا ان المسؤولية عنها اما الكنيست تكون جماعية وصوت رئيس الوزارة مساو لصوت أي وزير آخر عند التصويت .

### سادسا: الكنيست الإسرائيلي

تتكون الكنيست من مجلس واحد وهي تضم (١٢٠) عضوا ، ويتم إنتخاب هؤلاء لمدة أربع سنوات ، تبدأ من يوم أول إجتماع يعقده الكنيست بعد انتهاء الانتخابات العامة ، ويرأس المجلس بأغلبية الأصوات ، كما يجري انتخاب نواب رئيس المجلس بنفس الطريقة . وقد وصل نواب رئيس المجلس إلى ثمانية مما أتاح لكثير من الاحزاب ان يكون لها نائب في رئاسة المجلس . ونظرا للنظام الإنتخابي المعمول به في اسرائيل فإن رئاسة الكنيست قد ظلت منذ إنشائها حتى الآن في أيدي الحزبين الكبيرين التجمع والتكتل (الليكود) وذلك في عملية تبادليه بين الطرفين ، تبعا لعدد المقاعد التي يحتلها كل حزب من هؤلاء في الكنيست .

ويتمتع رئيس الكنيست بسلطات واسعة تعادل سلطات رئيس الجمهورية بل تفوقها . ومنها تحديد موعد إجراء الإنتخابات الجديدة ، وهو يدلي برأيه القاطع في أمور المناقشات وخاصة فيما يتعلق بطرق وقواعد سير العمل في المجلس ، كما انه يتولى رئاسة الجمهورية في حالة غياب أو مرض أو عزل أو إستقالة رئيس الجمهورية ، ويلاحظ انه يتم تنظيم المقاعد داخل الكنيست من اليسار إلى اليمين حسب حجم الحزب ، وليس حسب مبادئه ، فالحزب الذي يحوز على أكثرية المقاعد يجلس على اليسار ويتدرج هذا الوضع إلى ان يجلس أقل الأحزاب تمثيلاً في المجلس في أقصى اليمين .

## الباب الحادى عشر

### التلمود والتلموديون

#### أولاً : التلمود :

مستخرجة من كلمة : لاموت التي تعني تعاليم . وفي الإصطلاح : الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية ، ويرى ((الرايون)) جمع راى - وهو رجل الدين اليهودي - أن موسى عليه السلام - هو المؤلف لهذا الكتاب .

وينقسم التلمود إلى قسمين هما :

١- المشناة : **Mishnah** وهو الأصل ((المتن)) .

٢- جمارا : **Gemara** شرح مشناة أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة جمعها يهوذا هاناس فيما بين ١٩٠ و ٢٠٠ م .

\*\* أما جمارا فإثنان : جمارا أورشليم ((فلسطين)) وجمارا بابل ((العراق))

جمارا أورشليم هو : سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين لشرح أصول المشناة وتاريخ جمعه عام ٤٠٠ م .

جمارا بابل هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناة وتاريخ جمعه سنة ٥٠٠ م تقريبا

فمشناة مع شرحه جمارا أورشليم يسمى : ((تلمود أورشليم)) ، ومشناة مع شرحه جمارا بابل يسمى : ((تلمود بابل)) ، وكلاهما يطبع على حدة .

### ثانيا : التلموديون :

وهم الأشخاص المتزموون بتعاليم التلمود أو كما يطلق عليهم هناك ((المتدينون)) ومن أشهر الأحزاب التلمودية داخل الكيان الصهيوني ((حزب شاس)) والتلموديون حاليا لا يتخذون القرار الكامل في إسرائيل لأن القرار بيد العلمانيين ولكن التلموديون قادمون إلى السلطة بلاشك وقد بدأوا الآن حملاتهم الترويجية بين طلاب المدارس حكام إسرائيل في المستقبل .

وتصريحاتهم دائما تكون عنصرية وهي تعبر عن وجه الكيان الصهيوني الحقيقي ومن آخرها أحدثت هذه التصريحات تصريح الحاخام يوسف الزعيم الروحي لحزب شاس حيث قال في هذا التصريح إن الله عز وجل لم يرضى عن ذرية إسماعيل (العرب) وأنهم يكونون العدا لآبناء إسرائيل والله نادم على خلقهم (تعالى الله عما يصفون علوا كبيرا) ووصف فيه الفلسطينيين بالأفاعي وأستنكر محاولات السلام معهم .

الإله في التلمود :

يزعمون في التلمود : أن الله جل وعلا ( حاشاه ) يقسم النهار على إثني عشرة ساعة ، في الساعات الثلاث الأولى يجلس ((الله)) ويدرس الشريعة ، وفي الساعات الثلاث الثانية يدين الشعب ، وفي الساعات الثلاث الثالثة يغدي العالم بأسره ، وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع اللافياتن ((ملك الأسماك)) ، ثم يقول التلمود : (( إن الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب لأنه إرتكب خطيئة ثقيلة ... ، ثم يصرخ : الويل لي لأني تركت بيتي ينهب وهيكلي يحرق ، وأولادي يتشتتون ..... إن الله -تعالى( حاشاه ) قد تاب عن تركه بني إسرائيل يرتطمون في الشقاء ، ولذلك فإنه يهمر كل يوم : (( دمعين سخيتين في البحر ... )) ..

وبهذا سولت لهم أنفسهم أن يتخيلوا الله رب العالمين بهذا التصور انما يدل على أن عقولهم ليست سليمة ومن الطبيعي ان يكون فيها خلل وصدق فيهم قول ربنا جل وعلا ( وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ) **فإلاهم هذا يخطيء ويصيب ويلطم خديه ، فهو الذي أوجدوه في مخيلتهم وصنعوه على صورة عجل له خوار !!! -** **تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - .**

## التلمود والمسيح :

قال التلمود : (( إن يسوع النصارى موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار ، وإن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنا وأن الكنائس بمقام قاذورات وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة .. )) . وصدق الحق جل وعلا حين قال ( وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ) وما داموا قد " خانوا الله من قبل " فلا ننتظر منهم إلا الهراء والسخف .

وقال : (( يسوع المسيح إرتد عن الدين اليهودي وعبد الأوثان ، وكل مسيحي لم يتهود فهو وثني عدوا لله ولليهود )) .

والعجيب هو إيمان النصارى بالكتاب المقدس الذى يسب نبى الله عيسى عليه السلام وامه ويرفضون القرآن الذى ذكاه ورفع ذكره واثبت طهره وطهر امه البتول فقال تعالى

فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً \* قال إني عبد الله آتاني الكتاب \* وجعلني نبياً . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقياً . والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون )) .

ويقول التلمود عن النصارى : (( قتل المسيحي من الأمور الواجب تنفيذها ، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهدا صحيحا يلتزم به اليهودي ، وإن الوجب الديني أن يلعن اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني ، وجميع الملوك الذين تظاهرون بالعداوة ضد بني إسرائيل )) ، ثم يقول : (( قتل النصارى من الأفعال التي يكافيء عليها الله ... وواجب عليه - أي اليهودي - أن يتسبب في هلاكهم في أي وقت وعلى أي وجه )) . ولذا نادى النصارى بما ناداهم به الحق سبحانه وتعالى " فأعتبروا يا أولى الأبصار "



## التلمود وغير اليهود

يقول التلمود : (( إن اليهودي أحب إلى الله من الملائكة ، فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء ، ( قاتلهم الله ) وهذا يفسر لنا إستحقاق الوثني وغير الوثني الموت إذا ضرب يهوديا )) . ويقول إن المفاضلة موجودة بين جميع الأشياء فكما أن الإنسان يعلو البهيمة كذلك اليهود هم أرفع من شعوب الأرض )) .

ويقول الرباني ((إيديل)) : ((إن غير اليهودي لا يختلف بشيء عن الخنزير البري ، ((ولهذا)) فالمرأة اليهودية التي تخرج من الحمام عليها أن تستحم ثانية إذا وقع نظرها لأول مرة على نجس كالكلب والحمار والجنون وغير اليهودي والجمل والخنزير والحصان والأبرص )) .

أرأيت عزيزي القارئ كيف يرى بنوا إسرائيل العالم والعجيب هو عدم إخفائهم هذه الأقوال بل ويفتخرون بها . والأعجب هو إصرار العالم على التطبيع والتعامل معهم على أنهم شعب لديه مبادئ وقيم ويحترم الآخر . والغريب بل والمذهل حين نادى الإسلام العالم بقول الحق سبحانه وتعالى (( يا أيها الذين الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) اتمموا الإسلام بالإرهاب ولا حول ولا قوة الا بالله ولذا صدق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى ( أم لهم قلوب يفقهون بما أم لهم آذان يسمعون بما فيها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور )

## التلمود والمرأة :

جاء في العهد القديم وفي الوصايا العشر : (( لا تشته امرأة قريبك ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يستحق الموت )) ، والتلمود يعلم أتباعه أن ارتكاب الفحشاء حرام على اليهود مع امرأة القريب فقط أما نساء الأجانب فمباحة له . ومع هذا فقد كذبوا فكتابهم المقدس مكنتظ بالعلاقات الآثمة المحرمة من أمثال حكاية يهوذا وزوجة ابنه تامار وكذلك حكاية آمنون واخته تامار وغيرها من الحكايات التي نخجل من ذكرها ولا يتسع المجال لها الآن .!!!!!!!

ويؤكد التلمود على الفحشاء فقال على لسان الربانيين : راش ، ولاوي ، وجرش ، هم أصحاب رأي واحد في : أن اليهودي لا يرتكب الفحشاء عندما يفض بكارة فناة نصرانية !!!  
وصدق الحق حين قال " إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل "

### ثالثا : الشعائر اليهودية :

نذكر لك عزيزي القارئ بعضا من عادات اليهود والتي تخصهم هم دون غيرهم من الأمم  
- \*الأوامر والنواهي " **مذوات** " المتسفوت .

تشتمل هذه الأوامر والنواهي على ٦١٣ منها ٢٤٨ أمر و ٣٥٦ نهي وهي موجه لليهود فقط دون غيرهم. ومن بلغوا سن التكليف من الرجال والصبيان ولك أن تعلم أنها أوامر ونواهي على طريقتهم وما يتجاوب مع فساد عقولهم وغلظة قلوبهم .

#### - \*الختان " **بريت ملة** " بريت ملاه

يختن الطفل اليهودي بعد ميلاده بسبعة أيام على الأكثر حتى ولو صادف اليوم السابع يوم السبت أو يوم الغفران. ويحضر حفل الختان عشرة أفراد. يجلس جد الطفل على الكرسي ويترك جواره كرسي آخر خاليا يسمى " الياهو " ويقوم \_ " الموهيل " **موهل** " \_ الختان بأجراء عملية الختان ويحل محله الآن الطبيب. وإذا مات الطفل قبل أن يختن يقومون بختن جثمانه ويعطى اسما عبريا ليكتسب الهوية اليهودية.

وبالمناسبة يذكر النصارى أن المسيح أختن في فقالوا "

وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةٌ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلَائِكِ قَبْلَ أَنْ حُبِّلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ. لَوْ قَا ٢١/٢ ثم يزعمون أنه إله (أفلا تعقلون )

#### - \*بلوغ سن التكليف " **بر مذوات** " بر متسفا

سن التكليف عند اليهود هو عندما يبلغ اليهودي سن ١٣ عام ويسمى " بر متسفا " واليهودية عند بلوغها ١٢ عام وتسمى " **بت مذوات** " بت متسفا . ومن المعلوم ان الإبن قد يسمى باسم أب غير ابيه الحقيقي ؛ وهذا لانهم اذا مات الزوج دون أن ينجب يرغموا أخاه ليتزوج زوجة أخيه بشرط أن يكتب اسم الإبن الأول باسم أخيه المتوفى وبهذا قد تختلط الأنساب ويضيع الخابل بالنابل .

#### - \*الصوم " **صوم** "

يصوم اليهود عدة أيام متفرقة في السنة ومعظمها مرتبطة بأحزان يهودية ولا نريد الخوض فيها الآن وأهمها:

**1- صوم يوم الغفران.** " التاسع من تشرى حسب الأشهر العبرية

**2- التاسع من آب.** رغم زعمهم انه يوم هدم الهيكل فهم يحرصون على صومه تذكرة

لأبنائهم

**3- السابع عشر من تموز.**

**4- العاشر من طيب.**

**5- الثالث من تشرى.**

**6- الثالث عشر من آذار.**

**7- صوم أسابيع الحداد الثلاثة.** بين ١٧ من تموز و ٩ من آب.

وهناك الكثير من الأيام التي يصومها اليهودي قررها الحاخامات وأيام خاصة فيصوم اليهودي

في ذكرى موت أبيه وكذلك الزوجين في ذكرى زواجهم.

وفي صوم يوم الغفران والتاسع من آب يمتنع اليهود عن الأكل والشرب والجماع وكذلك

لبس الأحذية الجلدية لمدة ٢٥ ساعة من غروب الشمس في اليوم السابق حتى غروب شمس

يوم الصيام. أما أيام الصوم الأخرى من شروق الشمس حتى الغروب ويمتنعون عن الأكل

والشرب فقط.

□ - الصلاة " **התפללות** " هتفلوت

□ أ- الصلوات الواجبة على اليهودي .

يجب أن يصلي اليهودي ثلاث صلوات كل يوم وهي:

**1- صلاة " שחרית "** شحريت . ووقتها منذ أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق إلى

ارتفاع عمود النهار.

**2- صلاة " מנחה "** منحاه. وتجب منذ انحراف الشمس عن نقطة الزوال إلى ما قبل

الغروب.

**3- صلاة " ערבית "** عرفيت. ووقتها من غروب الشمس إلى ظلمة الليل الكاملة .

**طقوس الصلاة :**

هي طقوس في منتهى الغرابة ولا تدل على خشوع أو اتصال بالله جل وعلا فالصلاة تبدأ

بغسل اليدين فقط ثم بوضع الشال الصغير على الكتفين ويسمى هذا الشال الطاليت

**سليت, "** ولهذا الشال في طهارته أحكام أهمها أن لا تمسه النساء.

ويجب في الصلاة تغطية الرأس وهي عموما تقليد عندهم إذا ذكروا اسم الرب أو قرأوا النصوص المقدسة. كما يضعون " **تفولين** " تفلين، وهي عبارة عن علية من الخشب أو الجلد بداخلها رقعة من رق الغزال أو الجلد مكتوب عليها قراءة الشماع " ومعنى شماع - إسمع" وهي أهم قسم من الصلاة وهي أول كلمة من آية التوحيد عند اليهود، وتثبت هذه العلية في شريط من الجلد ويجب وضعها عند الصلاة في وسط الجبهة وواحدة أخرى على الكف الأيسر.

رابعا: بعض المعتقدات والافكار المنتشرة في المجتمع الصهيوني يعتقدون بان الذبيح من ولد ابراهيم هو نبي الله إسحاق المولود من سارة. والصحيح أنه نبي الله اسماعيل المولود من هاجر عليهم السلام.

# لم يرد في دينهم شيء ذو بال عن البعث والخلود والثواب والعقاب إلا إشارات بسيطة غير عميقة ذلك أن هذه الامور بعيدة عن تركيبة الفكر اليهودي المادي.

# التابوت: هو صندوق كانوا يحتفظون فيه اعلی ما يملكون من ثروات وموثيق وكتب مقدسة.

# المذبح: مكان مخصص لايقاد البخور يوضع امام الحجاب الذي امام التابوت.

# الهيكال: هو البناء الذي أمر به داود واقامه سليمان، فقد بني بداخله المحراب اي قدس الاقداس وهيا كذلك بداخله مكانا يوضع فيه تابوت عهد الرب كما يزعمون .

# الكهانة: إنها تختص بأحد ابناء يعقوب عليه السلام ، فهم وحدهم لهم حق تفسير النصوص وتقديم القرابين وهم معفون من الضرائب وشخصياتهم وسيلة يتقرب بها الى الله فاصبحوا بذلك اقوى من الملوك.

# القرابين: كانت تشمل الضحايا البشرية الى جانب الحيوان والثمار ثم اكتفى الاله بعد ذلك بجزء من الانسان وهو ما يقتطع منه في عملية الختان التي يتمسك بها اليهود الى يومنا هذا فضلا عن الثمار والحيوان الى جانب ذلك

# يعتقدون بانهم شعب الله المختار وأن ارواح اليهود جزء من الله واذا ضرب امي (جوييم) اسرائيليا فكأنما ضرب العزة الالهية . وان الفرق بين درجة الانسان والحيوان هو بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي

# يجوز غش غير اليهودي وسرقته واقراضه بالربا الفاحش وشهادة الزور ضده وعدم السر بالقسم امامه ذلك ان غير اليهود كالكلاب والخنازير والبهائم، بل انهم يتقربون الى الله بذلك!

# بسبب ظروف الاضطهاد نشأت لديهم فكرة المسيح المنتظر كنوع من التنفيس والبحث عن امل ورجاء.

# يقولون ان يعقوب صارح الرب. وان لوطا قد شرب الخمر وزنا بابنتيه بعد نجاته الى جبل صوغر، وان داود قبيح في عين الرب. "قاتلهم الله آنى يؤفكون"

# لقد فقدت توراة موسى بعد تحريب الهيكل ايام بختنصر فلما كتبت مرة ثانية ايام (ارتختشتا) ملك فارس جاءت محرفة عن اصلها، وفي هذا يقول الله تعالى (يجرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به)

# الديانة اليهودية خاصة بهم مقفلة على الشعب اليهودي.

# الولد الاكبر هو اول من يرث وله حظ اثنين من اخوته، ولا فرق بين المولود بنكاح شرعي او غير شرعي في الميراث.

# بعد الزواج تعد المرأة مملوكة لزوجها، وما لها ملك له. ولكن لكثرة الخلافات فقد اقر بعد ذلك ان تملك الزوجة أصل أو رأس المال والزوج يملك المنفعة.

# من بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة.

# تعدد الزوجات جائز شرعا بدون حد فقد حدده الربانيون (الأحبار أو المتشددون) بينما اطلقه القراءون (جماعة لا تعترف الا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود).

خامسا : الفرق اليهودية :

من المعلوم أن لدى اليهود ما يزيد عن سبعين فرقة لقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ( افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ... ) ولكن سنكتفى بذكر الفرق الظاهرة ومنها :

١ - الفريسيون

اي المتشددون، ويسمون بالأحبار أو الربانيين هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون لكنهم يحافظون على مذهبهم عن طريق التني، يعتقدون بالبعث وبالملائكة وبالعلم الاخر.

٢ - الصدقيون

وهي تسمية من الأضداد لأنهم مشهورون بالإنكار فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار وينكرون التلمود كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.

### 3 - المتعصبون

فكرهم قريب من فكر الفريسيين لكنهم اتصفوا بعدم التسامح وبالعدوانية قاموا في مطلع القرن الميلادي الأول بثورة قتلوا فيها الرومان وكذلك كل من يتعاون من اليهود مع هؤلاء الرومان فاطلق عليهم اسم السفاكين.

4 - الكتبة او النساخ: عرفوا الشريعة من خلال عملهم في النسخ والكتابة فاتخذوا الوعظ وظيفة لهم يسمون بالحكماء وبالسادة وواحدتهم لقبه (أب) وقد أثروا ثراء فاحشا على حساب مدارسهم ومريديهم.

### 5 - القراءون

هم قلة من اليهود ظهورا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوى حرمتهم في شرح التوراة.

### ٦ - السامريون:

طائفة من المتهودين الذين دخلوا اليهودية من غير بني اسرائيل كانوا يسكنون جبال بيت المقدس وحاليا يتمركزون بمدينة نابلس، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون دون نبوة من بعدهم ظهر فيهم رجل يقال له الألفان ادعى النبوة وذلك قبل المسيح بمائة سنة وقد تفرقوا الى دوستانية وهم الالفانية والى كوستانية اي الجماعة المتصوفة وقبله السامرة الى جبل يقال له غرزيم بين بيت المقدس ونابلس ويتحدثون العبرية والعربية بطلاقة

سادسا : بعض الواجبات الدينية

### 1 - زيارة بيت المقدس:

ينتحم على كل يهودي ذكر رشيد ان يزور بيت المقدس مرتين في العام وان يبقى به اسبوعا كل مرة، ويبدأ الاسبوع يوم الجمعة، وتقام خلاله احتفالات يحضرها الوافدون ويقودها الكهنة واللاويون. وقد قصد بهذه الزيارة ان تتيح فرصة لليهود ايا كانت مناطقهم ان يتعارفوا ويتحدوا. وليكسبوا شرعية لزيارتهم المتكررة

## ٢ - الأعياد:

تكثر الاعياد عند اليهود كثرة بالغة ومنها مايتصل بالاحداث التاريخية ومنها مايتصل بمواسم الزراعة والحصاد ومنها مايتصل بالهلل أو التوبة والتكفير عن الذنوب وقد وردت أكثر هذه الأعياد في الاصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين وسنذكر هنا بعضا من اهم هذه

## الأعياد:

## ١ - عيد الفصح:

هذا العيد هو يوم الذكرى لخروج بني اسرائيل من مصر ومن العبودية التي كانوا يخضعون لها ويقول علماء اليهود ان هذه الذكرى لايمكن ان تنسى فقد جاء الرب بنفسه دون ان يكتفي بملائكته وقاد شعبه واخرجهم من اطار العبودية وكان خروجهم سريعا فلم يعدو خبزهم كالعادة. وانما اعدوه فطيرا دون ان يحتمر. وعلى هذا ففي خلال عيد الفصح الذي يستغرق الاسبوع الثالث من شهر ابيب (نيسان او ابريل) من اليوم الرابع عشر مساء الى اليوم الحادي والعشرين مساء يكون طعام اليهود خبزا غير مختمر ويبدأ اليوم الأول من هذا الاسبوع بحفل مقدس ويحتتم الاسبوع بحفل مقدس ايضا وفي هذين الحفلين تتلى ادعية وتقام صلوات وتحرق القرابين.

## ٢ - الهلال الجديد:

يلقى الاحتفال بالهلال الجديد عناية كبيرة في الفكر اليهودي ، وكان يسمى عيد النفير لان الابواق كانت تستعمل في الاعلام بظهوره وكان الناس يتبارون في مراقبة الهلال ومحاوله السبق في رؤياه وكان الذي يراه اولاً يسارع الى بيت المقدس ليخبر الكهنة بذلك او الرؤساء. واحيانا كان يقام سباق بين الذين شاهدوا الهلال وكل منهم يحاول ان يكون له قصب السبق وينفخ في الابواق اعلانا بالشهر الجديد وتشعل النيران على جبال الزيتون وعندما يراها سكان التلال البعيدة يشعلون هم ايضا النيران على تلالهم.

## ٣ - السبت:

يوم السبت من الأيام المقدسة عند اليهود والتي تجب مراعاة حرمتها مراعاة تامة فلا يجوز ليهودي الاشتغال فيه ومن خالف حرمة هذا اليوم ودنسه بالاشتغال فيه يكون قد ارتكب جرما عظيما.

## ٤ - يوم التكفير

هو يوم في العام يحاول فيه اليهودي ان يعبد الله لا كانسان بل كملاك!! والملاك لا ياكل ولا يشرب ويمضي وقته كله في العبادة وتعظيم الله فعلى اليهودي ان يعيش هذا اليوم كما تعيش الملائكة في صوم جاد وعبادة دائمة وهذا اليوم يسبق بتسعة ايام تسمى ايام التوبة حيث يُطَهَّر اليهودي خلالها تطهيرا يكفل له النقاء خلال العام القادم وفي اليوم العاشر يوم الصوم والعبادة تكمل طهارة اليهود وتغفر لهم سيئاتهم عن الماضي ويعدون لاستقبال عام جديد وتقع هذه الايام في الشهر السابع من شهور السنة اليهودية.

#### ٥- عيد المظلات

في شهر اكتوبر (تشرين الاول) يحتفل اليهود في العالم بعيد المظلات او عيد الخيام وفي هذا العيد يذهبون الى المعبد حاملين السعف واغصان الاشجار وفي الطريق الى المعبد يقيمون الخيام او اكواخا من القش يعضون بها عدة ايام رمزا للتاريخ الطويل الذي مر بهم وهم ضياع ليس لهم بيوت ثابتة حيث كانت مساكنهم من الاغصان وسعف النخيل وهم يذهبون الى المعبد لشكر الرب ان انهم عندهم حياة المكابدة والتطواف ومنحهم الاستقرار ويمتد هذا العيد مدة عشرة ايام ويكون اليومان الاخيران حافلين بالبهجة والرقص والشراب والبخور

### سابعا : سمات المجتمع الاسرائيلي :

يتميز المجتمع الاسرائيلي العديد من السمات والمميزات منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر انه مجتمع يتجه نحو الشيخوخة والتفسخ فمع قيام الدولة عام ١٩٤٨ وصلت نسبة كبار السن في المجتمع اليهودي ٣% وبعد مرور ٥٠ عاما وصلت الى ١٥% ويفسر الدكتور (مريان ريوفيتش) المتخصص بامراض الشيخوخة السبب في ارتفاع اعداد ونسبة الشيخوخة الى قلة الانجاب من جهة والهجرة العكسية.

ومن الامور اللافتة في المجتمع الاسرائيلي هي ظاهرة الامركة التي بدأت تغزوه فقد حذر رئيس الدولة منها ومن ظواهر الهيميز وعبدة الشيطان واللوطيين والسحاقيات والهروب من الخدمة العسكرية والهروب الى تايلند والشرق الاقصى لتعاطي المخدرات وحفلات الاسيد التي تشهدها غابات البلاد وحفلات البوب التي يحضرها عشرات الاف من الشباب والفتيات وارتفاع نسبة متعاطي السموم الثقيلة الهيروين اضافة الى انتشار العنف في المدارس والاعتصاب .



ففي اخر بحث اشارت الاحصائيات الى ان نسبة العنف والجريمة بالمدارس زادت عن ٥٠ % في مدارس تل ابيب كما اشارت الاحصائيات الى وجود ازمة هوية تعصف في الشباب اليهود العلمانيين الذين يعبرون عن انفسهم غالبا على انهم ليسو يهود!!!

### ثامنا : المستوطنات الإسرائيلية

وإلى اليوم والمستوطنات الصهيونية لم تنقطع ولأن اليهود الصهاينة يصرون على الإستيطان في فلسطين فهم يببدون سكان المدن والقرى وكذلك بيوتهم حتى لا يبقى أثر لأى فلسطيني يطالب به فيما بعد وكذلك لبيبنوا لأبنائهم فيما بعد أنهم هم أصحاب الأرض الأصليين وليس الفلسطينين ونضرب لذلك مثالا :

لو أن شخصا غريبا جاء من منطقة بعيدة إلى جوار قرية ما وسكن في خيمة ؛ ثم جاء آخر ليسكن أيضا في نفس القرية ، ولكن الآخر آبي أن يسكن في خيمة بل تحايل واستغل كل الطرق المشروعة وغير المشروعة إلى أن بنى له بيتا على أساس متين فأى الاسرتين فيما بعد تؤكد انهما من أهل البلد وانها صاحبة المكان ؟

بالطبع الأسرة الثانية لأنه من البديهي سيقال إن لم تكن لأبيهم جذور في هذا المكان لم يكن لأهل البلدة أن يتركوه يستقر بينهم . أما الأسرة الأولى فبدون أدلة فمن الواضح انما غريبة لأنها تعيش في خيمة ومن السهل حملها أو إشعالها إن آبي . وهذا ما فعله الصهاينة فقد استغلوا وقوف الدول العظمى الظالمة بجوارهم وكذلك استغلوا صمت العرب والمسلمين وبادوا القرى والمنازل وقبلها أصحابها وساكنيها وأقاموا بدلا منها الستوطنات حتى اذا جاء جيل بعد آخر و دافع حينئذ سيقال أنهم إنما يدافعون عن مساكنهم .

وصدق الحق حين قال ( انهم يكيدون كيد ) ولذا علينا أن نحذرهم وأن نقف لهم بالمرصاد قبل أن نفاجى بأندلس اخرى . وإليك عزيزى القارئ بعض أسماء الستوطنات :

**1- الحي اليهودي في القدس:** ويمتد هذا الحي من الحائط الغربي للمسجد الاقصى حتى دير اللاتين، والارض المقام عليها هذا الحي تدخل ضمن الاوقاف الاسلامية والممتلكات الفلسطينية، ويتضمن - - حي المغاربة المدمر وحي الشرف. وقد صمم هذا الحي اليهودي

ليستوعب ٥,٥٠٠ مستوطن، ولا يسمح لاي فلسطيني بالشراء أو الاستئجار أو الإقامة فيه .

**2-رمات اشكول:** وهي مستوطنة سكنية بنيت على ارض السمير، وهي ملك للفلسطينيين من قرية "لفتة"، التي دمرها "الاسرائيليون" عام ١٩٤٨ ، ومساحتها ٦٠٠ دونم، وتحتوي على ٢١١٥ وحدة سكنية وترتبط بين القدس الشرقية والقدس الغربية .

**3-مبنى الجامعة العبرية:**

كان هذا المبنى يسمى مركز "هاداسا" الطبي ومستشفاه في عام ١٩٤٨، وهما المنيان اليهوديان الوحيدان التابعان للجامعة العبرية، وقد تم بناؤهما عام ١٩٢٦ على ارض تخص قرية لفتة الفلسطينية على جبل سكويس. وفي عام **1967** تضخم هذان المنيان ليتحولا إلى مبنى جامعي هائل، يضم كليات جديدة، ومساكن للطلبة وموظفي الكليات.. وغيرهم .

**4-التلة الفرنسية:**

بنيت هذه المستوطنة السكنية عام ١٩٦٩م، على الطريق بين رام الله والقدس شرقي جبل سكويس، وارضها ملك للفلسطينيين وللدير اللاتيني والحكومة الاردنية، وتم بناء ٥ آلاف وحدة سكنية

**5-راموت:**

بنيت هذه المستوطنة على اراضي طيلة، وبيت حمودة، اللتين ترجع ملكيتهما لاراضي قرية بيت اكسا، وبيت حنينا، وقد صودر ٣٠٠٠ دونم من ممتلكات الفلسطينيين، ودمر ١٠٠ منزل بغرض بناء هذه المستوطنة. وبحلول عام ١٩٧٥ ، كان بها **2000** وحدة سكنية .

**6-النبي يعقوب:**

بنيت هذه المستوطنة على ارض "راجيوم الغراب"، وركبا وشعب السيرة ودير سلام، التي تخص قرية بيت حنينا الفلسطينية وتقع على الطريق بين القدس ورام الله، على بعد ٧ كيلومترات من وسط القدس. وبحلول عام **1980** كان في هذه المستوطنة ٢٥٠٠ وحدة سكنية .

**7-عتاروت:** بنيت هذه المستوطنة على ارض الغازية التابعة لقرية قلنديا الفلسطينية وتقع على الطريق بين القدس ورام الله، وبحلول عام ١٩٧٣ ، بلغ عدد المصانع التي بنيت فيها

٦١ مصنعا، وضمت المنطقة كلها إلى القدس الموسعة

### 8- جيلو:

بُني على أرض الصليب وحرم الله، التابعة لمدينتي بيت جالا وبيت ساحور الفلسطينيتين، وقد صودر عند بنائها ٤ آلاف دونم من ممتلكات الفلسطينيين، وبلغ عدد الوحدات السكنية فيها عام ١٩٨٠ نحو ١٥٠٠ وحدة سكنية

### 9- نحلات دنا:

حتى يتسنى بناء هذه المستوطنة، قامت السلطات "الاسرائيلية" بمصادرة الأراضي التي تمتلكها الاسر الفلسطينية التالية: امينة الخالدي، والخطيب، وعارف العارف، وكانت هذه الأراضي حتى عام ١٩٦٧ مدرجة ضمن الأرض الفلسطينية. وفي عام ١٩٨٠ كان عدد الوحدات السكنية المبنية فيها قد بلغ ٥ آلاف وحدة

### 10- جمعات همفتار:

تقع هذه المستوطنة إلى الشمال الشرقي من القدس، على أراضي تل الذخيرة في منطقة الشيخ جراح، ووصل عدد الوحدات السكنية فيها عام ١٩٨٠ إلى ٣,٠٠٠ وحدة سكنية

### 11- منتزه كندا:

شيدت "إسرائيل" هذا المنتزه الضخم عام 1967 في منطقة اللطرون، على القرى الفلسطينية المدمرة : بالو وعمواس وبيت توبا، وقد مول الصندوق الوطني اليهودي عملية التشجير لهذه المنطقة

تقع هذه المستوطنة على تل شرقي قرية أو ديس الفلسطينية، وتضم ثلاثة اجزاء أ ب ج وتشمل اراضي الحزمة، والعيزرية، وابو ديس الفلسطينية. وبحلول عام ١٩٨٠ بلغ عدد الوحدات السكنية التي بنيت فيها ٥ آلاف وحدة، واعلنتها الحكومة "الاسرائيلية" مدينة يهودية جديدة

مستوطنة جبعات زيتيف: اقيمت عام ١٩٧٧ على اراضي قري بيتونيا وبيت دقور ١٢ - مشور ادوميم: عبارة عن منطقة صناعية، عام ١٩٧٤ على اراضي قرية أبو ديس وهارادار: اقيمت عام ١٩٨٥ على اراضي قريتي بيت سوريك

### 13- اجزا جفعون حدشاه: اقيمت عام ١٩٨٠ على اراضي قرية بيت

جبعات بنيامين: اقيمت عام ١٩٨٣ على اراضي قرية جبع بعد مصادرة ١٣٨٣ دونما

**14** - علمون: اقيمت عام ١٩٨٣ على اراضي صودرت من قرية عناتا بسكان عومير: اقيمت عام ١٩٨٧ بعد مصادرة ألف دونم من الأراضي العربية، وجرى توسيعها بعد ذلك

١٥- قرية داود: اقيمت عام ١٩٩٠، غرب باب الخيل في اراضي المنطقة

الحرام التي تفصل القدس الشرقية عن القدس الغربية، وذلك بهدف دمج قسمي المدينة، وتمت مصادرة الأراضي التي اقيمت عليها القرية عام ١٩٧٠ من الاملاك العربية واملالك الكنيسة

١٦- جبعان همطوس: اقيمت عام ١٩٩١ على اراضي قريتي بيت صفافا وبيت - جالا وارض اخرى يملكها دير الروم الارثوذكس، وتبلغ سماحة المستوطنة ١٧٠ دونما

بيت ١٧- مستعمرة هارحومة: اقيمت عام ١٩٩١ على اراضي جبل أبو غنيم من اراضي - ساحور، وصور باهر، بعد مصادرة ١٨٥٥ دونما

### تاسعا: المستوطنات واتفاقيات السلام

تعد المستوطنات اليهودية في الأراضي الفلسطينية المحتلة بالضفة الغربية وقطاع غزة إحدى القضايا الشائكة في صراع الشرق الأوسط كما اكتسبت مشكلة المستوطنات بعدا جديدا منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الراهنة في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، حيث أعرب المحتجون الفلسطينيون عن اعتزازهم إجبار المستوطنين على الرحيل وطبقا لاتفاقيات المرحلة الانتقالية الموقعة بين إسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية، فإن المستوطنات ستظل على حالها إلى حين تحديد مصيرها ضمن اتفاق الوضع النهائي وبالحقائق والأرقام يقطن حوالي مئتي ألف مستوطن يهودي في مئة وخمسة وأربعين مستوطنة وسط حوالي ثلاثة ملايين فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة وتتركز غالبية المستوطنين في أراضي الضفة الغربية، أما تعداد المستوطنين في قطاع غزة فلا يزيد عن سبعة آلاف شخص يتوزعون على ثلاث مستوطنات رئيسية

أقيمت المستوطنات على الأراضي التي احتلتها إسرائيل في حرب سبعة وستين وهي الأراضي التي يرغب الفلسطينيون في أن تكون جزءا من دولتهم المستقلة، ولا يعترف المجتمع الدولي ظاهريا بشرعية المستوطنات كما يعتبرها عقبة في طريق السلام

تشكل المستوطنات نسبة ١,٨% من أراضي الضفة والقطاع، ويعيش فيها المستوطنون مسلحين أو تحت حماية الجيش الإسرائيلي كما ترددت تقارير مفادها أن رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك عرض على الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات خلال قمة كامب ديفيد، خطة سلام تقضي بإبقاء ٨٠% من المستوطنين حيث هم ضمن اتفاق سلام نهائي، لكن الفلسطينيين أكدوا أن حلا كذلك سيجعل من دولتهم المستقبلية مجموعة جزر بسبب المستوطنات ويزعم المستوطنون، ومعظمهم من اليهود المتشددين، أن أراضي الضفة الغربية هي جزء من إسرائيل التوراتية أو الأرض الموعودة كما يزعمون في العهد القديم، كما دافعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة عن احتلال الأراضي الفلسطينية باعتباره ضروريا لحماية أمن إسرائيل .

### عاشرا : مفاعل ديمونة الإسرائيلي:

مفاعل ديمونة الإسرائيلي : أنتجت إسرائيل من خلاله أكثر من مائتي رأس نووي كلها موجهة للعرب والمسلمين ولا تزال في طريقها لإنتاج المزيد والمزيد ، ولكن سبحانه الله القائل ( إنهم يكيدون كيد \* وأكد كيدا \* فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ) لأن مفاعل ديمونة هذا يعاني من تردي في خدماته الوقائية مما يهدد المنطقة في القريب العاجل بكوارث لا قبل لنا بها ولا يزال يشوب طريقة إسرائيل في التخلص من نفاياتها النووية الكثير من السرية ولكن البعض يؤكد بأنها تقوم بدفنها في صحراء النقب وفي البحر الأحمر

### زيادة كبيرة في قدرات إسرائيل النووية:

كشفت صور حديثة التقطتها الأقمار الصناعية عن احتمال أن تكون إسرائيل قد أنتجت كمية من البلوتونيوم تكفي لتصنيع ما يصل إلى مئتي رأس نووي

وتتعلق الصور الجديدة بمفاعل ديمونة النووي الإسرائيلي في صحراء النقب، وقد نشرت على موقع خاص برابطة العلماء الأمريكيين وقد أُلْقِطت الصور التي فحصها العلماء الأمريكيون بعناية عن طريق قمر صناعي تابع لمؤسسة إيكونوس للتصوير الفضائي .

وأخضع العلماء هذه الصور الحديثة للمقارنة مع صور أخرى التقطتها قمر استطلاع أمريكي لمفاعل ديمونة في عام واحد وسبعين وبناء على ذلك توصلوا إلى هذه النتيجة وتعني رابطة

العلماء الأمريكيين ( إف ايه إس ) بمراقبة تطور الأسلحة غير التقليدية في العالم أجمع. وقد خلاص التقرير الذي أعدته إلى أن السلطات الإسرائيلية لم تزود مفاعل ديمونة بأبراج تبريد جديدة منذ عام واحد وسبعين، وهو ما يشير إلى أن قوة تشغيل المفاعل لم تتغير كثيرا منذ ذلك الحين ويشير التقرير كذلك إلى أن المعدل السنوي لإنتاج البلوتونيوم في المفاعل يبلغ عشرين كيلو جراما .

### حادى عشر : ترسانة نووية

ويقول التقرير إنه بالاستناد إلى الحدود الدنيا والقصى لطرق تشغيل المفاعل، فإنه يمكن الاستنتاج أن إسرائيل أنتجت من البلوتونيوم ما يكفي لتصنيع مئة سلاح نووي على الأقل وما لا يزيد عن مئتي سلاح على الأكثر .

وقد نشرت الصور التي يزخر بها الموقع في صحيفة ידיعوت أحرونوت الإسرائيلية كما عرضها التلفزيون الإسرائيلي. وتسمح قوانين الرقابة الإسرائيلية بالنقل عن تقارير أجنبية بشرط الإشارة إلى المصدر وتعتبر إسرائيل في الوقت الراهن هي الدولة الوحيدة التي تمتلك أسلحة نووية لكنها ترفض الاعتراف بملكية هذه الأسلحة. وقد رفضت باستمرار السماح لإجراء تفتيش دولي لمفاعل ديمونة، كما أنها ترفض التوقيع على معاهد حظر الانتشار النووي

وتتبع إسرائيل ما تصفه بسياسة الغموض النووي وتقول إنها لن تكون أول دولة تقوم بإدخال الأسلحة النووية إلى الشرق الأوسط ( فأعتبروا يأولى الأبصار )

وفي عام ستة وثمانين صدر حكم بالسجن لمدة ١٨ عاما على موردخاي فعنونو وهو فني سابق في ديمونة بسبب كشفه معلومات عن المفاعل تتضمن صوراً نشرتها صحيفة صنداى تايمز البريطانية

ويعمل مفاعل ديمونة منذ عام ١٩٦٥ ، وتقول رابطة العلماء الأمريكيين إن تقديرات جهات المخابرات لقدرات إسرائيل النووية في عام تسعين كانت تشير إلى امتلاكها ما يتراوح بين خمسة وسبعين ومئة وثلاثين سلاح نووي .

فليمتلك الصهاينة ما يشاؤون فنحن لنا الله أقوى وأعز وأكبر من ترسانتهم وأسلحتهم وعلينا أن لا نخشاهم . فبدلاً من التعامل معهم ومجاراتهم علينا أن نعبد الله حق عبادته وأن نخشى الله حق خشيته . حينها يتولى الحق سبحانه وتعالى الدفاع عنا لقوله تعالى ( إن الله يدافع عن الذين آمنوا )

ولنا معهم مواقف كثيرة أهمها الموقف الذى ذكره القرآن الكريم حين قال تعالى ( سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم \* هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر \* ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله\* فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فكدف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ( فأعتبروا يا أولى الأبصار ) ونحن فى انتظاره يا ذن الله تعالى إن اتقينا الله جل وعلا فسيخربون بيوتهم ومستوطناتهم بأيديهم وأيدينا إن شاء الله تعالى .

## الباب الثاني عشر

### الصهاينة والإرهاب

لقد كتب أحد كتاب الغرب المنصفين<sup>١</sup> مقالا يصف فيه أحداث الحادى عشر من سبتمبر اعجبني فيه أنه في الوقت الذى يدين فيه المسلمون أنفسهم ويبررون لأمریکا ما تقوم به من عمليات عسكرية واحتلال وتدمير ضد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فإذا بهذا الكاتب وهو يفسر الأمر بشكل منطقي وسليم فأريت من واجبي أن اطالعك معى عزيزي القارئ على المقال لنرى سرىا كيف يرى الغرب أو المنصفون منهم حقيقة الأمور فهذا هو المقال بتصريف يسير

فيقول : إن من بين العديد من الامور التي أثارها أحداث الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، أود أن أتناول قلة منها.

أن ركاب الطائرات المختطفة ضحايا أبرياء ، وكذلك الألاف الذين لاقوا حتفهم عندما انهار برجاً مركز التجارة العالمي في نيويورك، على الذين لم يجدوا الوقت الكافي لمغادرة المبنى، أو الذين تعرضوا للإحتجاز بداخله، أو الذين دخلوا إليه للتو لمساعدة وانقاذ أكبر عدد ممكن من الضحايا .

وأما الذين لاقوا حتفهم في وزارة الدفاع (البننتاجون) بواشنطن فهم يمثلون فئة مختلفة ، وسواء كانوا أهدافا مشروعة أم لم يكونوا ، فالحقيقة هي أنهم ما كانوا سيلقون حتفهم دون أن يلقي ركاب الطائرة المختطفة حتفهم نتيجة اصطدام الطائرة بمبنى البننتاجون.

ولا يمكن للمرء أن يجد مبررا لعمل ما سواء أكان القصد من ذلك العمل أن يكون بياناً سياسياً قوياً ، أم انذاراً أم انتقاماً أم فعلاً يائساً ، ما دام هذا العمل ورت عديدا كبيرا من المدنيين وتسبب في قتلهم.

لهذا السبب فأنتي أدين الهجمات الارهابية التي أدت في ١١ سبتمبر الى مصرع العديد من الضحايا الابرياء. وبعد شجبي للهجمات الارهابية هل ينبغي على شجب الارهابيين ايضا ؟

<sup>١</sup> مقال للكاتب كليمنت لبيو فيتر



فمن هم الإرهابيون ؟

لا أحد يعرف حتى الآن هوية أولئك الإرهابيين ، أو المنظمات التي ينتمون إليها ، ودوافعهم الرئيسية . وعلى أية حال ، نحن نعرف عنهم ما يلي :

١- إنهم يؤمنون إيماناً قوياً بقضيتهم.

٢- وقضيتهم ترتبط بإدراكهم للمعاناة والآلام الرهيبة وغير العادلة التي تعرضت لها شعوبهم.

٣- وهم مثاليون ومستعدون للتضحية بأرواحهم من أجل ما يرون أنه يخدم مصلحة شعوبهم.

٤- وفي هذا السياق - وهو سياق لا عقلائي ومحزن للغاية، ولكنه حقيقي - فهم صفوة الصفوة في المجتمع.

٥- وهم ينتمون لطراز من الناس يقبل من أجل مصلحة الشعب ، أن يتم حقه بجرثومة مرض عضال ، حتى تتم تجربة أمصال مجهولة الفعالية في أجسامهم.

٦- وهم ليسوا من النوع الأناني ، بل يمتازون بالإنثار وحبهم غير المحدود للآخرين . ومن الجائز أنهم يعتبرون أنفسهم في حالة حرب مع الولايات المتحدة، ولكن حتى الحروب لها قواعدها ، ويفترض في الحاربين احترام معاهدات جنيف بعدم إيذاء المدنيين . ولكن :

الحقيقة أن أمريكا هي صانعة الإرهاب بما قامت به من انتهاكات للعديد من أراضي وحدود الدول على إختلاف دينها وجنسياتها مما أوغر الصدور تجاهها فان ما يقوم به هؤلاء انما هو رد فعل لما فعلته امريكا بهم وردا عن دولهم العاجزة بالقيود والمعاهدات عن رد او صد هجمات امريكا واليك عزيزى القارئ توضيحا لذلك :

١- لقد تجاهلت الولايات المتحدة وحليفاتها في كثير من الأحيان ما يقومون به من عداوات . فقصف الحلفاء مدينة دريسدن الألمانية في فبراير ١٩٤٥ ، وهو عمل وحشي ارتكبه البريطانيون . فمدينة دريسدن لم تكن لها أهمية صناعية أو عسكرية. وقد لقي أكثر من ١٠٠،٠٠٠ ألماني من غير العسكريين مصرعهم خلال الغارة.

وكانت تلك الجريمة انتهاكاً صريحاً لمعاهدات جنيف، ولكن الذين ارتكبوها هم البريطانيون أليسوا يارهابيين!

- ٢- وهناك أيضاً القصف العشوائي في فيتنام ، واستخدام المواد الكيماوية الخطيرة ، وهو عمل وحشي وانتهاك فاضح لمعاهدات جنيف ، وقام به الأمريكيان أليسوا يارهابيين!
- ٣- وهناك قصف بلجراد وتدمير الجسور والإنشاءات المدنية ، وكلها أعمال تعارضت مع معاهدات جنيف ، قامت بها دول حلف شمال الأطلسي (ناتو) أليسوا يارهابيين!
- ٤- ولا ننسى قصف العراق ، والتدمير التام لخطات المياه والكهرباء ... الخ، وهي جرائم تتنافى ومعاهدات جنيف ، قام به التحالف المناوئ للعراق ألم يكن هذا إرهاباً!!
- إذن ، لماذا يجب على مرتكبي الأعمال الإجرامية ضد الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر ، أن يعتبروا أنفسهم ارهابيين من طراز يفوق ارهاب الولايات المتحدة؟
- ولذا إذا كان الذين نفذوا الهجمات عراقيين ، فرما كان دافعهم لتنفيذ الهجمات الانتقام لـ ٥٠٠،٠٠٠ طفل عراقي قضوا نحبهم نتيجة للحصار الاقتصادي الذي فرضه الناتو على بلادهم.
- وإذا كانوا جواتيماليين فرما كان دافعهم هو التدخل الإجرامي الأمريكي ، الذي نتج عنه انقلاب عسكري أطاح بالزعيم الشعبي التزيه والمتنافي أربتز، واستبداله بحاكم تتحكم الولايات المتحدة فيهم وتحركهم كما تشاء
- ونتيجة لهذا ، لقي آلاف الجواتيماليين مصرعهم ، وتم إغلاق الطريق المؤدي للتقدم الاقتصادي والديمقراطي أمام بلادهم ، وتم بدلاً عنه فتح طريق الانكفاء والقمع.
- وإذا كان المنفذون من بنما ، فرما كان الهاجس الذي دفعهم للقيام بما قاموا به، هو الغزو الأمريكي لبلادهم الذي أدى إلى مصرع آلاف الضحايا الأبرياء.
- وإذا كان المنفذون اندونيسيين ، فرما كان دافعهم هو الانقلاب الذي دبته وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية (CIA) والذي استبدل سوهارتو بالزعيم الراحل أحمد سوكارنو ، وهو الانقلاب الذي تلاه حمام دم راح ضحيته عدد يقدر بمليون شخص، كانت أسماء معظمهم على قوائم قدمتها (CIA) إلى سوهارتو ، وضمت جميع الناشطين في النقابات العمالية وأعضاء الاحزاب اليسارية.
- وإذا كان منفذو الهجمات من الأكراد، فرما كان دافعهم هو حقيقة أن الشعب الكردي ظل محظوراً عليه ، ولعدة عقود، ممارسة حقوقه في تقرير المصير. وقد وقفت الولايات المتحدة - لأسباب استراتيجية - خلف تركيا والعراق عندما نفذ البلدان سياسات قمعية ضد الأكراد . ومؤخراً ، وعندما ثار الاكراد في العراق ، ساعدت

الولايات المتحدة النظام العراقي على اعادة السيطرة على الوضع ، وسمحوا له بإرسال مروحياته بالتحليق عبر منطقة المحظر الجوي للقضاء على ثورة الاكراد.

وصحيح ان الولايات المتحدة كانت تفضل التخلص من الرئيس العراقي ، ولكن ليس من خلال ثورة شعبية يمكن أن تؤدي الى ديمقراطية حقيقية ، وانما عبر انقلاب من داخل القصر يستبدل طاغية بأخر ، أكثر رغبة في الانصياع لإرادة الولايات المتحدة .

- وإذا كان المنفذون تشيليين فرما كان دافعهم هو انهم تذكروا ان بلادهم عانت من نظام كرهه تسبب في موت عشرات الالاف من أفضل أبناء تشيلي، وهو نظام فرضته عليهم وكالة (CIA) لان الولايات المتحدة لم ترضى عن الرئيس الراحل سلفادور أليندي، الذي تم أنتخابه ديمقراطيا في انتخابات حرة.

- وإذا كانوا يوغسلافيين ، فرما كان الدافع لديهم هو انهم تذكروا أن بلادهم كانت في وقت من الاوقات موحدة تعيش فيها جميع القوميات والجماعات العرقية جنباً الى جنب في ود وسلام.

وربما تذكروا أنه وعلى إثر إعلان بعض القادة القوميين استقلال بعض أجزاء يوغسلافيا ، اعترفت الدول الغربية باستقلالها وزودتها بالاسلحة .

وربما تذكروا أن بلجراد تعرضت للقصف. وربما أدى ذلك القصف لفقدانهم بعض الأجزاء. وربما وجدوا المبرر للتفكير في أنه لولا التدخل الخارجي في شؤونهم الداخلية، لظلت يوغسلافيا دولة متحدة تعطي النموذج لتنوع الجماعات العرقية التي تعيش في انسجام مع بعضها البعض.

- وإذا كانوا فيتناميين فرما تذكروا الحرب الجائرة والمرعبة وغير المعلنة التي شنتها الولايات المتحدة على شعبهم الذي كان قد حقق استقلاله للتو آنذاك ، بعد هزيمة الجيوش الفرنسية.

وربما تذكروا الأكاذيب التي استخدمتها الولايات المتحدة لتبرير تدخلها ، وربما تذكروا استخدام مادة اورانج السامة التي ألحقت ضرراً رهيباً بالنباتات الفيتنامية ، وبصحة ملايين البشر . وربما تذكروا ان تلك الحرب الجائرة أدت إلى مقتل ملايين الفيتناميين.

-وإذا كانوا كمبوديين ، فرما تذكروا الحرب السرية التي شنتها الولايات المتحدة عليهم.

-وإذا كانوا لاسيين فرما تذكروا أيضاً الحرب السرية الامريكية ضد بلادهم.

- وإذا كانوا كونهوليين فلا بد أنهم تذكروا أن طريق بلادهم نحو التقدم ، تم إغلاقه عندما قررت الولايات المتحدة أن الزعيم الكونجولي باتريس لومبا يجب اغتياله.  
-إذا كانوا أنجوليين فرمما تذكروا كيف أشعلت الولايات المتحدة حرباً أهلية وحافظت على اشتعالها.

-وإذا كانوا مواطنين امريكيين فرمما تذكروا السنوات الطويلة التي عانى خلالها السود - ومازالوا يعانون - من التمييز العنصري . ويسري هذا على مواطنين أمريكا الجنوبية وأمريكا اللاتينية

فرمما تذكر هؤلاء أن الولايات المتحدة - من خلال وكالة (CIA) - كانت أكبر متعامل في المخدرات ، وأنها تتحمل مسؤولية ضخمة في ما يتعلق في ادمان المخدرات في الولايات المتحدة.

ورمما تذكروا أن هناك الكثير من الاطفال الجوعى والمشردين في أمريكا ، على رغم من غناها الفاحش ، ... الخ ... الخ .... الخ.

- وإذا كانوا فلسطينيين ، فرمما تذكروا أن ( إسرائيل ) هي الدولة الوحيدة التي لم تتعرض لعقوبة لسنوات عديدة ، وهي ترفض تنفيذ قرارات الامم المتحدة التي تستند الى معاهدات جنيف ، والتي تلزم (إسرائيل) بالانسحاب من جميع الاراضي المحتلة وراء حدود عام ١٩٦٧ ، وتلزمها بقبول عودة لاجئين الفلسطينيين وتفكيك المستوطنات اليهودية وراء حدود ١٩٦٧ .

وتستطيع (إسرائيل) تجاهل قرارات الامم المتحدة لان الولايات المتحدة تؤيدها وتحبط أي محاولة لفرض أية عقوبة ضدها ونتيجة لهذا كله ، يعيش اللاجئون الفلسطينيون داخل مخيمات منذ عدة أجيال.

ونتيجة لهذا ، تستطيع (إسرائيل) تنفيذ سياسة قمع وحشي في الارضي التي تحتلها بشكل غير قانوني. ونتيجة لذلك تستطيع (إسرائيل) تقسيم هذه الارضي الى جزر معزولة دون اتصال بين جزيرة واخرى من غير رقابة (إسرائيلية). وتتم ممارسة هذه الرقابة بطريقة تزيد خنق الفلسطينيين إقتصاديا ، وتضاعف إذلالهم ، وتجعل من المستحيل بالنسبة للأطفال الحصول على المساعدة الطبية ، والتعليم السليم

وعلاوة على ذلك يقصف الجيش (الاسرائيلي) المباني ويدمرها ، ويستهدف الفلسطينيين لإغتيالهم ويقتل الاطفال إذا تجرأ أحدهم ورمى حجراً كفعل مقاومة ضد الاحتلال.

- هناك مواطنون فرنسيون يمكنهم الشعور بالغضب الشديد إزاء الولايات المتحدة ، إذا تذكروا إن الاستخبارات السرية الامريكية قامت - من أجل التأثير على الانتخابات الفرنسية خلال السنوات الاولى بعد الحرب - بدفع أموال للمافية الفرنسية لإغتيال القادة العماليين الفرنسيين في مرسيليا. ويمكن لهؤلاء الفرنسيين أن يتذكروا كيف نجحت الولايات المتحدة - من خلال استخدام إغراء الاموال الطائلة في إحداث إنشقاق في اتحاد النقابات العمالية (CGT) .

- ومن المؤكد إن لدى بعض الطليان شكوى ضد الولايات المتحدة ، عندما يتذكرون كيف أفرج الامريكيون عن رجال المافية من السجون الابطالية ، في إستخدامهم في حرب ضد المقاومة الايطالية المناوئة للفاشية ، وعندما يتذكرون المتدخل الامريكي المستمر بأموال طائلة لمساعدة الحزب الديمقراطي المسيحي للفوز في الانتخابات.

وهناك جميع أنواع الاشخاص الذين خاطروا بحياتهم - ويتفجعون على رفاقهم - في المقاومة ضد الجستابو و النازية بشكل عام ، والذين يثير سخطهم منح الولايات المتحدة حق اللجوء لكبار النازيين ، وحصول بعضهم على الجنسية الامريكية ، وتوفير المساعدة لبعض منهم - وهم مجرموا حرب معروفون - للحصول على ملاذات في أمريكا الجنوبية. ولا شك إن الاشخاص المحبطين الذين قاتلوا ضد النازية لديهم ما يتدمرون منه إزاء الولايات المتحدة .

- وإذا كان المنفذون يابانيين فلا بد إنهم تذكروا هيروشيما وناجازاكي . ولا يوجد سلاح يقتل البشر عشوائيا كما تفعل القنبلة الذرية فهي السلاح الاكثر وحشية الذي يتعارض مع معاهدات جنيف .

- وإذا كانوا صينيين فلا بد إنهم تذكروا الوقت الطويل الذي ساندت خلاله الولايات المتحدة النظام الفاسد للزعيم التايواني الراحل شيانج كاي تشيك.

- كما ان هناك أناس في الولايات المتحدة وحول العالم يعرفون مدى ضخامة مسئولية الولايات المتحدة عن تدهور نوعية الحياة في العالم الثالث ، ومدى عظمة الدور الأمريكي في الاستغلال القاسي للفقراء ، ومدى دورها الهائل في التلويث المستمر لكوكب الارض .  
- وهناك كوبيون يتذكرون كيف كانت بلادهم متخلفة في ظل حكم الديكتاتور باتيستا ، وكيف كان يحصل باتيستا على الدعم القوي من الولايات المتحدة ، ومدى التقدم الذي تحققت في كوبا في ظل ثورة فيدل كاسترو . وهم يتذكرون خليج الخنازير والحصار المفروض على بلادهم ، ولديهم لا شك الكثير من الندم تجاه الولايات المتحدة.  
من إذن ؟ لاندري ؟

من الذي قام بالهجمات الإرهابية ضد الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . لا ندري . ولكننا نعرف أن كون الولايات المتحدة هي الهدف ليس بالمفاجأة ! فلا توجد دولة في العالم يضم لها الاخرون الكراهية والحقد كالولايات المتحدة . وإنني أعلن وقوفي بضد اعمال الارهاب ، ولكنني لا أستطيع دائما شجب من يقومون بها . فالرجل المسالم الذي يحاصره قطاع طرق ويخشى على حياته يمكن أن يصبح ضاريا . وعندما يتم اللجوء إلى العنف ، يجب أن نتذكر أن العنف الأساسي هو عنف الاحتلال . وهو عنف منع الناس من حكم أنفسهم والعنف الذي يقع كرد فعل الناس ضده هو نوع ثانوي من العنف ، نشأ وترعرع بسبب العنف الاساسي .  
ولو أن (الاسرائيليين) انسحبوا من الاراضي الفلسطينية المحتلة ، وفككوا المستوطنات اليهودية القائمة وراء حدود ١٩٦٧ ، فإن معظم العنف الدائر في فلسطين و(اسرائيل) سيتوقف .

أنا ضد الارهاب ، ولكنني أعرف أن الظلم والاستغلال و التمييز يولد العنف سواء أكان على نحو مبرر أم لا .

ولذلك ، وعندما يتعلق الامر بالنضال ضد " الارهاب " يجب علينا جميعا أن نتذكر اننا مهما بلغت كراهيتنا للإرهاب ، يتعين علينا أن نكره أكثر الظروف التي دفعت لوقوعه . وأمل أن يدرك مدبرو ومخططو الأعمال الارهابية أن الأعمال التي يستطيعون تبريرها لأنفسهم هي أعمال تأتي بنتائج عكسية .

وأنا لا أعرف من الذي نفذ هجمات ١١ سبتمبر على الولايات المتحدة . وإنني أدين الهجمات والذين قاموا بها . ولكن رئيس الوزراء "الاسرائيلي" الأسبق أرييل شارون بدأ

بالفعل في جني بعض الثمار. ونحمد الله جل وعلا أن أصبح اليوم طريح الفراش بين الموت والحياة " فأعتبروا يا أولى الأبصار "

هو يستطيع التظاهر بتشبيهه الهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة ، بالمجمعات التي تقع ضد (إسرائيل). وبالنسبة للذين يبررون رد الفعل الامريكي ضد الهجمات ، لن يكون صعبا على شارون تبرير عدوانه على الفلسطينيين

## الباب الثالث عشر

### الأندلس وبنوا إسرائيل

#### ١: الأندلس قبل الإسلام

تمهيد :

سنتحدث بشكل يسير عن الأندلس قديماً قبل الفتح الإسلامي لها ثم ووجود المسلمين بها فترة من الزمان لا تقل عن ثمان قرون ثم القضاء عليهم والمذابح التي حدثت لمن بقي منهم ولأن هذه الأحداث في حاجة إلى مجلدات رأيت أن أركز على الأهم منها لتري عزيزي القارئ الفارق بين حكم المسلمين للبلاد وبين حكم أبناء القردة والخنزير ومن يعاونهم . فتشير الأدوات الحجرية ورسوم الكهوف إلى أن الإنسان استوطن شبه جزيرة أيبيريا منذ أكثر من ١٠,٠٠٠ سنة. وقد أقام الفينيقيون مدناً على السواحل. ثم ضمها الرومان إلى إمبراطوريتهم، حتى غزاها القوط الغربيون (**Visigoth**) حوالي عام ٤٥٠ ضمن اجتياح مختلف قبائل البربر للإمبراطورية الرومانية.

طرد القوط الغربيون قبائل الوندال البربرية إلى شمال أفريقيا. وجاء اسم الاندلس من كلمة "وندال" حيث أصبحت واندالش ومنها اندلس والاندلس هي كل ارض دخلها المسلمون في شبه جزيرة ايبيريا حتى أصبحت في النهاية حوالي ثمان مدن

#### ٢- دخول المسلمين

في عام ٧١١ م أرسل موسى بن نصير الوالي الأموي للمغرب القائد الشاب طارق بن زياد من طنجة مع جيش صغير من البربر والعرب يوم ٣٠ أبريل ٧١١، عبر المضيق الذي سمي على اسمه، ثم استطاع الانتصار على القوط الغربيين وقتل ملكهم لذريرق ( **Roderic or Rodrigo**) في معركة جوادالبيتي في ١٩ يوليو ٧١١. أو معركة وادي برباط في ٢٨ رمضان ٩٢ هجرية بحلول عام ٧١٨ سيطر الأمويون على معظم أيبيريا عدا جيب صغير في الركن الشمالي الغربي حيث أسس النبيل القوطي بيبلايو مملكة أستوريا في نفس العام ٧١٨.

واستطاع بيبلايو الدفاع عن مملكته في وجه المسلمين في معركة كوفادونجا عام ٧٢٢، ولجأ إلى مملكته المسيحية الراضين للحكم الإسلامي. تعتمد إسبانيا ذلك العام، ٧١٨، كبداية استرداد إسبانيا للمسيحية (**Reconquista**).



### ٣- التوسع الإسلامي

واصل المسلمون التوسع بعد السيطرة على معظم أيبيريا لينتقلوا شمالا عبر جبال البيرانييس حتى وصلوا وسط فرنسا وغرب سويسرا. هُزم الجيش الإسلامي في معركة بلاط الشهداء (تورز) عام ٧٣٢ أمام قائد الفرنجة شارل مارتل.

### ٤- فتح البرتغال:

أرسل القائد موسى بن نصير إلى ابنه عبد العزيز ليستكمل الفتوحات في غرب الأندلس حتى وصل إلى لشبونه عاصمه البرتغال الآن أما موسى بن نصير وطارق بن زياد فقد إتجها شمالا إلى بارشلونه ثم سراقسطه ثم شمال تجاه الوسط والغرب حتى إنتهى فتح كل الأندلس في ٣ سنين ونصف

### ٥- امارة و خلافة قرطبة

تشمل هذه الفترة مابين دخول عبد الرحمن الداخل إلى الاندلس ١٣٦ هجرية حتى سقوط الخلافة الاموية بعد اخر خليفة اموي و هو المستكفي سنة ٤١٦ هجرية و انتهاء الدولة الاموية و بدء عصر ملوك الطوائف و قد تحولت هذه الدولة من امارة إلى عهد عبد الرحمن الناصر الذي سمي الدولة بالخلافة .

### ٦- ملوك الطوائف

[Link nur für registrierte Benutzer sichtbar]

ملوك الطوائف هي فترة تاريخية في الأندلس بدأت بحدود عام ٤٢٢ هـ لما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية في الاندلس ، مما حدا بكل أمير من أمراء الأندلس ببناء دويلة منفصلة ، وتأسيس أسرة حاكمة من أهله وذويه . في العقدين ١٠٢٠ ، ١٠٣٠ سقطت الخلافة بسبب ثورة البربر ونشوء ملوك الطوائف الذين قسموا الدولة إلى ٢٢ دويلة، منهم غرناطة وأشبيلية والمرية وبلنسية وطليطلة وسراقسطة و البرازين والباجوز وبلنسية ودانية والبليار ومورور .

وبينما ورثت تلك الدويلات ثراء الخلافة، إلا أن عدم استقرار الحكم فيها والتناحر المستمر بين بعضها البعض جعل منهم فريسة لمسيحيي الشمال، ووصل الأمر إلى أن ملوك الطوائف كانوا يدفعون الجزية للملك ألفونسو السادس .

وكانوا يستعينون به على أخوانهم دولتي المرابطين و الموحدين بسبب ضعف دول الطوائف عن الدفاع عن التراب الاندلسي ضد الهجوم الاسباني و سقوط طليطلة في ايدي الاسبان طلب الاندلسيون المعونة من قائد المرابطين في المغرب الامير يوسف بن تاشفين ان يهب لمساعدة الاندلس و انتهت مساعدته بهزيمة كاسحة للاسبان في موقعة الزلاقة و استعادة بعض المدن لكنه فشل في استعادة طليطلة و القضاء على ملوك الطوائف.

و اصبحت الأندلس تابعة لدولة المرابطين في الاندلس الذين دافعوا عن الاندلس ضد الاسبان في عدة مواقع الا انهم فشلوا في الدفاع عن سراقسطة بقيام الثورة في المغرب بقيادة الموحدين .

و بائتمام دولة المرابطين تحولت تبعية الاندلس إلى الموحدين الذين حملوا راية الدفاع عن الاندلس في عدة مواقع اشهرها معركة الارك و لكن جيوش الموحدين ما لبث ان هزمت في موقعة العقاب على الرغم من ضخامتها و كبرها مما تسبب في انهيار دولة الموحدين نهائيا و مع انهيار الحكم الموحد في الاندلس بدأت مرحلة جديدة من الانهيار في الاندلس .

#### ٧- مملكة غرناطة

انهيار دولة الموحدين جعل الاندلس معرضة للهجمات الاسبانية دون حماية من الانهيار فسقطت العديد من الحواضر الاندلسية الكبرى فريسة للاسبان و بدا للعيان ان انسحاب العرب من الاندلس قد اصبح وشيكاً الا ان الله قيض للاندلس ابن الاحمر ليحمي ما تبقى من التراث الاندلسي في مملكة غرناطة اخر القلاع العربية الباقية في الاندلس لمدة قرنين من الزمان .

#### ٨- بداية سقوط الأندلس

ظهر في أواخر عهد الموحدين ابن هود الذي سعى لتخليص الأندلس من الموحدين ، ومن النصرارى أيضاً ، وحكم قواعد شرقي الأندلس ، ودخلت في طاعته جيان وقرطبة وماردة وبطليوس ، وانتزع غرناطة من المأمون الموحد سنة ٦٢٨ هـ وحكم ابن الأحمر قواعد أخرى في الجنوب .

وخاض ابن هود مع فرديناند الثالث ملك قشتالة معركة انتهت بسقوط ماردة وبطليوس

في يد الإسبان النصارى سنة ٦٢٨هـ ، و هزم مرة أخرى فسقطت أبدة عام ٦٣١هـ -  
ثم سار ابن هود لمحاربة خصمه ومنافسه ابن الأحمر في أحواز غرناطة فوجد النصارى الفرصة  
ساحة للزحف على قرطبة التي سقطت بيدهم سنة ٦٣٣هـ فكانت من أشد الضربات  
القاصمة .وتوفي ابن هود سنة ٦٣٥هـ وبوفاته انهارت دولته ، فسقطت بلنسية في يد  
النصارى سنة ٦٣٦هـ ، ثم شاطبة ودانية ، وانضوت مرسية تحت حماية ملك قشتالة سنة  
٦٤١هـ .ومع انهيار دولة ابن هود سارع محمد بن يوسف ابن الأحمر إلى غرناطة ودخلها في  
أواخر رمضان سنة ٦٣٥هـ فغدت مقر حكمه .

### ٩- حصار غرناطة

ورأى النصارى أن ابن الأحمر أصبح منافسهم الأول بعد موت ابن هود ، فكانت معركة  
صغيرة سنة ٦٣٦ انتصر فيها ابن الأحمر ، فاغتاز فرديناند الثالث فأرسل ابنه ألفونسو  
فاستولى على حصن أرجونة ، وحاصر غرناطة سنة ٦٤٢ فردهم ابن الأحمر بخسائر فادحة .  
ولس ابن الأحمر تفوق النصارى عليه فهادن ملك قشتالة ورضي أن يحكم باسمه ، وأن يؤدي  
له الجزية سنوياً وقدرها مائة وخمسون ألف قطعة من الذهب ، وأن يعاونه في حروبه ضد  
أعدائه بتقديم عدد من الجنود ، وأن يشهد اجتماع مجلس قشتالة النيابي ، وسلم جيان وأرجونة  
وغيرها رهينة لحسن طاعته .

وسيطرت إسبانية بذلك على الولايات الشرقية وبقي التهام الولايات الغربية ، وفي عام ٦٤٥  
ضم النصارى طليطبة وشلب والخزانة ومرشوشة والحرّة ، وفتحت قرمونة بمعاونة ابن الأحمر ،  
وبدأ حصار أشبيلية ودام الحصار ثمانية أشهر ثم استسلمت المدينة للنصارى في ٢٧ رمضان  
٦٤٦هـ ، ثم سقطت مدن أخرى تباعاً لهذا السقوط الكبير ، كل هذا بمعاونة ابن الأحمر  
وبدأ ابن الأحمر يواجه النصارى بعد أن رأى الخطر يحوم حوله فبدأ يخرج عن طاعتهم فغزوا  
أرضه عام ٦٦٠هـ فردهم ، ثم شددوا الهجوم عليه بدءاً من عام ٦٦٣هـ وبدأت الهزائم  
تتوالى عليه فاضطر ثانية لمهادنة النصارى وتنازل لهم عن أكثر من مائة موضع معظمها غربي  
الأندلس ، وفي عام ٦٦٨هـ ساءت العلاقة بينه وبين النصارى فطلب ابن الأحمر العون من  
دولة المرينيين حكام المغرب الأقصى ،

وهنا مات ابن الأحمر وحكم ابنه أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الذي كان شاعراً  
وقفياً وسمي محمد الفقيه ، ونهض أمير المرينيين أبو يوسف يعقوب المنصور المريني ابن عبد  
الحق لنجدة غرناطة ، وهزم النصارى في معركة قوية في ٢٥ ربيع الأول سنة ٦٧٤هـ ،

ووطد لحكم بني الأحمر قرابة مدة مائتين وخمسين عاماً أخرى .  
ومرت سنون طويلة كانت العلاقة تسوء بين بني الأحمر وبين ملك قشتالة ومرة تهدأ الأوضاع ، وكلما ساءت العلاقة وجاءت نذر الحرب استغاث بنو الأحمر بحلفائهم بني مرين الذين كانوا يجوزون البحر في كل مرة ليغيثوا إخوانهم من مجازر النصارى ، حتى سقطت دولة بني مرين وقامت على أنقاضها دولة بين وطاس الضعيفة التي لم تكن بقوة بني مرين ولا تستطيع جواز البحر لنجدة المسلمين هناك .

### ١٠- إتحاد فرديناند وإيزابيلا

وتوحد الأسبان في مملكة واحدة بزواج فرديناند ملك أراغون بإيزابيلا وريثة عرش قشتالة ، واستقر العرش لهما ، وكانا ذوي نزعة صليبية حاقدة ، وكانت غرناطة غارقة في حرب أهلية بين أمير غرناطة أبي الحسن الملقب بالغالب بالله وبين أخيه أبي عبد الله محمد المعروف بالزغل الذي طلب عون النصارى على أخيه أبي الحسن مراراً ، ثم اتفق الأخوان على الهدنة والصلح وأن يبقى أبو عبد الله بمالقة وأحوازها.

وحاول أبو الحسن أن يجدد الهدنة مع قشتالة ولكن الملكين الجديدين رفضا إلا بعد دفع جزية سنوية فرفض أبو الحسن طلبهما وزحف لقلعة الصخرة وفتح مدينة رندة .  
وكان أبو الحسن قد تزوج من عائشة ابنة عمه السلطان أبي عبد الله الأيسر وهي المعروفة بعائشة الحرة ، وكانت قوية الشخصية مع سمو في الروح مع رفيع القيم والمثل ، ورزقت من أبي الحسن بولدين هما : أبو عبد الله محمد ، وأبو الحجاج يوسف ، وكان أبو الحسن قد ترك الجهاد وعشق حياة الدعة وغرق في عشق رومية نصرانية اسمها ثريا .  
وأصبح أبو الحسن أداة سهلة في يد زوجته ثريا التي كانت ذات دهاء وأطماع ، وتريد أن يكون ولدها يحي ولياً للعهد ، وتقدمه على أخيه الأكبر من عائشة الحرة أبي عبد الله ، وتمكنت ثريا من إقناع أبي الحسن بإقصاء عائشة وولديها حتى أقنعته باعتقالهم ، فتم ذلك في برج قمارش أمتع أبراج الحمراء ، وشدد الحجر عليهم ، وانقسم المجتمع الغرناطي إلى فريقين : فريق يؤيد السلطان وثرى ، وفريق يؤيد الأميرة الشرعية عائشة وولديها . ولم تستسلم عائشة الحرة فاتصلت بمؤيديها وتمكنت من الهرب من قصر الحمراء سنة ٨٨٧ هـ وظهرت في وادي آش عند أنصارها .

وقرر فرديناند وإيزابيلا البدء بالحرب بعد أن رأوا أن الحرب الأهلية بدأت تؤتي ثمارها ، واستولوا على مكان اسمه الحامة ، الذي يمهدهم احتلال غرناطة ومالقة معاً ، وتم لهم ذلك ،

ولم يستطع أبو الحسن استردادها ، ونشبت الثورة داخل غرناطة تعاطفاً مع عائشة وولديها ففر أبو الحسن إلى مالقة عند أخيه أبي عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل . وجلس أبو عبد الله محمد مكان أبيه على عرش غرناطة سنة ٨٨٧ هـ ، وعمره ٢٥ سنة ، وأراد أن يحدو حدو المجاهدين فخرج في قوات هزم بها النصارى في عدة معارك ، ولما عاد مثقلاً بالغنائم داهمه النصارى في ظاهر قلعة اللسانة ، فخسر المعركة وأسر على أثرها ، وعاد الجيش دون ملكه . وحاولت غرناطة إعادة أبا الحسن إلى عرشه بدل ابنه الأسير ولكن الإعياء هدمه والمرض فنك به فتنازل عن العرش لأخيه محمد أبي عبد الله الزغل حاكم مالقة . عرضت أم عبد الله الصغير ووالده الذي خشي من مكر فرديناند وخبثه في التلاعب بابنه دفع فدية كبيرة للنصارى مقابل تسليمه لهم فرفض فرديناند ، واستغل فرديناند قلة خبرة أبي عبد الله الصغير وانعدام حزمه وضعف إرادته وطموحه للحكم ليس غير فاتخذة أداة رائعة يوجهها كيف يشاء .

فأقنع فرديناند أبا عبد الله الصغير أن الصلح مع قشتالة خير ، فأرسل أبو عبد الله الصغير من يقنع المسلمين بذلك ، وسير فرديناند في اللحظة ذاتها ينتزع ما يمكن انتزاعه من مملكة غرناطة ، فاحتل رندة سنة ٨٩٠ هـ فهددوا بذلك مالقة من الغرب ، وحاولوا احتلال حصن مكين على مقربة من غرناطة ولكن أبا عبد الله الزغل ردهم .

وفي هذه الأثناء قامت فتنة عاملها الرئيس أبو عبد الله الصغير وحزبه ، حيث دعاه حي البيازين ، فشغل أبو عبد الله الزغل بإحماد الفتنة عن مقاتلة الإسبان ، وفي أخرج الموافق أطلق فرديناند سراح أبي عبد الله الصغير بعد أن وقعه على معاهدة أعلن بها خضوعه وطاعته لملك قشتالة لمدة عامين ، وأن تطبق في جميع البلدان التي تدين بالطاعة لأبي عبد الله الصغير ، وأخذ ييث أبو عبد الله الصغير دعوته في شرق الأندلس ، والحرب الأهلية في غرناطة منذ بداية سنة ٨٩١ هـ .

### ١١- الفتنة

وفي هذه الحروب ضرب القشتاليون الحصون الإسلامية بالأنفاط أي المدافع التي بها صخور من نار فتهلك كل من نزلت عليه وتحرقه ، وحينما نشبت الثورة في حي البيازين أمدوا فريقاً من الثوار بالرجال والأنفاط والبارود .

وفي شوال ٨٩١ هـ ظهر أبو عبد الله الصغير في حي البيازين ومن حوله أنصاره وأمدته فرديناند بالرجال والذخائر والمؤن ، فزادت الفتنة اضطراباً ، واستغل فرديناند الفتنة القاتلة

واحتل بلش مالقة على الرغم من استبسال أهلها في الدفاع عنها بمساعدة الزغل ، فعاد الزغل منها باتجاه غرناطة ليجدها قد خضعت لأبي عبد الله الصغير وتبوأ عرشها في ٥ جمادى الأولى ٨٩٢ هـ ، فارتد الزغل إلى وادي آش ، وبذلك انقسمت مملكة غرناطة إلى قسمين : غرناطة وأعمالها ويحكمها أبو عبد الله الصغير ، ووادي آش وأعماله ويحكمه عمه محمد بن سعد أبو عبد الله الزغل . وهذا ما كان يسعى إليه فرديناند.

وترك فرديناند أبا عبد الله الصغير الخاضع له وبدأ بالأنحاء الشرقية والجنوبية التي تخضع لعمه أبي عبد الله الزغل ، وزحف على مالقة وطوقها براً وبحراً في جمادى الآخرة ٨٩٢ هـ وخاف الزغل أن يسير إلى إنجادها من وادي آش أن يغدر به ابن أخيه ، فاستنجد بسultan مصر الأشرف قايتباي ولكن مالقة سقطت في أواخر شعبان ٨٩٢ هـ ونكث فرديناند بوعوده فغدر بأهل المدينة واسترقهم جميعاً .

ثم سقط ثغر المنكب والمرية عام ٨٩٥ ، فلم يبق ثغر واحد يصل غرناطة بالمغرب ، وتطور سير الأحداث فانضوى الزغل تحت لواء النصارى فقد رأى أنه يغالب المستحيل ، ودخل النصارى وادي آش في صفر ٨٩٥ هـ ، وبقي الزغل يحكم وادي آش تحت حماية ملك قشتالة ، ولم يقبل بهذا الوضع المهين فجاز البحر إلى المغرب ونزل وهران ثم استقر في تلمسان حزيناً على ضياع الأندلس . وبقيت غرناطة آخر القواعد الإسلامية وعلى عرشها أبو عبد الله الصغير تنتظر الضرب القاضية .

ثم أرسل الملكان الكاثوليكيان - فرديناند وإيزابيلا - وفداً يطلبان من أبي عبد الله الصغير تسليم غرناطة فتارت نفسه لهذا الغدر والخيانة وأدرك فداحة الخطأ الذي ارتكبه في مخالفة هذا الملك الغادر فرفض التسليم وقرر الدفاع .

اغتاظ فرديناند وسخط وعاث في بسائط غرناطة وخرب الضياع والقرى ، وجرت ملاحم دموية على أسوار غرناطة ذاتها ، وارتحل فرديناند على أثرها ليرمم القلاع ويشحن الأبراج القريبة من غرناطة استعداداً للمعركة القادمة . ودبت روح المقاومة في غرناطة ، وثار أهل البشرات ، وفتح المسلمون بعض الحصون القريبة من غرناطة .

وسار فرديناند بجيش تراوح ما بين ٥٠-٨٠ ألفاً ، مع مدافع وعدد ضخمة ، وذخائر وأقوات ، وعسكر على مقربة من غرناطة في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٩٦ هـ ، وأتلف القرى والحقول والزرور حتى لا تمد غرناطة بأي طعام ، وحاصر غرناطة المدينة الوحيدة المتبقية من ملك تليد .

### ١٢- القائد موسى بن غسان

وكان دفاع غرناطة من أعجذ ما عرف في تاريخ المدن المحصورة ، ولم يكن هذا الدفاع قاصراً على تحمل ويلات الحصار على مدى أشهر ، بل كان يتعداه إلى ضروب رائعة من الإقدام والبسالة ، فقد خرج المسلمون خلال الحصار لقتال العدو المحاصر مراراً عديدة ، بهاجمونه ويشخونه في مواقعه ، ويفسدون عليه خططه وتدبيره .

وقرر فارس عربي شجاع المقاومة والجهاد إلى آخر رمق وهو موسى بن أبي غسان ، ومن أقواله : ليعلم ملك النصراري أن العربي قد ولد للجواد والرمح ، فإذا طمخ إلى سيوفنا فليكسبها ، وليكسبها غالية ، أما أنا فخير لي قبر تحت أنقاض غرناطة في المكان الذي أموت فيه مدافعاً عنه ، من أفخر قصور نغمها بالخضوع لأعداء الدين .

وتولى موسى قيادة الفرسان المسلمين ، يعاونه نعيم بن رضوان ومحمد بن زائدة ، وتولى آل الثغري حراسة الأسوار ، وتولى زعماء القصبية والحمراء حماية الحصون .

وقطعت غرناطة عما حولها تماماً باستثناء طريق البشيرات الجنوبية من ناحية جبل شلير فجلبت منها بعض الأقوات والمؤن الضرورية ، وحل الشتاء وقلت المؤن والدخائر ، ودخل الوزير المسؤول عن غرناطة أبو القاسم عبد الملك مجلس أبي عبد الله الصغير وقال :

إن المؤن الباقية لا تكفي إلا لأمد قصير ، وإن اليأس قد دبّ إلى قلوب الجنود والعامّة ، والدفاع عبث لا يجدي

ولكن موسى بن أبي غسان قرر الدفاع ما أمكن ، فقال للفرسان : لم يبق لنا سوى الأرض التي نقف عليها ، فإذا فقدناها فقدنا الاسم والوطن . وزحف فرديناند على أسوار المدينة المحاصرة ، فخرج المسلمون إلى لقائه ، وكان القتال رائعاً ، ولكن مشاة المسلمين لم يصمدوا ، فأوصد المسلمون أبواب غرناطة ، وامتنعوا خلف أسوارها يلاقون قدر تمزقهم .

استمر الحصار سبعة أشهر ، واشتد الجوع والحرمان والمرض ، وأعيد تقويم الموقف في بهو الحمراء فأقر المملأ التسليم إلا موسى بن أبي غسان الذي قال مجزم : لم تنضب كل مواردنا بعد .. ولنقاتل العدو حتى آخر نسمة ، وإنه لخير لي أن أحصى بين الذي ماتوا دفاعاً عن غرناطة من أن أحصى بين الذين شهدوا تسليمها . وكانت هذه الكلمات تخاطب يائسين قرروا المفاوضة والتسليم .

وكلف بهذه المهمة الوزير أبو القاسم عبد الملك في أواخر سنة ٨٩٦ هـ فاوض الوزير أبو القاسم فرناندو دي فافرا وجونز الفودي كردوفا ، فوضعوا معاهدة وافق عليها أبو عبد الله

الصغير وفرديناند في ٢١ اخرم ٧٩٨ هـ ، واشترط المسلمون أن يوافق البابا على الالتزام والوفاء بالشرط إذا مكثوا النصارى من حمراء غرناطة والمعاقلة والحصون ويحلف على عادة النصارى في العهود .

### ١٣ - خداع النصارى لمسلمي الأندلس

وفي ثاني ربيع الأول من السنة نفسها استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان رهناً خوفاً من الغدر ، وكانت الشروط سبعة وستين ، منها :

- تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال .
- إبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم .
- إقامة شريعتهم على ما كانت .
- لا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم .
- أن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك .
- أن لا يدخل النصارى دار مسلم .
- لا يغضبوا أحداً .
- أن لا يولى على المسلمين نصراني ولا يهودي ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل .
- أن يفك جميع من أسر في غرناطة من حيث كانوا .
- أن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم ويسير المسلم في بلاد النصارى آمناً في نفسه وماله .
- لا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه .

### إقتداء النصارى بابليس

نعلم نحن المسلمين أن إبليس اللعين حاول جاهداً مرارا وتكرارا أن يخدع آدم عليه السلام وزوجته السيدة حواء ليأكلا من الشجرة التي نهاهما الحق سبحانه وتعالى عنها إلا أنه فشل فشلا ذريعا ؛ فلما ضاق بهما زرعا ورآى أنهما يؤمنان بالله جل وعلا وليس لديهما استعداد ان يخالفا له جل وعلا أمرا ؛ فلم يجد بدا إلا أن يدخل لهما من هذه الناحية فأقسم لهما بالله انه لهما لمن الناصحين ، وكان آدم عليه السلام والسيدة حواء لا يظنان ولو مجرد الظن ان أحدا يقسم بالله جل وعلا كذبا والعجيب ان النصارى اقتدوا بابليس . لأنه لما أنس فرديناند



وايزابيلا ريب المسلمين وتوجسهم من عدم إخلاص النصارى في عهودهم أعلننا في يوم ٢٩ نوفمبر مع قسم رسمي بالله أن جميع المسلمين سيكون لهم مطلق الحرية في العمل في أراضيهم ، أو حيث شاؤوا ، وأن يحتفظوا بشعائر دينهم ومساجدهم كما كانوا ، وأن يسمح لمن شاء منهم بالهجرة إلى المغرب .

وأما فارس الأندلس موسى بن أبي غسان فرفض وقال للزعماء حينما اجتمعوا ليقعوا على قرار التسليم : اتركوا العويل للنساء والأطفال ، فحن رجال لنا قلوب لم تخلق لإرسال الدمع ، ولكن لتقطر الدماء ، وإني لأرى روح الشعب قد خبت حتى ليستحيل علينا أن نقتذ غرناطة ، وسوف تحتضن أمنا الغبراء أبناءها أحراراً من أغلال الفاتح وعسفه ، ولنن لم يظفر أحدنا بقبر يستر رفاته فإنه لن يعدم سماء تغطيه ، وحاشا لله أن يقال إن أشرف غرناطة خافوا أن يموتوا دفاعاً عنها .

وساد سكون الموت في ردهة قصر الحمراء ، واليأس مائل في الوجوه ، عندئذ صاح أبو عبد الله الصغير : الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله ، و لا اراد لقضاء الله ، تالله لقد كتب لي أن أكون شقياً ، وأن يذهب الملك على يدي .

ونفض موسى وصاح : لا تتدعوا أنفسكم ، ولا تظنوا أن النصارى سيوفون بعهدهم ، ولا تركنوا إلى شهامة ملكهم ، إن الموت أقل ما نخشى ، فأماننا نهب مدنا وتدميرها ، وتدنيس مساجدها ، وتخريب بيوتنا ، وهتك نساتنا وبناتنا ، وأماننا الجور الفاحش ، والتعصب الوحشي ، والسياط والأغلال ، وأماننا السجون والأنطاق والمخارق ، هذا ما سوف نعاني من مصائب الموت الشريف ، أما أنا فوالله لن أراه .

ثم غادر غرناطة واخترق بهو الأسود عابساً حزيناً ، فوصل داره ، ولبس سلاحه ، وسار على جواده مخترقاً شوارع غرناطة ، وعلى ضفة نهر شنيل قابل موسى سرية من الفرسان النصارى تبلغ نحو الخمسة عشر ، فطلبوا إليه أن يقف ، وأن يعرف بنفسه ، فلم يجب ، بل وثب إلى وسطهم وانقض ينخن فيهم طعاناً ، وكانت ضرباته قاتلة ، حتى أفنى معظمهم ، غير أنه أصيب في النهاية بجرح أسقطه عن جواده ، ولكنه ركع على ركبتيه واستل خنجره وأخذ يجاهد عن نفسه ، فلما رأى أن قواه قد نصبت ولم يرد أن يقع أسيراً في يد خصومه ارتد إلى الوراء بوثة أخيرة فسقط في مياه نهر شنيل فدفعه سلاحه الثقيل إلى الأعماق .

وفي يوم ٢٠ ديسمبر أرسل أبو عبد الله الصغير وزيره يوسف بن كماشة إلى فرديناند مع رهائن من الأعيان ووجوه القوم مع بعض الهدايا ، واتفق مع ملك قشتالة على تسليم المدينة

في الثاني من ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ ، وأرسل فرديناند المطران مندوسا ليحتل قصر الحمراء وليمهد الطريق لمقدم الموكب الملكي ، وما كاد النصرى يجوزون إلى داخل القصر حتى رفعوا فوق برج الأعلی صليباً فضياً كبيراً ، وأعلن من فوق البرج أن غرناطة أصبحت ملكاً للملكين الكاثوليكين .

ودخل فرديناند وإيزابيلا قصر الحمراء مع فرقة رهبان ترتل . وهكذا انتهت آخر الحواضر الإسلامية في إسبانية ، أما أبو عبد الله الصغير فقد خرج وأسرته ليستقروا في البشترات حاكماً باسم فرديناند وتحت حمايته ، وغادر غرف القصر وأهائه وهو يحتبس الزفرات في صدره ، وسار بركب حزين ، وعلى ضفة نهر شنيل التقى مع فرديناند وقدم إليه أبو عبد الله مفاتيح الحمراء قائلاً : إن هذه المفاتيح هي الأثر الأخير لدولة العرب في إسبانية ، ولقد أصبحت أيها الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا ، وهكذا قضى الله ، فكان في ظفرك رحيماً عادلاً .

ثم سار مع فرديناند حيث إيزابيلا فقدم الطاعة والتحيات ، واتجه إلى طريق البشترات ، وفي شعب ( بل البذول أو بادول ) أشرف على غرناطة فأجهش بالبكاء فصاحت به أمه عائشة الحرة : أجل ، فلنبتك كالنساء ملكاً لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال .

وبعد شهر من مصرع غرناطة غادر أبو عبد الله الصغير إلى المغرب مع أسرته وأمواله ونزل مدينة مليلة ، ثم استقر في فاس ، في دولة بني وطاس ، بعد أن عجل بوقوع مأساة غرناطة بالجنوح إلى الدعة والخمول والحرب الأهلية ، وترك شؤون الدفاع والعدو من ورائه متربص متوثب يرقب الفروض .

أما النصرى فقد نقضوا العهود ومنعوا المسلمين من النطق بالعربية في الأندلس ، وفرضوا إجلاء العرب الموجودين فيها ، وحرق من بقي منهم ، وأمر الكردينال (كمينس) بجمع كل ما يستطيع جمعه من الكتب العربية وأحرقها .

وأجبر المسلمون على اعتناق النصرانية ، ولما قاوموا التنصير وأبوه اعتبروا ثواراً متصلين بالمغرب والقاهرة ، وبدأ القتل فيهم ، فثاروا بالفعل في غرناطة والبيازين والبشترات ، فمزقوا بلا رأفة .

وفي ٢٠ يولييه ١٥٠١ أصدر الملك فرديناند وإيزابيلا أمراً خلاصته : إنه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة فإنه يحظر وجود المسلمين فيها .. ويعاقب المخالفون بالموت أو مصادرة الأموال . فهاجرت جموع المسلمين إلى المغرب ناجية بدينها ومن بقي من المسلمين أخفى إسلامه وأظهر تنصره فبدأت محاكم التفتيش نشاطها الوحشي المروع .

## ١٤- تعذيب النصارى للمسلمين بلا رحمة

وبعد سقوط غرناطة -آخر قلاع المسلمين في إسبانيا- سنة (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م)، كان ذلك نذيراً بسقوط صرح الأمة الأندلسية الديني والاجتماعي، وتبدد تراثها الفكري والأدبي، وكانت مأساة المسلمين هناك من أقطع مآسي التاريخ؛ حيث شهدت تلك الفترة أعمالاً بربرية وحشية ارتكبتها محاكم التحقيق (التفتيش)؛ لتطهير أسبانيا من آثار الإسلام والمسلمين، وإبادة تراثهم الذي ازدهر في هذه البلاد زهاء ثمانية قرون من الزمان . وهاجر كثير من مسلمي الأندلس إلى الشمال الإفريقي بعد سقوط مملكتهم؛ فراراً بدينهم وحرمتهم من اضطهاد النصارى لأسبان لهم .

وعادت أسبانيا إلى دينها القديم، أما من بقي من المسلمين فقد أجبر على التنصر أو الرحيل، وأفضت هذه الروح النصرانية المتعصبة إلى مطاردة وظلم وترويع المسلمين العزل، انتهى بتنفيذ حكم الإعدام ضد أمة ودين على أرض أسبانيا ونشط ديوان التحقيق أو الديوان المقدس الذي يدعمه العرش والكنيسة في ارتكاب الفظائع ضد الموريسكيين (المسلمين المنتصرين)، وصدرت عشرات القرارات التي تحول بين هؤلاء المسلمين ودينهم ولغتهم وعاداتهم وثقافتهم، فقد أحرق الكردينال "هينيث" عشرات الآلاف من كتب الدين والشريعة الإسلامية، وصدق الحق حين قال ( إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء.....

وصدر أمر ملكي يوم (٢٢ ربيع أول ٩١٧ هـ/ ٢٠ يونيو ١٥١١) يلزم جميع السكان الذي تنصروا حديثاً أن يسلموا سائر الكتب العربية التي لديهم، ثم تتابعت المراسيم والأوامر الملكية التي منعت التخاطب باللغة العربية وانتهت بفرض التنصير الإجباري على المسلمين، فحمل التعلق بالأرض وخوف الفقر كثيراً من المسلمين على قبول التنصر ملاًداً للنجاة، ورأى آخرون أن الموت خير ألف مرة من أن يصبح الوطن العزيز مهدداً للكفر، وفر آخرون بدينهم، وكتبت نهايات متعددة لمأساة واحدة هي رحيل الإسلام عن الأندلس .

وإليك عزيزي القارئ صورة قامت بها محاكم التفتيش ضد الدستور الأعلى للمسلمين وهو القرآن الكريم ليدل على أنهم يعلمون علم اليقين بأن القرآن هو المنهج الأسمى والأرقى ولكنهم ييغونها عوجا ويصرون على العيش والبقاء في ظلمات لتوافق ظلمات أنفسهم وعقولهم فهم يخشون من النور الذي يفضح خباياهم ويظهر عيوبهم .

ولترى عزيزى القارئ بعينيك مدى السعادة والغبطة في عيونهم وهم يحرقون المصاحف ( قاتلهم الله ) والعجيب لا ندرى لماذا يكون كل هذا الحقد لنا ولكتابنا القرآن الكريم رغم أنه ما عاملهم أحد بالحسنى إلا المسلمين فاليهود كثيرا ما ساموهم سوء العذاب والتاريخ يشهد بذلك .



فهذه صورة للوحة زيتية قديمة تظهر إحراق المصاحف والكتب الإسلامية من قبل أعضاء محاكم التفتيش في أسبانيا

## ١٥ - محاكم التفتيش

توفي فرناندو الخامس ملك إسبانيا في (١٧ ذي الحجة ٩٢١ هـ = ٢٣ يناير ١٥١٦ م) وأوصى حفيده شارل الخامس بحماية الكاثوليكية والكنيسة واختيار الخققين ذوي الضمائر الذين يخشون الله لكي يعملوا في عدل وحزم لخدمة الله، وتوطيد الدين الكاثوليكي، كما يجب أن يستحقوا طائفة محمد !

وقد لبث " فرناندو " زهاء عشرين عامًا بعد سقوط الأندلس يتزل العذاب والاضطهاد بمن بقي من المسلمين في أسبانيا.

وكانت أداته في ذلك محاكم التحقيق التي أنشئت بمرسوم بابوي صدر في (رمضان ٨٨٨ هـ = أكتوبر ١٤٨٣ م) وعين القس "توماس دي تركيمادا" محققًا عامًا لها ووضع دستورًا لهذه المحاكم الجديدة وعددًا من اللوائح والقرارات .

وقد مورست في هذه المحاكم معظم أنواع التعذيب المعروفة في العصور الوسطى، وأزهقت آلاف الأرواح تحت وطأة التعذيب، وقلما أصدرت هذه المحاكم حكمًا بالبراءة، بل كان الموت والتعذيب الوحشي هو نصيب وقسمة ضحاياها، حتى إن بعض ضحاياها كان ينفذ فيه حكم الحرق في احتفال يشهده الملك والأحبار، وكانت احتفالات الحرق جماعية، تبلغ في بعض الأحيان عشرات الأفراد،

وكان فرناندو الخامس من عشاق هذه الحفلات، وكان يمتدح الأحبار الخققين كلما نظمت حفلة منها. وبث هذا الديوان منذ قيامه جوارًا من الرهبة والخوف في قلوب الناس، فعمد بعض هؤلاء الموريسكيين إلى الفرار، أما الباقي فأبت الكنيسة الكاثوليكية أن تؤمن بإخلاصهم لدينهم الذي أجبروا على اعتناقه ؛ لأنها لم تقتنع بتنصير المسلمين الظاهري، بل كانت ترمي إلى إبادةهم .

واليك عزيزي القارئ صورة أخرى لما كان يقوم به الأسبان من إحراق جماعي وإبادة جماعية للمسلمين حتى بعدما قاموا بتنصيرهم .



© 1997 The Learning Company, Inc.



وليس هذا فحسب بل إنهم كانوا يقيمون الإحتفالات لحرق المسلمين والمخزن أنها بأمر من البابوات . ونقول مخزن لأن البابوات ينبغي أن يكونوا أكثر رحمة ورقة من غيرهم فهم يزعمون أنهم خلفاء المسيح عليه السلام الذى دعا إلى الرحمة والتسامح ألم يقولوا أنه عليه السلام قال : من لطمك على خدك الأيمن فادر له خدك الايسر ؟ فاين الرحمة والشفقة اذن ؟



صورة لبعض اللوحات الزيتية لبعض حفلات إحراق المسلمين في الأندلس من قبل محاكم التفتيش

### ١٦ - شارل الخامس والتنصير الإجباري

تنفس المورييسكيون (المسلمون المنصرون قسراً) الصعداء بعد موت فرناندو وهبت عليهم رياح جديدة من الأمل، ورجوا أن يكون عهد "شارل الخامس" خيراً من سابقه، وأبدى الملك الجديد - في البداية - شيئاً من اللين والتسامح نحو المسلمين والمورييسكيين، وجنحت محاكم التحقيق إلى نوع من الاعتدال في مطاردتهم، وكفت عن التعرض لهم بسبب توسط النبلاء والسادة الذين يعمل المسلمون في ضياعهم.

ولكن هذه السياسة المعتدلة لم تدم سوى بضعة أعوام، وعادت العناصر الرجعية المتعصبة في البلاط وفي الكنيسة، فغلبت كلمتها، وصدر مرسوم بابوي في (١٦ جمادى الأولى ٩٣١ هـ = ١٢ مارس ١٥٢٤م) يحتم تنصير كل مسلم بقي على دينه، وإخراج كل من أبي

النصرانية من إسبانيا، وأن يعاقب كل مسلم أبي التنصر أو الخروج في المهلة الممنوحة بالرق مدى الحياة، وأن تحول جميع المساجد الباقية إلى كنائس .

ولما رأى الموريسكيون هذا التطرف من الدولة الإسبانية، استغاثوا بالإمبراطور شارل الخامس، وبعثوا وفدًا منهم إلى مدريد ليشرح له مظالمهم، فندب شارل محكمة كبرى من النواب والأحبار والقادة وقضاة التحقيق، برئاسة الخقق العام لتتظفر في شكوى المسلمين، ولتقرر ما إذا كان التنصير الذي وقع على المسلمين بالإكراه، يعتبر صحيحًا ملزمًا، بمعنى أنه يجتنب عقاب المخالف بالموت .

وقد أصدرت المحكمة قرارها بعد مناقشات طويلة، بأن التنصير الذي وقع على المسلمين صحيح لا تشوبه شائبة؛ لأن هؤلاء الموريسكيين سارعوا بقبوله اتقاء لما هو شر منه، فكانوا بذلك أحرارًا في قبوله .

وعلى أثر ذلك صدر أمر ملكي بأن يرغم سائر المسلمين الذين تنصروا كرهًا على البقاء في إسبانيا، باعتبارهم نصارى، وأن ينصر كل أولادهم، فإذا ارتدوا عن النصرانية، قضى عليهم بالموت أو المصادرة، وقضى الأمر في الوقت نفسه، بأن تحول جميع المساجد الباقية في الحالة إلى كنائس .

وكان قدر هؤلاء المسلمين أن يعيشوا في تلك الأيام الرهيبة التي ساد فيها إرهاب محاكم التحقيق، وكانت لوائح المنوعات ترد تباعًا، وحوت أوامر غريبة منها: حظر الختان، وحظر الوقوف تجاه القبلة، وحظر الإستحمام والإغتسال، وحظر ارتداء الملابس العربية. ولما وجدت محكمة تفتيش غرناطة بعض المخالفات لهذه اللوائح، عمدت إلى إثبات تهديدها بالفعل، وأحرقت اثنين من المخالفين في (شوال 936 هـ/ مايو ١٥٢٩م) في احتفال ديني . وإليك صورة مما قام به البابوات من إحراق المسلمين بناء على أوامر محاكم التفتيش وتحت سمع وبصر الكنيسة وهنا نذكر ما قالوه في المنجبل متى زاعمين انه على لسان المسيح والان ظهر لنا جليا انه من زعمهم هم لانهم قالوا فيه " اتظنون اني جئت لالقي سلاما بل جئت لألقي نارا





صورة للوحة زيتية قديمة تظهر إحراق مسلمين في أثناء حفل ديني

### ١٧ - وشهد شاهد من أهلها

وبعد مرور أربعة قرون على سقوط الأندلس، أرسل نابليون حملته إلى أسبانيا وأصدر مرسوماً سنة ١٨٠٨ م بإلغاء دواوين التفتيش في المملكة الأسبانية .

ولنستمع إلى هذه القصة التي يرويها لنا أحد ضباط الجيش الفرنسي الذي دخل إلى إسبانيا بعد الثورة الفرنسية ( كتب الكولونيل ليموتسكي) أحد ضباط الحملة الفرنسية في إسبانيا قال: " كنت سنة ١٨٠٩ ملحقاً بالجيش الفرنسي الذي يقاتل في إسبانيا وكانت فرقتي بين فرق الجيش الذي احتل (مدير العاصمة ) وكان الإمبراطور نابليون أصدر مرسوماً سنة ١٨٠٨ بإلغاء دواوين التفتيش في المملكة الإسبانية غير أن هذا الأمر أهمل العمل به للحالة والإضطرابات السياسية التي سادت وقتئذ وصمم الرهبان الجزوبت أصحاب الديوان الملغى على قتل وتعذيب كل فرنسي يقع في أيديهم انتقاماً من القرار الصادر وإلقاء للرعب في قلوب الفرنسيين حتى يضطروا إلى إخلاء البلاد فيخلوا لهم الجور.

وبينما أسير في إحدى الليالي أجتاز شارعاً يقل المرور فيه من شوارع مدريد إذ باثنين مسلحين قد هجما عليّ يبغيان قتلي فدافعت عن حياتي دفاعاً شديداً ولم ينجني من القتل إلا قدوم سرية من جيشنا مكلفة بالتطواف في المدينة وهي كوكبة من الفرسان تحمل المصابيح وتبيت الليل ساهرة على حفظ النظام .

فما أن شاهدها القاتلان حتى لاذا بالهرب. وتبين من ملابسهما أنهما من جنود ديوان التفتيش فأسرت إلى (المارشال سولت) الحاكم العسكري لمدير وقصصت عليه النبأ وقال لا شك بأن من يقتل من جنودنا كل ليلة إنما هو من صنع أولئك الأشرار لا بد من معاقبتهم وتنفيذ قرار الإمبراطور بحل ديوانهم والآن خذ معك ألف جندي وأربع مدافع وهاجم دير الديوان واقبض على هؤلاء الرهبان الأبالسة "

وحدث إطلاق نار من اليسوعيين حتى دخلوا عنوة ثم يتابع قاتلاً " أصدرت الأمر لجنودي بالقبض على أولئك القساوسة جميعاً وعلى جنودهم الحراس توطئة لتقدمهم إلى مجلس عسكري ثم أخذنا نبحت بين قاعات وكراس هزازة وسجاجيد فارسية وصور ومكاتب كبيرة وقد صنعت أرض هذه الغرفة من الخشب المصقول المدهون بالشمع وكان شذى العطر يعبق أرجاء الغرف فتبدو الساحة كلها أشبه بأبهاء القصور الفخمة التي لا يسكنها إلا ملوك قصرها حياتهم على الترف واللهو، وعلمنا بعد أن تلك الروائح المعطرة تنبعث من شمع يوقد أمام صور الرهبان ويظهر أن هذا الشمع قد خلط به ماء الورد

" وكادت جهودنا تذهب سدى ونحن نحاول العثور على قاعات التعذيب، إننا فحطنا الدير وممراته وأقبيته كلها. فلم نجد شيئاً يدل على وجود ديوان للتفتيش. فعزمنا على الخروج من

الدير يائسين، كان الرهبان أثناء التفتيش يقسمون ويؤكدون أن ما شاع عن ديرهم ليس إلا قهراً باطلة، وأنشأ زعيمهم يؤكد لنا براءته وبراءة أتباعه بصوت خافت وهو خاشع الرأس، توشك عيناه أن تطفر بالدموع، فأعطيت الأوامر للجنود بالاستعداد لمغادرة الدير، لكن "دي ليل" استمهلني قائلاً ( :أيسمح لي الكولونيل أن أخبره أن مهمتنا لم تنته حتى الآن ؟ . قلت له: فتشنا الدير كله، ولم نكتشف شيئاً مريباً. فماذا تريد يا لفتنانت؟! .. قال : إنني أرغب أن أفحص أرضية هذه الغرف فإن قلبي يحدثني بأن السرتحتها عند ذلك نظر الرهبان إلينا نظرات قلقة، فأذنت للضابط بالبحث، فأمر الجنود أن يرفعوا السجاجيد الفاخرة عن الأرض، ثم أمرهم أن يصبوا الماء بكثرة في أرض كل غرفة على حدة -وكانا نرقب الماء - فإذا بالأرض قد ابتلعت في إحدى الغرف. فصفق الضابط "دي ليل" من شدة فرحه.

وقال ها هو الباب، انظروا، فنظرنا فإذا بالباب قد انكشف، كان قطعة من أرض الغرفة، يُفتح بطريقة مكررة بواسطة حلقة صغيرة وضعت إلى جانب رجل مكتب رئيس الدير أخذ الجنود يكسرون الباب بقهوف البنادق، فاصفرت وجوه الرهبان، وعلتها الغيرة. وُفتح الباب، فظهر لنا سلم يؤدي إلى باطن الأرض، فأسرعت إلى شجرة كبيرة يزيد طولها على متر، كانت تضيء أمام صورة أحد رؤساء محاكم التفتيش السابقين، ولما هممت بالتزول، وضع راهب يسوعى يده على كتفي متلطفاً، وقال لي: يا بني: لا تحمل هذه الشمعة بيدك الملوثة بدم القتال، إنما شمعة مقدسة .

قلت له، يا هذا إنه لا يليق بيدي أن تتحسس بلمس شمعتكم المملوطة بدم الأبرياء، وسنرى من النجس فينا، ومن القاتل السفاك؟! . !

وهبطت على درج السلم يتبعني سائر الضباط والجنود، شاهرين سيوفهم حتى وصلنا إلى آخر الدرج، فإذا نحن في غرفة كبيرة مرعبة، وهي عندهم قاعة المحكمة، في وسطها عمود من الرخام، به حلقة حديدية ضخمة، وربطت بها سلاسل من أجل تقييد المخاكمين بها وأمام هذا العمود كانت المصطبة التي يجلس عليها رئيس ديوان التفتيش والقضاة لحاكمية الأبرياء. ثم توجهنا إلى غرف التعذيب وتمزيق الأجسام البشرية التي امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض رأيت فيها ما يستفز نفسي، ويدعوني إلى القشعريرة والتفزز طوال حياتي.



ورأينا غرفاً صغيرةً في حجم جسم الإنسان، بعضها عمودي وبعضها أفقي، فيبقى سجين  
 الغرف العمودية واقفاً على رجليه مدة سجنه حتى يموت، ويبقى سجين الغرف الأفقية ممدداً بها  
 حتى الموت، وتبقى الجثث في السجن الضيق حتى تبلى، ويتساقط اللحم عن العظم، وتأكله  
 الديدان، ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة إلى الفضاء  
 الخارجي

وقد عثرنا في هذه الغرف على هياكل بشرية مازالت في أغلالها كان السجناء رجالاً ونساءً،  
 تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة عشرة والسبعين، وقد استطعنا إنقاذ عدد من السجناء  
 الأحياء، وتحطيم أغلالهم، وهم في الرمق الأخير من الحياة .  
 وكان بعضهم قد أصابه الجنون من كثرة ما صبوا عليه من عذاب، وكان السجناء جميعاً  
 عرايا، حتى اضطر جنودنا إلى أن يخلعوا أردبتهم ويسترها بها بعض السجناء أخرجنا السجناء  
 إلى النور تدريجياً حتى لا تذهب أبصارهم، كانوا يكون فرحاً، وهم يقبلون أيدي الجنود  
 وأرجلهم الذين أنقذوهم من العذاب الرهيب، وأعادوهم إلى الحياة، كان مشهداً يبكي  
 الصخور .



وهذه واحدة من الصور التي التقطها



صور للوحات زيتية قديمة تظهر عمليات التعذيب البشعة التي تعرض لها المسلمون من قبل  
محاكم التفتيش في الأندلس



وهذا تابوت السيدة الجميلة

وهو عبارة عن آلة أخرى للتعذيب وهي على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة كانوا يلقون الشاب المعذب في هذا التابوت، ثم يطبقون بابه بسكاكينه وخناجره. فإذا أغلق مزق جسم المعذب المسكين، وقطعه إرباً إرباً.



وهذه صورة للوحة قديمة تبين عملية تعذيب أعضاء ديوان التفتيش لضحاياهم حتى الموت



صورة للوحة قديمة تبين أحد عمليات التعذيب التي كان يتعرض لها المسلمون وذلك  
 بإجبارهم على شرب كميات كبيرة من الماء حتى تنفجر معدتهم ليموتوا





صورة للوحة قديمة تبين أحد عملية تعذيب لأحد النساء المسلمات في الأندلس  
 ثم انتقلنا إلى غرف أخرى، فرأينا فيها ما تقشعر لهوله الأبدان، عثرنا على آلات رهيبة  
 للتعذيب، منها آلات لتكسير العظام، وسحق الجسم البشري، كانوا يبدؤون بسحق عظام  
 الأرجل، ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجياً، حتى يهشم الجسم كله، ويخرج من الجانب  
 الآخر كتلة من العظام المسحوقة، والدماء الممزوجة باللحم المفروم.  
 هكذا كانوا يفعلون بالسجناء الأبرياء المساكين، ثم عثرنا على صندوق في حجم جسم رأس  
 الإنسان تماماً، يوضع فيه رأس الذي يريدون تعذيبه بعد أن يربطوا يديه ورجليه بالسلاسل  
 والأغلال حتى لا يستطيع الحركة، وفي أعلى الصندوق ثقب تتقاطر منه نقط الماء البارد على  
 رأس المسكين بانتظام، في كل دقيقة نقطة، وقد جُنّ الكثيرون من هذا اللون من العذاب،  
 وبقى المعذب على حاله تلك حتى يموت



صورة لكرسي حديدي له مسامير حادة لتعذيب الضحية حتى الموت  
 كما عثرنا على آلات كالكلاليب تفرز في لسان المعذب ثم تشد ليخرج اللسان معها، ليقص  
 قطعة قطعة، وكلاليب تغرس في أئداء النساء وتسحب بعنف حتى تنقطع الأئداء أو تبتسر  
 بالسكاكين وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يُضرب بها المعذبون وهم عراة حتى تنفتت  
 عظامهم، وتنتثر أثر لحومهم .  
 وصل الخبر إلى مدريد فهب الألوף ليروا وسائل التعذيب فأمسكوا برئيس اليسوعيين  
 ووضعوه في آلة تكسير العظام فدقت عظامه دقاً وسحقها سحقاً وأمسكوا كاتم سره وزفوه  
 إلى السيدة الجميلة وأطبقوا عليه الأبواب فمزقته السكاكين شر ممزق ثم أخرجوا الجثتين

وفعلوا بسائر العصاة وبقية الرهبان كذلك. ولم تمض نصف ساعة حتى قضى الشعب على  
حياة ثلاثة عشر راهباً ثم أخذ ينهب ما بالدير. ززززززززز

## الباب الرابع عشر

### الصهاينة ومذابم فلسطين

#### أولا : فما أصل اسم فلسطين ؟

تمهيد :-

يرجع المؤرخون أن كلمة فلسطين إلى رأيين الأول :- حاول الغرب أن يدسونه بين السطور كعادتهم وهم يلبسون الحق بالباطل ليلبسوا على الناس الامور فقالوا عن الفلسطينيين:  
١- أنهم أناس قدموا من جزيره ( ببحر أيجه ) والمقصود هنا البحر المتوسط و الجزيره ( قبرص ) وقالوا أن اسم القبائل كان ( البالست ) و عربت إلى أن اصبحت ( الفالسط ) وقام بطرح هذا الإحتمال مؤرخون من أصول صهيونية وأميركية وأوروبية ولذا يجب الحذر من مثل هذه الإقتراحات .

أما الرأى الثانى :- والذي قدمه المؤرخون العرب عن الفلسطينيين فقالوا:

٢- أنهم عرب من شبه الجزيره العربيه إسمهم قبائل الفلستر و قد سموا بهذا الإسم لأنهم أول من استخدم النقد بالتبادل التجاري ( أي الفلوس و منه الفلوس ) وبعدها اكتشفو خصوبة التربه بالأرض التي استقروا فيها فعملوا بالزراعه فتمت تسميتهم بالفلسطينيين اي فلس (النقد) و الطين( الزراعه) فلسطين. مما يدل على براعتهم فقد كانوا تجارين وحتى لا يستغلهم احد قاموا هم بزراعة الأرض حتى يكونوا هم المتحكمون فى المصدر والسوق .

#### ثانيا : أهمية القدس وفضلها:-

أما القدس ..زهرة المدائن ومهبط الأنبياء فيها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبي الكريم صلي الله عليه وسلم فهي قلب العالم الإسلامي من أجلها خاضوا الحروب والغمار ومن أجل سلامتها تدفقت الدماء ومن أجل تحريرها من دنس الغاصبين قدمت الأرواح فداء الله .

واليوم القدس تتعرض لحنة عبر المفاوضات فالجانب الإسرائيلي المتغطرس يريد ابتلاع القدس وتهويد المدينة المقدسة والجانب الفلسطيني يرفض علي استحياء مع أن الكل يعلم أن اليهود لا يجدى معهم سلام ولا يفيد معهم مفاوضات فالقدس لن تعود إلا من خلال الجهاد في سبيل الله وفي محاولة منا لتعريف الأجيال المسلمة أهمية القدس وفضلها كانت

تلك الكلمات عن تاريخ القدس وفضل المسجد الأقصى فالقدس تعريفه في اللغة: هو البيت المتزه، أو المطهر. وقيل : الأرض المباركة. انظر معجم البلدان ١٦٦/٥ ولقد سكنت القبائل العربية بيت المقدس منذ عهد بعيد فقد استوطنها العموريون والأراميون والكنعانيون وكان اسمها آنذاك ( ييوس ) نسبة لليوسيين وهم بطن من بطون العرب ثم اطلق عليه بعد ذلك اسم " يور سالم " الذي تطور الى " أور شاليم " ثم استوطنها الأشوريون والبابليون ثم الفرس فالإغريق فالرومان الذين اطلقوا عليها " إيلياء " إلى أن فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب عام ١٥ هجرية وبقيت في أيدي المسلمين إلى أن احتلها الصليبيون عام ٤٩٢ هجرية وبقي القدس اسير الصليبيين الى ان اسنعيدت الى المسلمين على يد صلاح الدين الأيوبي بعد حطين عام ٥٣٥ هجرية والى الان وهي تتعرض للاحتلال بين الحين والآخر وكأنها الترمومتر لايمان المسلمين فحين تضعف شوكة المسلمين يقتنصها اليهود منهم وحين تقوى عزيمة المسلمين ويتمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم يعيدوها وينعموا بالصلاة فيها فقد تسلمها الفاروق عمر بن الخطاب وحررها فيما بعد الناصر صلاح الدين فمن لها الان ؟

### ثالثاً: بناء المسجد الأقصى

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً ؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي ؟ قال: المسجد الأقصى، قلت : كم كان بينهما ؟ قال: أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصل، فإن الفضل فيه .  
ومن المعلوم أن الكعبة كانت مبنية قبل إبراهيم عليه السلام. وعليه فإن المسجد الأقصى لا يُدرى من بناه، وأن سليمان جدّ بنائه كما جدد إبراهيم عليه السلام بناء الكعبة ولم يثبت عن النبي شيء في تعيين بنائه.  
و من فضائل المسجد الأقصى : أن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى به إليه ، وعُرج به منه إلى السماء قال تعالى ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله )  
وأنه في أرض مباركة قال تعالى عنها : ونجيناها ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين .  
وفي مسند أحمد ٤٦٣/٦ وسنن ابن ماجه ٤٢٩/١ عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: يا نبي الله أفنتا في بيت المقدس فقال : أرض المنشر والحشر اتتوه فصلوا فيه ..

وهو أولى القبلتين، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إليه في بداية فرض الصلاة، ثم أمر بالتحول إلى الكعبة.

#### رابعاً: كلمة حق من أجل فلسطين:

عزيزي القارئ اقتطفت لك مقالين كتبهما محبون لله جل وعلا ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولدينه كما أنهما مثل كل المسلمين غيورين على أوطان المسلمين فيها نقرأهما سوياً لعل الله جل وعلا ينفعنا بما فيهما أو لعلهما يحرران مشاعرنا تجاه الأرض المقدسة اذكرهما بتصريف يسير فالأول يقول :

أحبائي الكرام أيهيغ نفوسكم ويؤلمكم حبيب يعرض عنكم ؟ أو ليلة وصال منه تحسرونها ؟ أو ابتسامة يحجب عنكم نورها ؟ ولا يؤلمكم أمة في فلسطين تضيع بقضها وقضيضها، يهاجمها في عقر دارها أذل شعب وأخسه وأهونه على الله والتاريخ يستلب بالثمن الغالي أرضها؟! ألا يؤلمكم أن تصبحوا يوماً فتجدوا أن فلسطين صارت لغيركم وأنكم صرتم غرباء في أرضكم أو تائهين مشردين في أرض الناس؟!!

فبما أن الأدب هو محرك الشعوب، ومثير الهمم، وباعث العزائم، وبما أن الأدب يوقظ النائم، وينبه الغافل، فأين أنتم يا أدباء العرب من قضية فلسطين؟ إن خطبة طارق بن زياد فتحت الأندلس، فأين القصائد الفلسطينية؟ أين الأقلام الحرة المؤمنة التي يتطوع أصحابها ليكونوا جنوداً في معركة فلسطين: تصف نكبة فلسطين وتحرك الدنيا لنصرة فلسطين، بل تَهَزَّ قبل ذلك أهل فلسطين وجيران فلسطين؟

لينظم الشعراء القصائد في نكبة فلسطين ولينشد المنشدون بشعر فلسطين ولتؤلف اللجان في كل بلد عربي في كل بلد مسلم لإنقاذ فلسطين. لم تأت الآن معركة الدم والحديد، فلنحارب بالمال لنرد عدوان اليهود بالفكر السديد، بالخطط المدروسة، بالاتحاد وقبل هذا كله وبعد ذلك كله بالعودة إلى الله لأن العدو مهما كبر ومهما كبر من يعينه وينصره فالله أكبر فمن كان مع الله لم يخف أحداً. ونقول إن فلسطين أمانة في عنق كل عربي عقيدة في كل قلب مسلم، فأنقذوها أنقذوا المسجد الأقصى مسرى نبيكم، قبلتكم الأولى<sup>١</sup>

أما المقال الثاني فيقول :-

<sup>١</sup> من مقالة للشيخ على الطنطاوى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **بينما راع في غنمه عدا الذئب، فأخذ منه شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري . . . . .** رواه الشيخان .

إن ما يفعله إخوان القردة والخنزير اليوم في ربوع فلسطين وعلى الأخص في غزة من مذابح مفتوحة، ودماء على أشدها مسفوحة لأكبر دليل على أننا نعيش زمان رعى فيه الذئب القطعان، فلا حامي للحمى مهاب ولا راع يخاف له جناب. حكام تركوا شريعة ربهم وباعوا الأمانة التي وضعها الله في أعناقهم ، وشعوب قتمت بمباريات الكرة وأحوال المهرجين أكثر مما قتمت بدماء أبنائها .

" فإننا لله وإنا إليه راجعون . "

### **نداء للشعوب :-**

إن تجرؤ اليهود اليوم وعدم قيام الأمة بحق النصره تجاه أبناء غزة وعموم فلسطين هو الخزي الحقيقي والعار الذي يذكره التاريخ في صفحاته لهذا الجيل .

ولا أظنه يحسى إلا بمحاة اليقظة من الرقاد والعودة إلى الجهاد. إن اليهود لا يؤمنون إلا بمنهج القوة والمادة فقط، وإلا فقد عابوا الذات الإلهية وحاربوا أولياء الرحمن على مر العصور، فلا يرهيبهم إلا السيف ولا يردعهم إلا الحديد أما سلام الضعاف وخنوع اللئام، فلم يعد يستساغ حتى لدى الأغبياء.

فحكام الأمة الإسلامية اليوم أمام اختبار شديد سقط معه كل ورق التوت فلم يعد بعد ما يستر عوراتهم إلا العودة إلى منهج الرحمن ومصالحة الشعوب وإعلان الجهاد، على الشعوب أن تبادر وتنب وتستيقظ فلا تنام وتطالب بالجهاد لردع يهود وحقن هذه الدماء الطاهرة. على الشعوب الإسلامية أن تعلنها مدوية مطالبة بتطبيق الشرع المطهر ورفع راية الإسلام، وأن تصم آذانها عن كلام المنافقين الذين يخوفونها من شريعة السماء تحت دعاوى حرية الرأي والإباحية وغيرها مما يسفر عنه مرض قلوبهم ليل نهار. وليعلم الجميع أن الإسلام هو المنقذ الوحيد للأمة اليوم والمنتشل لها هي فيه من غم. فإن من يجارب الشريعة اليوم من داخل الأمة ما هو إلا بوق للأعداء لا يعدو كونه بوق لصرف الأمة عن تحكيم الشرع ومن ثم رفع راية الإسلام والجهاد تحت لوائه ومحاسبة كل متناول على دماء المسلمين ونيهم وشريعتهم وثرواتهم.

إن تخلية الأمة اليوم من أمراضها أصبح واجباً ملحاً وإن استئصال المرض أصبح ضرورة لا يخالجه ريب وأول من يجب أن تنظف منه الأمة هم الصفوة الخائنة من حكام باعوا دينهم بدنياهم ونهبوا ثروات شعوبهم ومعهم حشود من المنافقين والملاذ الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا بمثابة النحاسين الذين باعوا أعرض أمتهم بثمن بخص فشوهوا عقائد الناشئة وأبعدوا أهل الحق عن صدارة الأمة وإعلامها وطاردهم

كما ينبغي أن تتماشى هذه التخلية مع تخلية لقلوب الأمة من الشراكيات والبدع بالعودة الحقة لمنهج السماء والارتقاء في أحضان العلماء.

أما التخلية وهي الجانب المكمل، فتكون باستبدال الخونة بنخب صالحة فاعلة محبة لدينها ولأوطانها ومعها تخلية القلوب بالإيمان المبني على صحيح المعتقد واتباع الكتاب والسنة. ومع تحقق التخلية للنخب الفاسدة والمعتقدات الفاسدة والتخلية بالنخب المؤمنة العاملة والمعتقدات الصحيحة تقف الأمة من جديد

ويومها لن تبقى يهود ليلة واحدة ولن يستمر الاحتلال لبلاد المسلمين ساعة من دهر. فهل آن يا شعوب الأمة أن تقفي لله وتذودي عن عرينك وتصالحي ملك الملوك ويعلن كل فرد من اليوم أنه من جند الملك، وأنه لن يكون معول هدم في يد أعداء الأمة بل لبنة صالحة في بنائها من جديد. يا أمة: جند الله هم المنصورون جند الله هم المنصورون جند الله هم المنصورون. فهل أعلنها صريحة أننا من جنده؟؟

#### – نداء للعلماء الأجلاء

يا علماء الأمة وحدوا صفوف جند الرحمن وانصحو أولياء الأمور بأنهم لو تابوا فهم أولى الناس بقيادة الجند فوالله ما نكره أشخاصهم ولكن نلعن فعالمهم ولو عادوا لرجم فنحن جند الله جندهم المخلصين وهم قادتنا الأبرار ورتة جيش محمد صلى الله عليه وسلم. فيا حكامنا هلا قدمتم الأمة وشفقتهم جند الرحمن.

ويا علماءنا هلا نصحتكم الحكام وجهرتم بكلمة الحق ولم تخافوا في الله لومة لائم وهلا شفقتهم أبناء الأمة ووحدتهم كلمتهم على لا إله إلا الله محمد رسول الله. الأمر يحتاج لمزيد جهد وجهاد وبذل للغالي والتمين لعودة التمكين ولكن يومها يا أمة الإسلام أبشري بعزك ويومها يا أمة الإسلام لن يتناول على نبي الإسلام راعي بقر ولن يمس دمائك الطاهرة نجس من البشر. والله أسأل لك النصر والتمكين وصلاح الحال وحقن الدماء الطاهرة. والله إنها ظفرة من قلب



محب ينن بأنين وجروح أمته، ويحترق شوقاً لرؤية عزتها قبل أن يموت<sup>١</sup>.

### خامسا : المذابح

إن الحديث عن فلسطين وما يحدث فيها من مذابح حديث له شجون يدمى القلب والعين ويزيد الامر سؤا هو وقوفنا مكتوفى الأيدى لما ؟ لا ندرى !!!!!!! فقد كنا ونحن صغار فى عمر الزهور نشعر بأسى وحزن شديدين ونحن نقرأ عن ضياع الأندلس وتفتت الأمة بعد الوحدة وتمنينا لو كنا فى ذلك الزمان لدافعنا بالعالى والنفيس عن كل حبة رمل شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وسجد المسلمون عليها يوما ما لله رب العالمين . ولكن ما فتى الزمان يدور حتى عايشنا مآسة اخرى نراها رآى العين . فلا يكاد يمر يوم إلا ويذبح شاب أو يقتل طفل أو يدمر منزل أو منشأة أو تغتصب فتاة إلى آخر هذه المآسى على مرآى ومسمع منا والعالم .

وها نحن بلغنا مبلغ الرجال وعلى استعداد للتضحية بكل ما نملك من أجل الأقصى والقدس المبارك . إلا أننا فوجئنا بقيود لم تكن تخطر لنا على بال . وكأن الأعداء على علم بأنه سيأتى جيل يود الدفاع عن الأرض المقدسة بروحة ودمه ، فأسرع ليكبل الكبار بالقيود فمنهم من عاهدهم ألا يجارهم ماداموا بعيدين عن أرضه ومنهم من تاجر معهم ومنهم من غض الطرف عنهم ومنهم من لا يعنيه الامر بالكلية ومنهم من اشتغل باموره الداخلية.... الخ والاسؤا مما سبق هو وجود القواعد العسكرية لأمرىكا وحلفاءها على بعد امتار من كل بلد عربي . فكان من الممكن قديما أن نبعد الصهاينة قبل أن يتحرك من يعاونها كما حدث فى العاشر من رمضان الموافق السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣

والعجيب أننا دائما نرفع ما يفعله الصهاينة لألد أعدتنا وأقرب الأصدقاء لهم . تدرى لماذا ؟ لأنه من المعلوم ونراه رى العين هو ان الصهاينة هم الأبناء المدللون لأمرىكا فهم يفعلون ما يشاؤون ويعلمون أن وراءهم من يحمى ظهورهم . ألا يعلم هؤلاء وهؤلاء " أن وراءهم يوما تقيلا "

وليت أمرىكا وحدها هى التى ترغب فى بقاء الصهاينة بين البلدان العربية وإنما اوروبا ايضا لأنها اكتوت بنار اليهود قديما فكثيرا ما تسبوا فى اشعال الحروب والفرقة بين شعوبها فلم تنعم اوروبا بوحدة وارتياح إلا بعد أن خرج الصهاينة منها . وبدا يفكر باقى اليهود فى اللحاق

<sup>١</sup> مقال لآبى الهيثم محمد درويش

بهم فلم نرى لاوروبا عملة واحدة من زمن الرومان ولم نرى لها جيشا واحدا كذلك منذ امد بعيد  
 فاوروبا لديها استعداد أن تبذل اكثر من ذلك في سبيل بقاء الصهاينة بعبيدين عن ارضها بل  
 ستبذل الكثير والكثير حتى تطرد من بقى منهم لديها كل هذا ونحن في ثبات عميق . نشجب  
 ما يحدث تارة وندين تارة اخرى .  
 ومادام الصهاينة لم يروا منا ما يدل على استعدادنا لابادتهم فهم يسرعون في اباداة اخواننا من  
 الفلسطينيين حتى اذا هلكنا واستبدل ربنا جيلا افضل منا عانى من بعدنا الامرين ليعيد الامر  
 على ماكان عليه وحينها نكون قد اخطأنا مرتين مرة حين تركناهم يبیدون اخواننا واخرى  
 حين صمتنا ولم نخفيهم فلم يبقى لمن بعدنا اثر يهتدى به ولا حول ولا قوة الا بالله  
 فلو راى الصهاينة ان في البلاد قوما جبارين ما دخلوها وهذا يعنى أننا غشاء كغشاء السيل  
 ولذا فما يمر يوم إلا والمذبحة تلى الاخرى وهى من الكثرة حتى لا تعد .  
 ولكن رايت أن اذكر المذابح القاسية منها التى سنحاسب عليها جميعا " يوم يقوم الناس لرب  
 العالمين "

### أولا - مذبحة الدوايمة

المكان : قرية الدوايمة ، قضاء الخليل ، فلسطين

التوقيت : ١٤ يونيو ١٩٤٩

الأحداث :-

هاجمت الكتيبة ٨٩ التابعة لمنظمة ليحي وبقيادة موشيه ديان قرية الدوايمة الواقعة غرب  
 مدينة الخليل. ففي منتصف الليل حاصرت المصفحات الصهيونية القرية من الجهات كافة  
 عدا الجانب الشرقي لدفع سكانها إلى مغادرة القرية إذ تشبثوا بالبقاء فيها رغم خطورة  
 الأوضاع في أعقاب تداعي الموقف الدفاعي للعرب في المنطقة. وصدق الحق حين قال : لا  
 يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر )

ثم قام المستوطنون الصهاينة بتفتيش المنازل واحداً واحداً وقتلوا كل من وجدوه بها رجلاً أو امرأة أو طفلاً، كما نسفوا منزل مختار القرية. إلا أن أكثر الوقائع فظاعة كان قتل ٧٥ شيخاً مسناً لجؤوا إلى مسجد القرية في صباح اليوم التالي وإبادة ٣٥ عائلة فلسطينية كانت في إحدى المغارات تم حصدهم بنيران المدافع الرشاشة. وصدق الحق حين قال ( إن يتقفوكم يكونوا لكم أعداء )

و حين تسلل بعض الأهالي لمنازلهم ثانية للترول بالطعام والملابس جرى اصطيادهم وإبادتهم ونسف عدد من البيوت بمن فيها وقد حرص الصهاينة على جمع الجثث وإلقائها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة التي لم يتم الكشف عن تفاصيل وقائعها إلا عندما نشرت صحيفة حداثوت الإسرائيلية تحقيقاً عنها. ويلاحظ أن الصهاينة أقاموا على أرض القرية المنكوبة مستعمرة أمانزياه

أريت عزيزى القارئ كيف يتصرف الصهاينة حين لا يرون فينا شهامة أو بأساً ويدفع اخواننا الثمن من اباداة للمسكن والأرواح . ويقيم الصهاينة مكان ما ابادوه مستوطنة حتى لا يعرف من ياتى من الاجيال الحقيقة .

### ثانيا - مذبحه دير ياسين.

المكان : دير ياسين، التي تقع غربي القدس

التوقيت : ٩ أبريل عام ١٩٤٨

و نلاحظ فيها غدر الصهاينة ونكثهم للعهد كالعاده فقد حدثت مذبحه دير ياسين في قرية دير ياسين، التي تقع غربي القدس في ٩ أبريل عام ١٩٤٨ على يد الجماعتين الصهيونيتين: أرجون و شتيرن. أي بعد أسبوعين من توقيع معاهدة سلام طلبها رؤساء المستوطنات اليهودية المجاورة ووافق عليها أهالي قرية دير ياسين وراح ضحية هذه المذبحة أعداد كبيرة من السكان لهذه القرية من الأطفال، وكبار السن والنساء والشباب. عدد من ذهب ضحية هذه المذبحة مختلف عليه، إذ تذكر المصادر العربية والفلسطينية أن ما بين ٢٥٠ إلى ٣٦٠ ضحية تم قتلها، بينما تذكر المصادر الغربية أن العدد لم يتجاوز ١٠٧ قتلى.

كانت مذبحه دير ياسين عاملاً مهمّاً في الهجرة الفلسطينية إلى مناطق أخرى من فلسطين والبلدان العربية المجاورة لما سببته المذبحة من حالة رعب عند المدنيين. ولعلّها الشعرة التي قصمت ظهر البعير في إشعال الحرب العربية الإسرائيلية في عام ١٩٤٨. وأضفت المذبحة حِقْدًا إضافياً على الحقد الموجود أصلاً بين العرب والإسرائيليين.

تنامت الكراهية والأحقاد بين الفلسطينيين واليهود في عام ١٩٤٨ واشتعلت الإحقاد بعد قرار المملكة المتحدة سحب قواتها من فلسطين مما ترك حالة من عدم الاستقرار في فلسطين. واشتعلت الصراعات المسلحة بين العرب واليهود بحلول ربيع ١٩٤٨ عندما قام جيش التحرير العربي والمؤلف من الفلسطينيين ومتطوعين من مختلف البلدان العربية على تشكيل هجمات على الطرق الرابطة بين المستوطنات اليهودية وقد سميت تلك الحرب بحرب الطرق، حيث أحرز العرب تقدماً في قطع الطريق الرئيسي بين مدينة تل أبيب وغرب القدس مما ترك ١٦% من جُل اليهود في فلسطين في حالة حصار.

قرر اليهود تشكيل هجوم مضاد للهجوم العربي على الطرق الرئيسية فقامت عصابة شتيرن والإرجون بالهجوم على قرية دير ياسين على اعتبار ان القرية صغيرة ومن الممكن السيطرة عليها مما سيعمل على رفع الروح المعنوية اليهودية بعد خيبة أمل اليهود من التقدم العربي على الطرق الرئيسية اليهودية.

### المذبحة

قامت عناصر من منظمي الإرجون وشتيرن اللتان توصفان بأتهما ارهابيتان بشن هجوم على قرية دير ياسين قرابة الساعة الثالثة فجراً، وتوقع المهاجمون أن يفزع الأهالي من الهجوم ويبادرون إلى الفرار من القرية. وهو السبب الرئيسي من الهجوم، كي يتسنى لليهود الإستيلاء على القرية. إنقضّ المهاجمون اليهود تسبقهم سيارة مصفحة على القرية وفوجيء المهاجمون بنيران القرويين التي لم تكن في الحسبان وسقط من اليهود ٤ من القتلى و ٣٢ جرحى. طلب بعد ذلك المهاجمون المساعدة من قيادة الهاجاناه في القدس وجاءت التعزيزات، وتمكّن المهاجمون من استعادة جرحاهم وفتح الأعيرة النارية على القرويين دون تمييز بين رجل أو طفل أو امرأة. ولم تكتف العناصر اليهودية المسلحة

من إراقة الدماء في القرية، بل أخذوا كمية من القرويين الأحياء بالسيارات وقاموا على استعراضهم في شوارع الأحياء اليهودية وسط هتافات اليهود، ثم العودة بالأسرى إلى قرية دير ياسين والإجهاز عليهم. ووصل عدد الشهداء الى ٢٥٤ شهيدا من أهل دير ياسين غير الأسرى والمجروحين .

### النتيجة

تزايدت الحرب الإعلامية العربية اليهودية بعد مذبحه دير ياسين وتزايدت الهجرة الفلسطينية إلى البلدان العربية المجاورة نتيجة الرعب الذي دبّ في نفوس الفلسطينيين من أحداث المذبحة، وعملت بشاعة المذبحة على تأليب الرأي العام العربي وتشكيل الجيش الذي خاض حرب الـ ١٩٤٨. وبعد مذبحه دير ياسين، إستوطن اليهود القرية وفي عام ١٩٨٠ أعاد اليهود البناء في القرية فوق أنقاض المباني الأصلية وأسماوا الشوارع بأسماء مقاتلين الإرجون الذين نَقَدُوا المذبحة.

### ثالثا - مذبحه الأقصى الأولى

المكان : ساحة المسجد الأقصى

التوقيت : صبيحة يوم الاثنين ٨/١٠/١٩٩٠م

حدثت هذه المذبحة في صبيحة يوم الاثنين ٨/١٠/١٩٩٠م حيث حاول متطرفون يهود وضع حجر الأساس للهيكل الثالث في ساحة المسجد الأقصى فقام أهل القدس على عادتهم لمنع المتطرفين اليهود من ذلك فوقع اشتباك بين المصلين وعددهم قرابة أربعة آلاف مصل وبين المجموعة اليهودية المتطرفة المسماة أمناء جبل الهيكل ، فتدخل على الفور جنود الاحتلال الإسرائيلي الموجودون في ساحات المسجد وأمطروا المصلين بوابل من الرصاص مما أدى إلى استشهاد ٢١ وإصابة ١٥٠ بجروح مختلفة واعتقال ٢٧٠ شخصا ، تم إعاقة حركة سيارات الإسعاف وأصيب بعض الأطباء والمرضين أثناء تأدية واجبهم، ولم يتم إخلاء القتلى والجرحى إلا بعد ٦ ساعات من بداية المجرزة.

### رابعاً - مذبحه الأقصى الثانية

المكان : كافة أرجاء فلسطين

التوقيت : يوم الاثنين ٢٣/٩/١٩٩٦م

مذبحه الأقصى الثانية كما تسمى انتفاضة النفق. حدثت هذه المذبحة بعد إعلان سلطات الاحتلال فتح النفق المجاور للجدار الغربي للمسجد الأقصى يوم الاثنين ٢٣/٩/١٩٩٦م حيث وقعت اشتباكات عنيفة بين أبناء فلسطين وجنود الاحتلال اليهودي في كافة أرجاء فلسطين دفاعاً عن المسجد الأقصى المبارك، وقد أسفرت هذه المواجهات عن استشهاد أربعين فلسطينياً وإصابة المئات، بعضهم جراحه خطيرة واستمرت هذه المواجهات ثلاثة أيام.

### خامساً - مذبحه الأقصى الثالثة

المكان : المسجد الأقصى

التوقيت : يوم الخميس ٢٨/٩/٢٠٠٠م

مذبحه الأقصى الثالثة حيث قام شارون بزيارة إلى المسجد الأقصى يوم الخميس ٢٨/٩/٢٠٠٠م الأمر الذي اعتبره الفلسطينيون تدنيس لأرض المسجد الطاهر هذا أدى إلى قيام الشباب الفلسطيني المسلم بالتصدي له لإفشال زيارته رغم أنه كان بحماية ٣٠٠٠ جندي محتل.

وفي اليوم التالي الجمعة ٢٩/٩/٢٠٠٠م قام جنود الاحتلال بفتح النيران على رؤوس المصلين قبل التسليم من صلاة الجمعة وجرت مواجهات في ساحات الأقصى بين المصلين وجنود الاحتلال أسفرت عن سبعة شهداء و٢٥٠ جريحاً، ثم امتدت الاشتباكات إلى كل أرجاء فلسطين و الضفة الغربية وقطاع غزة ومناطق الـ ٤٨ مما شكل بداية للانتفاضة المباركة الثانية، وقدم فيها المسلمون في الأرض المباركة مئات الشهداء وآلاف الجرحى دفاعاً عن دينهم وأقصاهم.

### سادسا - مذبحه بلدة الشيخ

المكان : بلدة الشيخ

التوقيت : يوم ٣١ ديسمبر من سنة ١٩٤٧

مذبحة بلدة الشيخ هي مذبحه قامت تنفيذها منظمات الهاغاناه حيث قامت في يوم ٣١ ديسمبر من سنة ١٩٤٧ بمهاجمة قرية بلدة الشيخ (و التي يطلق عليها اليوم اسم تل غنان) ولاحقت المواطنين العزل، وقد أدت المذبحة إلى مصرع العديد من النساء والأطفال وكانت حصيلة المذبحة نحو ٦٠٠ قتيل وجدت جثث غالبيتهم داخل منازل القرية.

### سابعا - مذبحه قرية أبو شوشة

المكان : قرية أبو شوشة

التوقيت : فجر يوم ١٤/٥/١٩٤٨ ،

في فجر يوم ١٤/٥/١٩٤٨ ، وفي اللحظات التي ستبدأ فيها اولي تباشير النهار بالانسلاخ من جوف الليل، وبينما كان المؤذن يدعو المؤمنين مبشرا بأن "الصلاة خير من النوم"، وبينما كان صدى "لا اله الا الله" يتردد في السهول والوديان، شنت وحدات من لواء جفاتي هجوما نهائيا علي قرية أبو شوشة الي الشرق من مدينة الرملة بهدف احتلالها وطرد أهلها .

كانت تلك بداية مذبحه رهيبه مجهولة، لم يكشف النقاب عنها حتى الآن، راح ضحيتها حوالي ٦٠ شهيدا من النساء والرجال والشيوخ والاطفال. المخطوون منهم قتلوا رميا بالرصاص فرادى، أو جماعات صفوا امام الجدران، اما الاخرون فقد فلقتم هاماتهم بالبلطات في ازقة القرية أو داخل البيوت حيث لحت عيونهم في انفراجتها الاخيرة، وعن قرب، التعبيرات الوحشية عديمة الإنسانية لوجوه قاتليها.

كانت المذبحة مجمها وأبعادها المأساوية صدمة مذهلة لأبناء القرية، فاقت بكثير أشع كوايبهم. في ١٣/٥/١٩٤٨ ونتيجة المذابح والذعر والهلع الذي يلف فلسطين، فرضت معادلة "الموت أو الرحيل"، فان أهل أبو شوشة - وفوق معرفتهم بما يمكن ان يصيبهم -

اتخذوا قرار البقاء : البقاء في منازلهم والدفاع عن ديارهم، عن ملاعب صباهم وبيادرهم، عن مستقبل أطفالهم وحقهم، عن ذكرياتهم وقيور اجدادهم. كان في القرية ٧٠ بندقية منها ٢٠ اقرب الي العدم، بالاضافة الي رشاش "برن" قديم وبضعة الغام.

وتوزع المقاتلون حول القرية التي كانت تتراص بيوتها. ابتداءً لهجوم الإسرائيلي، بقصف عنيف بمدافع الهاون طال منازل القرية وازقتها ودروبها تمهيدا لتقدم القوات الإسرائيلية، وشرعت هذه القوات بالتقدم بعد توقف القصف ، واستشهد عدد من المدافعين في خنادقهم أو خلف استحكاماتهم نتيجة المقاومة، غير ان الاختلال الحاد لموازين القوى والتجهيزات ادى لانهيار خطوط الدفاع.

وبدأت عملية "تطهير القرية" أو إن شئت فقل "تدنيس القرية" وقتل عدد من الطاعنين بالسن في ازقة القرية حيث لم يشفع لهم شبيهم أو شيخوختهم. وقتل الرجال بالبلطات وبعضهم بالرصاص . لم تكن هذه نهاية المأساة، حيث لم يكن يعرف الجنود بعد احتلال القرية ان هناك مئات المدنيين المحاصرين برفقة مواشيهم داخل المغارة الابعد يومين، حينما انسلت إحدى النساء من مغارة باتجاه بيتها، تطلب الطعام لاقربائها. وبعد القاء القبض عليها واستدلالهم علي المغارة، وخروج النساء والاطفال .

في هذه اللحظة تجلت عظمة النساء، بمواراة احبائهن التراب. حيث بكت النساء طيلة الوقت، وكانت دموعهن اخر ما اصطحبه الاعزاء الي باطن الأرض. دفن القتلي بدون صلاة في المكان الذي سقطوا فيه، وفي كثير من الاحيان حثي التراب علي الجثث لعدم القدرة علي حفر قبور لهذه الاعداد الكبيرة، وفي احيان استخدمت الخنادق والمغارات كمقابر جماعية. خلال عملية الدفن وقعت حوادث قتل فردية بدم بارد، فبلا رحمة انتزع أحد الجنود طفلا في الثالثة عشر من عمره من يده وبدلا من أن يرحم توسلاهما، شطر رأسه امامها ببلطة، كما قتلوا عجوزا تمسكت ورفضت التخلي عن بقرتين كانتا بالنسبة لها مصدر رزقها وضمنا بقاتها.

ومن مهازل المفارقات ، انه في تمام الساعة الواحدة ظهرا من ١٤/٥/١٩٤٨ ؟ اي بعد عدة ساعات من اكتمال مجزرة أبوشوشة في ضحى ذلك اليوم ؟ كان " مجلس الشعب



اليهودي يصادق في تل ابيب على وثيقة اعلان دولة إسرائيل، كانت الوثيقة تعد سكان الدولة العرب؟ والتي كان اهل أبوشوشة ضمن حدودها؟ بالمواطنة التامة القائمة على المساواة والتمثيل المناسب في جميع مؤسسات الدولة؟. تشترك أبوشوشة مع غيرها من حوالي ٤٥٠ قرية فلسطينية عربية مدمرة عام ١٩٤٨، في قدر ومصير التدمير والابادة كمجتمع إنساني محلي،

كما تشترك في حقيقة أن تدميرها لم يأت بفعل الأحداث التي ترافق الحروب وويلاتها، وانما نتيجة لمخطط مدروس لم يكن يرى في القرى التي دمرها مجتمعا يمر بدورة الحياة، يزرع ويفلح، يحصد ويغني، يزرع ابنائه ويندب موتاه وانما نقطة على خارطة تضم عربا يجب اقتلاعهم لصالح الاستيطان الصهيوني .

### ثامنا - مذبحه الطنطورة

المكان : قرية الطنطورة

التوقيت : الليلة الواقعة بين ٢٢ و ٢٣ أيار / مايو ١٩٤٨

مذبحة الطنطورة حدثت في الليلة الواقعة بين ٢٢ و ٢٣ أيار ١٩٤٨ حيث هاجمت كنيية ٣٣ التابعة للواء الكسندروني (التي دعيت آنذاك باسم "كنيية السبت" لأنه كان يلقي على عاتقها في كل نهاية أسبوع، إبان حرب العام ١٩٤٨، مهمة جديدة) قرية طنطورة. احتلت القرية بعد عدة ساعات من مقاومة أهالي البلده لقوات الاحتلال الإسرائيلي، وفي ساعات الصباح الباكر كانت القرية كلها قد سقطت في يد جيش الاحتلال،

وانهمك الجنود الإسرائيليون لعدة ساعات في مطاردة دموية شرسة لرجال بالغين بهدف قتلهم. في البداية أطلقوا النار عليهم في كل مكان صادفهم فيه في البيوت في الساحات وحتى في الشوارع. وبعد ذلك أخذوا يطلقون النار بصورة مركزة في مقبرة القرية. وقد خلفت المذبحة أكثر من ٩٠ قتيلًا دفنوا في حفرة كبيرة وفي المقبرة التي دفنت فيها جثث القتلى من أهالي القرية في قبر جماعي، أقيمت لاحقًا ساحة لوقوف السيارات كمرفق لشاطئ "دور" على البحر المتوسط جنوبي حيفا.

## ناسعا- مذبحه قبية المكان: قرية قبية التوقيت : ١٢ أكتوبر ١٩٥٣

مذبحه قبية حدثت عام ١٩٥٣ عندما قام جنود إسرائيليون تحت قيادة أرئيل شارون بمهاجمة قرية قبية الواقعة في الضفة الغربية (التي كانت حينها تحت السيادة الأردنية). قتل فيها ٦٩ فلسطينيا، العديد منهم أثناء اختبائهم في بيوتهم التي تم تفجيرها. تم هدم ٤٥ منزلا و مدرسة واحدة ومسجدا.

شجب العملية مجلس الأمن الدولي، و وزارة الخارجية الأمريكية وتم تعليق المعونات الأمريكية لإسرائيل بشكل مؤقت.

□ أطلق الجيش الإسرائيلي عليها اسم "عملية شوشانا" (بالعبرية מבצע שושנה)، تلفظ ميفتساع شوشانا) ونفذتها وحدتان: وحدة مظليين ووحدة ١٠١ للقوات الخاصة

### الأسباب

تعود أسباب المذبحة إلى عملية تسلل في ١٢ أكتوبر ١٩٥٣ قام بها متسللين من الأردن إلى مستوطنة يهود، وقام المتسللين بالقاء قنبلة داخل بيت ((كنياس)) قتلت الأم وولديها (١٨ شهر، ٤ سنوات) وأصيب الثالث بجروح ولاذ المتسللين بالفرار. في ١٤ أكتوبر أدانت لجنة الهدنة الإسرائيلية الأردنية الجريمة، ووعد جون غلوب قائد الفيلق العربي القبض على الفاعلين.

في ١٣ أكتوبر قرر دافيد بن غوريون مع حكومته (التي لم تحتوي في حينها على وزير الخارجية موشيه شاريت) القيام بعملية انتقامية قاسية ضد قرية قبية، وتم تمرير القرار بشكل مباشر إلى قسم العمليات والتنفيذ، و صدر الأمر إلى قيادة المنطقة العسكرية الوسطى التي أصدرت أوامر إلى الوحدة رقم ١٠١ بقيادة الميجور اريئيل شارون وكتيبة المظليين رقم ٨٩٠، ونص الأمر على:

"تنفيذ هدم وإحراق ضربات قصوى بالأرواح بهدف تهريب سكان القرية من بيوتهم" (أرشيف الجيش الإسرائيلي ٢٠٧/٥٦/٦٤٤)

### المذبحة

في ليلة بين ١٤ أكتوبر و ١٥ أكتوبر، تم قصف قرية بُدرس وقامت بعض خلايا الوحدة رقم ١٠١ بإطلاق النار على قريتي شُقبا و نعلين، وتم في قبية هزم حفنة ضئيلة من الحرس الوطني، وأخذت الوحدة تنتقل من بيت إلى آخر في عملية حربية في منطقة مدنية، تم فيها قذف قنابل عبر الثغرات و إطلاق النار عشوائيا عبر الأبواب والنوافذ المفتوحة، وتم إطلاق النار على من حاول الفرار، بعد ذلك فجر المظليون خمسة وأربعين من بيوت القرية ومسجد وخزان مياه القرية. وتم قتل تقريبا ٦٠ مواطنا غالبيتهم نساء وأطفال، ولم تقع إصابات في صفوف الجيش الإسرائيلي.

### ردود الفعل المفتعلة للتغطية على هذه الجرائم :-

-- مجلس الأمن ندد بالعملية ورفض طلب إسرائيل إدانة "عمليات الإرهاب العربية".

-- الولايات المتحدة علقت أمريكا إرسال منحة مساعدة خارجية كبيرة إلى إسرائيل.

-- المملكة المتحدة أرسلت سلاحا لتقوية الحرس الوطني الأردني.

-- جميع الصحف الإسرائيلية استخدمت عناوين حيادية عن عملية قبية ما عدا صحيفة كول هعام (صحيفة الحزب الشيوعي الإسرائيلي باللغة العبرية).

-- صحيفة هآرتس عنونة عن عملية المتسللين في مستوطنة يهود "قتل مجرد القتل"

-- صحيفة يدبعوت أحرنوت عنونة عن عملية المتسللين في مستوطنة يهود "ألقوا قنبلة على البيت ! الجميع قتلوا"

-- أنفردت صحيفة **كول هعام** بعنوان حاسم "إرتكاب عملية قتل جماعية في قرية قبية العربية" ١٦/١٠/١٩٥٣ ، وأكدت على تسمية العملية بالمذبحة بخلاف جميع الصحف الإسرائيلية الأخرى التي أسمتها عملية أو نحوه.

-- صحيفة **كول هعام** في مقال افتت احى "ضد القتل: القتل الجماعي على أيدي إسرائيليين مسلحين جريمة رهيبة. دير ياسين جديدة"

-- صحيفة **جيروزاليم بوست** في مقال أفتتاحي "إسرائيل استخدمت الوسيلة المطلوبة".

-- في ١٩ أكتوبر وجه بن غوريون عبر راديو صوت إسرائيل خطابه أكد فيه "أن سكان الحدود هم من قام بالعملية وليس الجيش"

-- أكد الجنرال **فان بيتيكه** كبير مراقبي الأمم المتحدة في تقريره إلى مجلس الأمن الدولي في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٣ أن الهجوم كان مدبراً ونفذته قوات نظامية.

-- ذكر شارون في مذكراته أن الجنود نبهوا أهل القرية وتفحصوا البيوت قبل تفجيرها.

-- أدت مذبحة قبية إلى زيادة الاحتكاك بين الجيش الإسرائيلي والجيش العربية التي أدت إلى حرب ٥٦ بين إسرائيل ومصر بالإضافة إلى بريطانيا وفرنسا.

## عاشرا- مذبحة قلقيلية

المكان : قرية قلقيلية

التوقيت : عام ١٩٤٨

مذبحة قلقيلية حيث هاجم جيش الاحتلال الإسرائيلي ومجموعة من المستوطنين قرية قلقيلية الواقعة على الخط الأخضر الفاصل بين الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٤٨ والضفة الغربية، حيث شارك في الهجوم مفرزة من الجيش وكتيبة مدفعية وعشرة طائرات مقاتلة. وقد عمد الجيش الإسرائيلي إلى قصف القرية بالمدفعية قبل اقتحامها، حيث راح ضحية المجزرة أكثر من ٧٠ شهيدا

## حادى عشر - مذبحة كفر قاسم

المكان : مدينة كفر قاسم

التوقيت : ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦

وقعت مذبحة كفر قاسم في مدينة كفر قاسم الواقعة الآن في إسرائيل، حيث كانت في ذلك الحين واقعةً على الخط الأخضر -الفعلي- بين إسرائيل والأردن. ففي ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ قام حرس الحدود الإسرائيلي بقتل ٤٨ مدنياً عربياً بينهم نساء و٢٣ طفلاً يتراوح عمرهم بين ٨ - ١٧ سنةً. وقد أفادت مصادر أخرى بأن عدد الضحايا بلغ ٤٩ وذلك لإضافة جنين إحدى النساء إلى عدد الضحايا.

في ٢٩/١٠/١٩٥٦ أعلنت قيادة الجيش الإسرائيلي المرابطة على الحدود الإسرائيلية الأردنية نظام حظر التجول في القرى العربية داخل إسرائيل والمتاخمة للحدود: كفر قاسم، الطيره، كفر برا، جلعولية، الطيبة، قلنسوة، بير السكة وإبثان. أوكلت مهمة حظر التجول على وحدة حرس الحدود بقيادة الرائد شوئيل ملينكي. على أن يتلقى هذا الأوامر مباشرة من قائد كتيبة الجيش المرابطة على الحدود يسحار شدمي. أعطيت الأوامر أن يكون منع التجول من الساعة الخامسة مساءً حتى السادسة صباحاً.

وطلب شدمي من ملينكي أن يكون تنفيذ منع التجول حازماً لا باعتقال المخالفين وإنما بإطلاق النار. وقال له " من الأفضل أن يكون قتلى على تعقيدات الاعتقال... ولا أريد عواطف..."، ملينكي جمع قواته وأصدر الأوامر الواضحة بتنفيذ منع التجول دون اعتقالات و" من المرغوب فيه أن يسقط بضعة قتلى " .

وزعت المجموعات على القرى العربية في المثلث. اتجهت مجموعة بقيادة الملازم جبرئيل دهان إلى قرية كفر قاسم. وزع هذا مجموعته إلى أربع زمر. رابطة إحداها عند المدخل الغربي للبلدة. في الساعة ١٦:٣٠ من اليوم نفسه استدعى رقيب من حرس الحدود مختار كفر قاسم وديع أحمد صرصور وأبلغه بقرار منع التجول وطلب منه إبلاغ الأهالي.

قال المختار إن ٤٠٠ شخصاً يعملون خارج القرية ولم يعودا بعد ولن تكفي نصف ساعة لإبلاغهم. فوعد الرقيب أن يدع العائدين يمرون على مسؤوليته ومسؤولية الحكومة. في الخامسة مساء بدأت المذبحة طرف القرية الغربي حيث رابطت وحدة العريف شلوم عوفر فسقط ٤٣ شهيداً، وفي الطرف الشمالي سقط ٣ شهداء، وفي داخل القرية سقط شهيدان. أما في القرى الأخرى سقط صبي عمره ١١ سنة شهيداً في الطيبة. كان من بين الشهداء في كفر قاسم ١٠ أطفال و ٩ نساء.

كان إطلاق النار داخل القرية كثيفاً وأصاب تقريباً كل بيت. حاولت الحكومة إخفاء الموضوع ولكن الأنباء عن المجزرة بدأت تتسرب فأصدرت الحكومة الإسرائيلية بياناً يفيد بإقامة لجنة تحقيق. توصلت اللجنة إلى قرار بتحويل قائد وحدة حرس الحدود وعدد من مرؤوسيه إلى المحاكمة العسكرية. استطاع عضوا الكنيسة توفيق طوي ومئر فلتر اختراق الحصار المفروض على المنطقة يوم ٢٠/١١/١٩٥٦.

ونقلا الأخبار إلى الصحافي أوري أفيري. استمرت محاكمة منفي المجزرة حوالي عامين. في ١٦/١٠/١٩٥٨ صدرت بحقهم الأحكام التالية: حكم على الرائد شوتل ملينكي بالسجن مدة ١٧ عاماً وعلى جبرئيل دهان وشلوم عوفر بالسجن ١٥ عاماً بتهمة الاشتراك بقتل ٤٣ عربياً، بينما حكم على الجنود الآخرين السجن لمدة ٨ سنوات بتهمة قتل ٢٢ عربياً. لم تبق العقوبات على حالها.

قررت محكمة الاستئناف تخفيفها: ملينكي - ١٤ عاماً، دهان - ١٠ أعوام، عوفر - ٩ أعوام. جاء بعد ذلك قائد الأركان وخفض الأحكام إلى ١٠ أعوام للملينكي، ٨ لعوفر و ٤ أعوام لسائر القتلة. ثم جاء دور رئيس الدولة الذي خفض الحكم إلى ٥ أعوام لكل من ملينكي وعوفر ودهان. ثم قامت لجنة تسريح المسجونين وأمرت بتخفيض الثلث من مدة كل من المحكومين. وهكذا أطلق سراح آخرهم في مطلع عام ١٩٦٠. أما العقيد يسخار شدمي ، صاحب الأمر الأول في المذبحة فقد قدم للمحاكمة في مطلع ١٩٥٩ وكانت عقوبته التوبيخ ودفع غرامة مقدارها قرش إسرائيلي واحد. كان ذلك في اليوم الذي بدأت فيه حرب العدوان الثلاثي على مصر.

## ثاني عشر - مذبحة خان يونس

المكان : خان يونس

التوقيت : ١٢ نوفمبر ١٩٥٦

مذبحة خان يونس في ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ هي مذبحة نفذها جيش الاحتلال الإسرائيلي بحق **اللاجئين الفلسطينيين في مخيم خان يونس** جنوبي قطاع غزة راح ضحيتها أكثر من ٢٥٠ فلسطينياً. وبعد تسعة أيام من الخزرة الأولى ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ نفذت وحدة من الجيش الإسرائيلي مجزرة وحشية أخرى راح ضحيتها نحو ٢٧٥ شهيدا من المدنيين في نفس المخيم، كما قتل أكثر من مائة فلسطيني آخر من سكان مخيم رفح للاجئين في نفس اليوم.

## ثالث عشر - مذبحة الحرم الإبراهيمي

المكان : الحرم الإبراهيمي

التوقيت : ٢٥ فبراير ١٩٩٤

مذبحة الحرم الإبراهيمي ، بقيادة **باروخ جولدشتاين** أو **باروخ جولدستين** ، وهو طبيب يهودي و المنفذ لمذبحة الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل الفلسطينية في ١٤١٤ هـ / الموافقة لـ ٢٥ فبراير ١٩٩٤ التي قام بها مع تواطى عدد من المستوطنين و الجيش في حق المصلين ، حيث أطلق النار على المصلين المسلمين في المسجد الإبراهيمي أثناء أدائهم الصلاة فجر يوم الجمعة في شهر رمضان ، وقد قتل ٢٩ مصلياً وجرح ١٥٠ آخرين قبل أن ينقض عليه مصلون آخرون ويقتلوه. قتل أيضا ٢٠ مواطنا في المستشفى الذي تواجد هناك الاسرئيليون.

عند تنفيذ المذبحة قام جنود الاحتلال الإسرائيلي الموجودون في الحرم بإغلاق أبواب المسجد لمنع المصلين من الهرب، كما منعوا القادمين من خارج الحرم من الوصول إلى ساحته لإنقاذ الجرحى، وفي وقت لاحق استشهد آخرون برصاص جنود الاحتلال خارج المسجد وفي أثناء تشييع جثث الشهداء مما رفع مجموع الضحايا إلى ٥٠ شهيدا قتل ٢٩ منهم داخل المسجد.

أراد باروخ جولدشتاين من خلاله عمله أن يفشل محادثات السلام بين الإسرائيليين و الفلسطينيين اثر توقيع اتفاقية أوسلو. كان يهدف كذلك إلى إثارة الفتنة بين الفلسطينيين

كما سيؤدي إلى اشتباكات بينهم و تفويض الاتفاقية. على إثر المجزرة تم فرض حركة منع تجول على المدينة من قبل السلطات الإسرائيلية. تم كذلك حظر حركتي **كاخ و كاهان شاي** بموجب قوانين مكافحة الارهاب.

### رابع عشر - معركة جنين

المكان : جنين

التوقيت : من ٣ إلى ١٢ أبريل/نيسان ٢٠٠٢

مجزرة جنين هو اسم يطلق على عملية التوغل التي قام بها الجيش الإسرائيلي في جنين في الفترة من ٣ إلى ١٢ أبريل/نيسان ٢٠٠٢ واستمرت نحو ١٠ أيام. وتشير رواية الحكومة الإسرائيلية وقوع معركة شديدة في جنين، مما اضطر جنود الجيش الإسرائيلي إلى القتال بين المنازل. بينما تشير مصادر السلطة الفلسطينية ومنظمات حقوق الإنسان ومنظمات دولية أخرى أن القوات الإسرائيلية أثناء إدارة عملياتها في مخيم اللاجئين قامت بارتكاب أعمال القتل العشوائي، واستخدام الدروع البشرية، والاستخدام غير المناسب للقوة، وعمليات الاعتقال التعسفي والتعذيب، ومنع العلاج الطبي والمساعدة الطبية

وقد كانت هذه العملية ضمن عملية اجتياح شاملة للضفة الغربية، أعقبت تنفيذ عملية تفجير في فندق في مدينة **نتانيا**، وقد هدفت عملية الاجتياح القضاء على المجموعات الفلسطينية المسلحة التي كانت تقاوم الاحتلال، وكانت **جنين** وبلدة **نابلس** القديمة مسرحاً لأشرس المعارك التي دارت خلال الاجتياح، حيث قرر مجموعة من المقاتلين الفلسطينيين محاربة القوات الإسرائيلية حتى الموت، الأمر الذي أدى إلى وقوع خسائر طفيفة في صفوف القوات الإسرائيلية، ومن ثم قامت باجتياح **مخيم جنين** والقضاء على المجموعات المقاتلة حيث تم قتل واعتقال معظمهم، كما قامت القوات الإسرائيلية بعمليات تنكيل وقتل بحق السكان - حسب المصادر الفلسطينية ومعظم المصادر الاخبارية العالمية المحايدة والجمعيات الدولية أدى إلى سقوط العشرات، فيما حملت إسرائيل المقاتلين الفلسطينيين مسؤولية تعريض حياة المدنيين للخطر..



## نتائج المجزرة

وقد قتل في هذه المجزرة بحسب تقرير الامم المتحدة ٥٨ فلسطينيا ، ومن الذين شهدوا المجزرة واكدوا على وقوعها:

--لجنة حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة

-- منظمة العفو الدولية

--تيري رود لارسن - منسق الأمم المتحدة في الشرق الأوسط

-- الوفد البرلماني الحزبي الأوروبي

--وفد (الأدباء والمفكرين العالميين) الذي يمثل (البرلمان العالمي للكتاب). وهو وفد يضم شخصيات ثقافية وأدبية عالمية مثل: الروائي الأمريكي راسل بانكس

--رئيس البرلمان العالمي للكتاب **ول سوينكا**، الحائز على جائزة نوبل للآداب

-- رئيس البرلمان السابق البرتغالي **خوسيه ساراماغو**، الحائز - كذلك - على جائزة نوبل للآداب

--**وبي داوو الصيني** وهو أحد مؤسسي برلمان الكتاب

--والشاعر والروائي **برايتن برايتناخ** (جنوب أفريقيا)

-- **وكرستيان سالمون** (فرنسا)

--**وفيشيرو كونولو** (إيطاليا)

--**وخوان غويتسولو** (اسبانيا)

## أقوال بعض الشهود

ومن ضمن روايات الشهود المحايدون على هذه المجزرة:

-- قال خوسيه ساراماغو بعد زيارته للمخيم أبان المجزرة: «كل ما اعتقدت أنني أملكه من معلومات عن الأوضاع في فلسطين قد تحطم، فالمعلومات والصور شيء، والواقع شيء آخر، يجب أن تضع قدمك على الأرض لتعرف حقاً ما الذي جرى هنا.. يجب قرع أجراس العالم بأسره لكي يعلم.. ان ما يحدث هنا جريمة يجب أن تتوقف.. لا توجد أفران غاز هنا، ولكن القتل لا يتم فقط من خلال أفران الغاز. هناك أشياء تم فعلها من الجانب الإسرائيلي تحمل نفس أعمال النازي أوشفيتس. انما أمور لا تغتفر يتعرض لها الشعب الفلسطيني».

-- وقال راسل بانكس رئيس البرلمان العالمي للكتاب: «ان الساعات التي قضيتها في فلسطين حتى الآن حفرت في ذاكرتي مشاهد لن أنساها أبداً.. عندما اجتزنا الحاجز أحسست بأن الباب أغلق خلفي واني في سجن. إن جميع أعضاء الوفد متأكدون أنه سيتم اتهامهم — (اللاسامية) خصوصاً في الولايات المتحدة. لكن هذا لا يخيفنا. يجب أن نرفض هذا النوع من (الإرهاب الثقافي) الذي يدعي أن توجيه الانتقادات للجرائم الإسرائيلية ضد الفلسطينيين هو نوع من معاداة السامية».

-- أما خوان غويتسولو فقد قال: «كيف يفسر حق الدفاع عن النفس بأنه إرهاب، والإرهاب دفاع عن النفس!! إني أستطيع أن أعدد دولاً تمارس الإرهاب، واسرائيل هي احدى هذه الدول. يجب أن نخرج أنفسنا من الكليشيات، وألا نساوي بين القاتل والضحية، بين القوة المحتلة والشعب الذي يزرع تحت الاحتلال ويقاومه. ونحن ممثلو شعوبنا غير المنتخبين. وعلينا أن ننقل بأمانة ما تشاهده أعيننا، وتحسه قلوبنا».

-- وعلى لسان تيري رود لارسن منسق الأمم المتحدة في الشرق الأوسط: ان الوضع في مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين مذهل ومروع لدرجة لا تصدق، إن الروائح الكريهة المنبعثة من الجثث المتحللة تحوم في أنحاء المخيم، يبدو كما لو أنه (أي المخيم) تعرض لزلزال،

شاهدت فلسطينيين يخرجون جثثا من بين حطام المباني المنهارة، منها جثة لصبي في الثانية عشرة من عمره، أنا متأكد بأنه لم تجر عمليات بحث وإنقاذ فعلية.

أما عن الأفلام لتوثيق أحداث المجزرة

فقد أعد أكثر من فيلم سينمائي ووثائقي لتصوير المجزرة وايصالها للعالم مثل فيلم (جيبينغراد) وفيلم (جنين) للمخرج محمود بكري.

## خامس عشر - محرقة غزة

المكان : غزة

التوقيت : (فبراير ٢٠٠٨)

محرقة غزة هي تسمية لعملية إسرائيلية موسعة جرت في قطاع غزة على مدار خمسة أيام في شهر فبراير ٢٠٠٨ بدعوى القضاء على عناصر حركة حماس المطلقة للصواريخ على الأراضي الإسرائيلية. وقد جاءت هذه التسمية بعد أن وصف وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك ما تفعله القوات الإسرائيلية في غزة بهولوكوست أو إبادة عرقية أو محرقة للفلسطينيين في قطاع غزة إثر مقتل جنديين إسرائيليين على يد عناصر من حركة حماس أثناء مقاومتها للقوات الإسرائيلية؛ فتبني التسمية عدد كبير من الكتاب والمفكرين والشخصيات السياسية والدينية العرب والمسلمين، حيث يرونها اسم مناسب للعملية، حيث راح ضحيتها ١١٦ شخص من ضمنهم ٢٦ طفلاً فضلاً عن غيرهم من المدنيين ما بين قتيل وجريح. وفي نفس اليوم الذي أعلنت فيه انتهاء العمليات العسكرية في غزة؛ أعلنت مصادر إسرائيلية أنها كانت مرحلة أولى، وأنه قد تكون هناك عمليات أخرى في القريب.

### تسمية العملية

اشتهرت تسمية محرقة غزة على الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة في أغلب وسائل الإعلام العربية، في حين أطلق عليها جيش الدفاع الإسرائيلي اسم عملية الشتاء الساخن

في ظل رفض تام لتسمية الهجوم بالخرقة، حيث تشير بعض المصادر الإسرائيلية إلى وجود خطأ في ترجمة تصريحات وزير الدفاع الإسرائيلي، وتقول أن تصريح رئيس الوزراء يقول: «ما دام إطلاق صواريخ القسام يتكثف وما دام مدى الصواريخ تُطوّل، يعرض الفلسطينيون أنفسهم إلى كارثة أكبر» حيث يكمن الخلاف حول كلمة "شؤواه" (بالعبرية | שואה) وتعني الكارثة في حين كان اليهود أنفسهم يستخدمون ذات الكلمة للإشارة إلى محرقة اليهود الشهيرة بالهولوكوست.

### أهداف العملية

في الوقت الذي تصرح فيه إسرائيل بأن هذه العملية تستهدف ناشطي حركة حماس وإيقاف إطلاق الصواريخ على الأراضي الإسرائيلية؛ يرى بعض المحللين أن هناك أهدافاً خفية لهذه العمليات بالإضافة لاجتثاث حركة حماس من الوجود، يسعى رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك " أولمرت " للتغطية على **تقرير فينوغراد** والتخلص من تداعياته، كما يهدف كذلك لتحسين موقفه أمام الرأي العام الإسرائيلي بعد خسارته في جنوب لبنان في صيف ٢٠٠٦، وذلك بعد أن بزغ نجم إيهود باراك مرة أخرى على الساحة الإسرائيلية مع اقتراب موعد الانتخابات. ومن وجهة نظر أخرى يرى بعض المحللين العمليات رسالة دموية لتثييط المقاومة الفلسطينية عن القيام بما اعتبروه حقها الشرعي في الدفاع عن أراضيها ، كما يعتبرونه إجهاضاً للتجربة الإسلامية في قطاع غزة.

### ردود الفعل العالمية

تباينت ردود الفعل العالمية على العملية، حيث نددت بها الحكومات والشعوب العربية واعتبرتها مذمومة للفلسطينيين وطالبت بوقفها، وخرجت المظاهرات في العديد من المدن العربية مستنكرة للعمليات ومطالبة بوقف الاعتداء على المدنيين في غزة. وعلى مستوى الحكومات، جاءت ردود الفعل كالتالي :

-- **فلسطين**: وصف رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس ما حدث في غزة بأنه أكثر من محرقة، وإرهاب دولي.

-- الولايات المتحدة: وعلى النقيض تماماً جاء الموقف الأمريكي داعماً لإسرائيل، حيث حملت وزيرة الخارجية الأمريكية آنند كوندوليزا رايس حركة حماس مسؤولية ما يحدث للمدنيين في غزة، واعتبرت ما تفعله إسرائيل دفاعاً عن النفس.

-- فرنسا: اعتبر وزير الخارجية الفرنسي برنارد كوشنير أن الاستفراش لن يأتي بأي نتيجة.

-- ألمانيا: التزمت الحكومة الألمانية الصمت التي وصفته جريدة الراية القطرية بالمخجل، ويعزي المحللون هذا الصمت تجاه أفعال إسرائيل الوحشية ضد الفلسطينيين إلى شعور الألمان بالذنب تجاه اليهود أو ما سموه العقدة الألمانية.

-- مصر: أعادت السلطات المصرية فتح حدودها مع قطاع غزة لاستقبال حوالي مائتي جريح فلسطيني، وتعد هذه هي المرة الأولى التي تسمح فيها السلطات المصرية بفتح الحدود بينها وبين قطاع غزة منذ أن قام مسلحون فلسطينيون بتفجير الجدار الحدودي بينهما.

-- إسرائيل: رفض رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت وقف العمليات الإسرائيلية في قطاع غزة؛ وقال: "إسرائيل ليس لديها النية لوقف القتال ضد المنظمات الإرهابية (في غزة) ولو للحظة واحدة"، مضيفاً قوله: "لو أن هناك أحد يتوهم أن زيادة مدى (الصواريخ) سيدفعنا إلى تقليص عملياتنا العسكرية، فإنه بذلك يرتكب خطأ جسيماً".

وعلى مستوى المنظمات الدولية الحكومية والغير حكومية :

-- مجلس الأمن الدولي: أدان مجلس الأمن الدولي العنف المتصاعد في غزة، ودعا الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون خلال جلسة طارئة لمجلس الأمن إسرائيل والفلسطينيين إلى وقف المواجهات بين الطرفين.

-- جامعة الدول العربية: وصف مجلس جامعة الدول العربية الهجوم الإسرائيلي بأنه إرتكاب جرائم حرب وجرائم إبادة.

-- حركة حماس: حمل خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس رئيس السلطة محمود عباس والحكام العرب مسؤولية ما وصفها بالخرقة الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة.

### حصار المعركة

خلفت العمليات الإسرائيلية ١١٦ قتيلاً فلسطينياً وأعداد كبيرة من الجرحى مات منهم ٩ لتصبح الحصيلة ١٢٥ قتيلاً. وعلى الجانب الإسرائيلي قتل جنديين إسرائيليين ومواطن إسرائيلي إثر إطلاق حماس للصواريخ على الأراضي الإسرائيلية.

تأتي العملية بعد انتهاء تهدة دامت ستة أشهر كان قد تم التوصل إليها بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) من جهة وإسرائيل من جهة أخرى برعاية مصرية في يونيو ٢٠٠٨ وخرق التهدة من قبل الجانب الإسرائيلي وعدم التزامه باستحقاقاته من التهدة من حيث رفع الحصار الذي يفرضه على القطاع وبالتالي عدم قبول حماس لتمديد التهدة.

قبل أنتهاء التهدة في تاريخ ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ قامت إسرائيل، بخرق جديد لاتفاقية التهدة، وذلك بتنفيذ غارة على قطاع غزة نتج عنها قتل ستة أعضاء مسلحين من حماس، ومنذ أنتهاء التهدة يوم الجمعة ١٩ ديسمبر ٢٠٠٨ قامت عناصر تابعة لحركتي حماس والجهاد الإسلامي في غزة بإطلاق أكثر من ١٣٠ صاروخاً وقذيفة هاون على مناطق في جنوب إسرائيل

بدأت العملية يوم السبت ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ في الساعة ١١:٣٠ صباحاً بالتوقيت المحلي، ٩:٣٠ صباحاً بتوقيت غرينيتش، وأسفرت عن استشهاد ١٤١٧ فلسطينياً على الأقل (من بينهم ٩٢٦ مدنياً و٢٨١ طفلاً و١١١ امرأة) وإصابة ٤٣٣٦ آخرين، إلى جانب مقتل ١٣ إسرائيليين (من بينهم ٣ مدنيين) وإصابة ٢٢٨ آخرين حسب اعتراف الجيش الإسرائيلي لكن المقاومة اكدت انها قتلت قرابة ١٠٠ جندي خلال المعارك بغزة . وقد ازداد عدد شهداء غزة جراء العدوان الإسرائيلي على القطاع

إلى ١٣٢٨ شهيداً والجرحى إلى ٥٤٥٠. بعد أن تم انتشال ١١٤ جثة لشهداء منذ إعلان إسرائيل وقف إطلاق النار.

-- أعلنت الحكومة الإسرائيلية أن العملية "قد تستغرق وقتاً ولن تتوقف حتى تحقق أهدافها بإهاء إطلاق الصواريخ من غزة على جنوب إسرائيل"، فيما أعلنت حماس نيتها "متابعة القتال إلى أن توقف إسرائيل هجماتها وتنتهي الحصار المفروض على القطاع".

كان اليوم الأول من الهجوم اليوم الأكثر دموية من حيث عدد الضحايا الفلسطينيين في يوم واحد منذ عام ١٩٤٨؛ إذ تسبب القصف الجوي الإسرائيلي في مقتل أكثر من ٢٠٠ فلسطينياً وجرح أكثر من ٧٠٠ آخرين، مما حدا إلى تسمية أحداث اليوم الدامية **بمجزرة السبت الأسود** في وسائل الإعلام.

#### مقدمة

نتيجة للأحداث التي أدت إلى **عملية الرصاص المصهور**، التي شنتها إسرائيل على غزة في ٢٧ كانون الأول / ديسمبر، والتي بدأت بشكل أو بآخر في كانون الثاني / يناير ٢٠٠٦. وكان في ذلك الوقت عندما فازت **حماس** الانتخابات التي جرت في الأراضي الفلسطينية التي تحتلها إسرائيل، وأصبح حزب الأغلبية لتشكيل الحكومة. فوز حماس لم يكن مفاجئ ولا يرجع إلى أن غالبية الفلسطينيين (بما في ذلك حوالي ٢٠٪ من المسيحيين) قد أصبحت من الحزب الإسلامي.

ولكنة كان نتيجة أسباب عديدة، منها إفلاس سياسة من هو، تاريخياً، أكبر حزب علماني فلسطيني، "**فتح**". في شرح الأسباب، فإن وسائل الاعلام الغربية ابرزت بشكل عام فساد حركة فتح، لكنها أهملت السبب الأكثر أهمية وهو ان نتيجة سياسة المفاوضات الجارية منذ عام ١٩٩٣ لم تسفر عن أي مكاسب مادية، ولكنها، بدلا من أن تمهد الطريق لإنشاء دولة فلسطينية مستقلة، كانت تغطية لتوسيع نطاق عملية الاستيطان التي لم يسبق لها مثيل في الضفة الغربية، بما فيها **القدس الشرقية**.

## الخاتمة

بعد الإطالة السريعة على ما قام به اليهود والنصارى من تدمير وتشيت ومذابح لإخواننا المسلمين عبر العصور أصبح واضحاً للعيان أن المجتمع الإسرائيلي والأمريكى ومن يعاونهم ليسوا مجتمعات "ملائكية" كما يشيع البعض أو كما يحاول الإسرائيليون والغرب أن يظهرهم أمام العالم . بل إن هذه المجتمعات هي مجتمعات وحشية مادية لا تحترم أي قوانين أو أعراف سماوية كانت أم وضعيه .

فالصهاينة وأعوامهم النصارى يرتكبون من الفواحش ما لا يخطر لاحد على بال ؛ فمن دمر الأندلس قديما ؟ ومن أشعل الحروب الصليبية التي استمرت ما يقرب من مائتي عام ؟ ومن احتل العالم العربى والاسلامى فى القرنين التاسع عشر والعشرون ؟ ومن أمى الخلافة الإسلامية ؟ ومن دمر أفغانستان ؟ ومن دمر العراق ؟ ومن يحطم فلسطين ؟ ومن يدنس الأقصى ؟ ومن يخطط لتقسيم السودان ؟ ومن يتأمر ليل نهار على إبادة المسلمين واضعاف عزيمتهم ؟ ومن ؟... ومن ؟... ومن ؟...

فيا قومنا أفيقوا فهم ليسوا أصدقائنا ؛ مهما ابتسموا لنا فهو ابتسام الليوث الماكرين للفريسة وهم يتأمرن بما ليلتهموها. وصدق الحق جل وعلا حين حذرنا منهم فقال تعالى {إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} {المتحنة ٢} كما نبهنا سبحانه وتعالى بالألا نتخذهم أولياء فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} {المائدة ٥١} وقال تعالى {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} {آل عمران ٢٨}

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .....



المراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الجامع لاحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي - دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩١
- ٣ - مختصر الطبري للامام محمد بن جرير الطبري
- ٤ - الميزان في تفسير القرآن
- ٥ - فتح الرحمن في تفسير القرآن
- ٦ - تفسير البضاوى
- ٧ - التفسير الشامل
- ٨ - الكشاف الزمخشري
- ٩ - كتب السنة
- ١٠ - البخاري
- ١١ - الموطأ للامام مالك
- ١٢ - المسند للامام أحمد
- ١٣ - الترمذي
- ١٤ - أبو داود
- ١٥ - ابن ماجة
- ١٦ - البداية والنهاية لابن كثير

- ١٧ - سير أعلام الحديث
- ١٨ - كتاب السنن
- ١٩ - شذرات الذهب
- ٢٠ - علوم الحديث للإمام ابن كثير
- ٢١ - سير أعلام النبلاء
- ٢٢ - فتح الباري-- للبخاري
- ٢٣ - تهذيب التهذيب-- للحافظ ابن حجر العسقلاني
- ٢٤ - رياض الصالحين للإمام شرف الدين النووي الدمشقي - دار المنار للطباعة والنشر
- ٢٥ - لسان العرب-- ابن منظور
- ٢٦ - معجم الادباء - ياقوت الحموي
- ٢٧ - السنن- البيهقي
- ٢٨ - تحفة المودود-- ابن القيم
- ٢٩ - الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري
- ٣٠ - المستدرک-- للحاكم
- ٣١ - الزواجر--- للهيثمى
- ٣٢ - الفتح ---الحافظ بن حجر
- ٣٣ - فتح الباري-- للخطابي
- ٣٤ - المجموع-- للنووى
- ٣٥ - الإرواء للألبانى

- ٣٦ - ديوان ألفية محمد - د. صلاح القوسي
- ٣٧ - ديوان هاشم الرفاعي
- ٣٨ - إظهار الحق - رحمت الله الهندي
- ٣٩ - هداية الخيارى - ابن قيم الجوزية
- ٤٠ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح -- ابن تيمية
- ٤١ - الصفة على المذاهب الاربعة -- عبد الرحمن الحريرى
- ٤٢ - محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن --- إبراهيم خليل أحمد
- ٤٣ - محمد فى الكتاب المقدس --- عبد الأحد داود
- ٤٤ - قصة الحضارة . ويل ديورانت - ترجمة محمد بدران
- ٤٥ - بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة د / أحمد السقا
- ٤٦ - تاريخ الأقباط -- زكى شنودة
- ٤٧ - أحمد الرشيدى ، المجتمع الدولى والقضية الفلسطينية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- ٤٨ - أحمد خليفة ، مفاوضات السلام : الموقف الإسرائيلى عشية مؤتمر مدريد ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، عدد ٨ ، خريف ١٩٩١ .
- ٤٩ - أحمد سعيد نوفل ، القدس بين التهويد والأمم المتحدة ومشاريع السلام ، المستقبل العربى ، عدد ٧٤ ، إبريل ١٩٨٥ .
- ٥٠ - أحمد فارس عبد المنعم ، الإتحاد السوفيتى والصراع العربى الإسرائيلى منذ حرب ١٩٧٣ ، شؤون فلسطينية ، عدد ٢٧ ، ١٩٨٣ .
- ٥١ - إبراهيم أبو حليوة، القدس فى السياسة الأمريكية من ١٩٤٧ - ٢٠٠٠ ، مركز الدراسات الاستراتيجية للبحوث والتوثيق ، بيروت، ط ١ ، ٢٠٠١ .
- ٥٢ - الأمم المتحدة ، قضية فلسطين والأمم المتحدة ، منشور إعلامى ، نيويورك ٢٠٠١ .
- ٥٣ - بيار فايس ، حركة عدم الانحياز وقضية فلسطين ، شؤون عربية ، ع ٣٣ / ٣٤ نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٣ .

- ٥٤ - تقرير الندوة الدولية بشأن القدس بعنوان " القدس مدينة السلام " ، القاهرة ، ١٢ - ١٩٩٥/٣/١٤ .
- ٥٥- تيسير جبارة ، تاريخ فلسطين ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ١ ، ١٩٩٨ .
- ٥٦- جامعة الدول العربية ، جامعة الدول العربية وقضية القدس في المجال الدولي ، شؤون عربية ، الأمانة العامة ، عدد ٤٠ ، يونيو ١٩٩٣ .
- ٥٧- جمال عبد الجواد ، السياسة الأوروبية والصراع العربي الإسرائيلي ، شؤون عربية ، عدد ٣٤ ، ٣٣ ، نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٣ .
- ٥٨- حازم نسيبة ، القدس في ضوء الأوضاع الراهنة واستشراف المستقبل ، رابطة العالم الإسلامي، جدة، سلسلة دعوة الحق، العدد ١٥٥، ١٤١٥هـ.
- ٥٩- حسن عبد القادر صالح ، فلسطين المحتلة ١٩٦٧ الجغرافيا والديمقراطية ، شؤون عربية ٦٠ ، ديسمبر ١٩٨٩ .
- ٦٠- خالد بن سلطان بن عبد العزيز ، موسوعة مقاتل من الصحراء ، الرياض .
- ٦١- خليل السواحري ، الخطة الصهيونية لتهويد القدس العربية ، شؤون عربية عدد ١٩ ، جامعة الدول العربية ، أكتوبر ١٩٨٢ .
- ٦٢- خليل إسماعيل الحديثي، القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة "مرحلة أخري من الصراع بين الشرعية والقوة" ، شؤون عربية ، عدد ٥٦ ، ديسمبر ١٩٨٨ .
- ٦٣- خليل حسين ، المفاوضات العربية الإسرائيلية ، بيان للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ .
- ٦٤- ديفيد مكدوول ، فلسطين وإسرائيل : الانتفاضة وما بعدها ، عرض : عماد فزي شعيب ، شؤون عربية ، عدد ٦٠ .
- ٦٥- رفيق الخطيب التميمي ، إجراءات تهويد القدس ، سلسلة دعوة الحق رابطة العالم الاسلامي ، عدد : ١٥٥ ، مكة المكرمة ، ١٤١٥هـ .
- ٦٦- روجي الخطيب، المؤتمرات الإسرائيلية علي القدس ١٩٦٥ - ١٩٧٥ ، أمانة القدس .
- ٦٧- روجي الخطيب ، تهويد القدس ، لجنة إنقاذ القدس ، عمان ١٩٧٠ .
- ٦٨- زعيف سكيف ، مجلة الشؤون الخارجية الإسرائيلية ، العدد ٧٠ ، ربيع ١٩٧١ ، ص ١٩ ، عن مجلة الدراسات الفلسطينية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، عدد ٧ ، صيف ١٩٩١ .
- ٦٩- زياد أبو زياد ، نقطة الانطلاق الإسرائيلية بين الوهم والواقع ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، عدد ١٢ ، خريف ١٩٩٢ .
- ٧٠- جيفري أرونسون ، مستقبل المستعمرات الإسرائيلية في الضفة والقطاع ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- ٧١- سعيد الحسن ، حول اتفاق غزة - أريحا أولاً "وثائق ودراسات" ، تقديم وإشراف خالد الحسن (أبو السعيد)، ط الثاني ، يناير ١٩٩٥ .

- ٧٢- سليم نوران الجنيدى، المستقبل السياسي للأراضي المحتلة في المنظور الإسرائيلي، شؤون عربية، عدد ٦٠، فبراير ١٩٨٦، ص ٥٢، ٥٣.
- ٧٣- سليمان فتوح، اليهود والقدس - دراسة تاريخية للادعاءات الصهيونية وممارساتها في المدينة.
- ٧٤- سمير جريس، "القدس" المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد ٦١، ط ١، ١٩٨١.
- ٧٥- صالح مسعود أبو يصير، جهاد شعب فلسطين، ط ٢، دار الفتح، القاهرة ١٩٦٩.
- ٧٦- صلاح العقاد، تطور النزاع العربي الإسرائيلي ١٩٥٦-١٩٦٧، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ص ٢٣٣.
- ٧٧- صلاح عبد المقصود، القدس ولعبة المفاوضات، مجلة القدس، مركز الإعلام العربي، العدد: ٥، ١٩٩٨، القاهرة.
- ٧٨- طاهر شاش، مفاوضات التسوية النهائية والدولة الفلسطينية الآمال والتحديات، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩.
- ٧٩- عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.
- ٨٠- عبد العزيز المهنا، فلسطين وإسرائيل، مطابع دار الهلال، الرياض، ط ١، ١٩٩٤.
- ٨١- عبد الله الأشعل، القدس في المنظورين العربي والإسرائيلي، مجلة القدس، العدد: ٣٠، مركز الإعلام العربي، القاهرة، يونيو، ٢٠٠١.
- ٨٢- عبير ياسين، القدس الشرقية و ٣٦ عاما من الضم، مجلة القدس، العدد: ٥٥، مركز الإعلام العربي، القاهرة، يوليو ٢٠٠٣.
- ٨٣- علي الدين هلال، السلام الإسرائيلي - دراسة لمشروعات التسوية الإسرائيلية، شؤون عربية عدد ٣٣ نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٣.
- ٨٤- عمران أبو صبيح، دليل المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط ١ عمان، ١٩٩٣.
- ٨٥- فايز جابر وآخرين، القدس في ضمير العالم الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، العدد ١٥٥، ١٤١٥ هـ.
- ٨٦- فوزي طایل، الجولة الإسرائيلية العربية السادسة، مجلة استراتيجيا، بيروت، العدد ١٠٩، نوفمبر ١٩٩١.
- ٨٧- فوزي طایل، القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية، سلسلة قراءة في فكر علماء الاستراتيجية، إعداد: جمال عبد الهادي وعبد الراضي أمين، دار الوفاء، المنصورة، ط ١، ٢٠٠١.
- ٨٨- فوزي محمد طایل، النظام السياسي في إسرائيل، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٢.

- ٨٩- كامل محمود خلة ، تشويه تعليم وتاريخ وجغرافية الوطن العربي في المرحلة الابتدائية في فلسطين ، شؤون عربية ١٩ ، أكتوبر ١٩٨٢ .
- ٩٠- اللجنة الملكية لشؤون القدس ، عمان - الأردن ، ١٩٩٤ .
- ٩١- محسن صالح ، القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها حتى سنة ٢٠٠١ ، مركز الإعلام العربي ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٢ .
- ٩٢- محسن محمد صالح ، فلسطين ، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية ، سلسلة دراسات فلسطينية ، العدد ١ : مركز الإعلام العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٣ ، القاهرة .
- ٩٣- محمد السيد سليم ، منظمة المؤتمر الإسلامي والقضية الفلسطينية ، شؤون عربية ، عدد ٥٦ ، أكتوبر ١٩٨٥ .
- ٩٤- محمد الفرا ، قضية القدس علي الساحتين العربية والدولية ، شؤون عربية ، عدد ٤٠ ، ديسمبر ١٩٨٤ .
- ٩٥- محمد جاد الله ، عام من محادثات التسوية - نظرية نقدية ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، عدد ١٢ ، خريف ١٩٩٢ .
- ٩٦- محمد خالد الأزهرى ، القوي الأوروبية الكبرى وقضية فلسطين ، شؤون عربية ، عدد ٥٠ ، يونيو ١٩٨٧ .
- ٩٧- محمد خليفة حسن، القدس والاستيطان " مؤامرة التهويد والمواجهة " ، المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ، القاهرة ١٩٩٩ .
- ٩٨- محمد علي حلة ، القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل ، رابطة العالم الإسلامي، جدة، سلسلة دعوة الحق، عدد ١٩٢ ، لعام ١٤٢١ .
- ٩٩- محمد علي حلة ، الحركة الصهيونية ، ج ٢ ، القاهرة .
- ١٠٠- محمد نصر الدين مهنا، مشكلة فلسطين والصراع الدولي ١٩٤٥-١٩٦٧ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، سلسلة الدراسات الخاصة رقم : ١٤ ، القاهرة ١٩٧٨ .
- ١٠١- محمود شيت خطاب ، أهداف إسرائيل التوسعية ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط ٣ .
- ١٠٢- معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى ، استراتيجية أمريكا لعملية السلام العربية لإسرائيلية، مجلة الدراسات الفلسطينية ، عدد ١٢ ، خريف ١٩٩٢ .
- ١٠٣- ممدوح الروسان ، إسرائيل مصلحة قومية أمريكية ، شؤون عربية ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، عدد ٣٣/٣٤ نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٣ .
- ١٠٤- منظمة المؤتمر الإسلامي ، القرارات الخاصة بالقدس الشريف وفلسطين ، الأمانة العامة ، الجماهيرية العظمى .
- ١٠٥- ميرون بنفينسيتي ، العناق الحاسم " الانتفاضة - حرب الخليج - عملية السلام " ، ترجمة أوري ديفيز ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، عدد ١٢ ، خريف ١٩٩٢ .

- ١٠٦- ناصر الفضالة ، أرض الإسراء دروس في العزة والفتداء ، مركز الإعلام العربي ، القاهرة ، سلسلة كتاب القدس ، العدد رقم : ٢٨ ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م ، ص ٥٠ .
- ١٠٧- نظام محمود بركات ، الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين بين النظرية والتطبيق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- ١٠٨- هنري كتن ، قضية فلسطين ، ترجمة : رشدي الأشهب ، السلطة الوطنية الفلسطينية ، مطبوعات وزارة الثقافة ، ط ١ ، ١٩٩٩ .
- ١٠٩- وحيد عبد المجيد ، إدارة ريجان الثانية " " مرحلة ثالثة للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط " " ، المستقبل العربي ، عدد ٧٣ .

١١٠- سفر التكوين

١١١- سفر الخروج

١١٢- سفر التثنية

١١٣- سفر اللاويين

١١٤- سفر العدد

١١٥- سفر يشوع

١١٦- سفر القضاة

١١٧- سفر صموئيل

١١٨- سفر الملوك

١١٩- سفر أشعيا

١٢٠- سفر عزرا

١٢١- سفر دانيال

١٢٢- سفر عاموس

١٢٣- سفر نشيد الانشاد

١٢٤- سفر الجامعة

١٢٥- سفر ايوب

١٢٦- المزامير

١٢٧- انجيل متي

١٢٨- انجيل يوحنا

١٢٩- انجيل لوقا

١٣٠- أعمال الرسل

١٣١- انجيل برنابا

١٣٢- رسائل بولس الى أهل غلاطيا

١٣٣- رسائل بولس الى أهل رومية



## الفهرس

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٢	الإهداء	١
٣	المقدمة	٢
٥	بين يدي الكتاب	٤
٩	الباب الأول . / الصهاينة وكيف جاؤا إلينا	٥
١٠	أقسام المجتمع الصهيوني	٦
١٠	بنوا إسرائيل ولماذا أتوا إلى مصر ؟	٧
١٢	رحلات أبناء يعقوب عليه السلام إلى مصر	٨
١٤	استقرار أبناء يعقوب عليه السلام في مصر	٩
١٥	الباب الثاني / من بعثة موسى عليه السلام إلى الخروج من مصر	١٠
١٩	موسى عليه السلام والرسالة	١١
٣٢	خروج بني إسرائيل من مصر	١٢
٣٤	الباب الثالث - سيدنا موسى عليه السلام والالواح	١٣
٣٥	بنوا إسرائيل وعبادتهم العجل	١٤
٤٧	الباب الرابع - بنوا إسرائيل من بعد موسى إلى نبي الله عيسى عليهما السلام	١٥

٤٨	داود عليه السلام والتابوت	١٦
٥٠	التابوت ونبى الله سليمان عليه السلام	١٧
٥٣	بنوا إسرائيل بعد سليمان عليه السلام	١٨
٥٥	يوشيا والتابوت	١٩
٥٧	عزرا الكاهن وسفر الشريعة	٢٠
٦١	الباب الخامس - بنوا إسرائيل قبل نبى الله عيسى عليه السلام	٢١
٦٢	بعثة المسيح عليه السلام وبنوا إسرائيل وتغيير تعاليم المسيح عليه السلام	٢٢
٦٥	عقاب الله جل وعلا لبني إسرائيل	٢٣
٦٨	تأثير بنى إسرائيل على فكر المسيحيين	٢٤
٧٣	الباب السادس - المعصوم صلى الله عليه وسلم وبقايا بنى إسرائيل	٢٥
٧٤	استقبال بنوا إسرائيل للمعصوم صلى الله عليه وسلم	٢٦
٧٥	نموذج من مكيدة اليهود	٢٧
٨٩	دخول الإسلام أرض الشام	٢٨
٩٠	الحروب الصليبية وبنوا إسرائيل	٢٩
٩٢	العهد العثماني وبنوا إسرائيل	٣٠

٩٣	الباب السابع - الصهيونية // أول مؤتمر للصهاينة	٣١
٩٥	أطوار الصهيونية	٣٢
٩٦	بذور الصهيونية // فلسطين أم الأرجنتين	٣٣
١٠٢	من لا يملك أعطى لمن لا يستحق // الحرب العالمية الأولى	٣٤
١٠٨	معاهدة سايكس-بيكو // وعد بلفور والمعاهدة	٣٥
١١٦	دعم الدول العظمى لإسرائيل	٣٦
١٢٤	الدولة اليهودية والاحتضان البريطاني	٣٧
١٣١	اليهود واغتصاب أرض فلسطين	٣٨
١٣٧	الباب الثامن - اول حكومة صهيونية // مساندة بريطانيا للصهاينة	٣٩
١٤٦	برنامج للإستيلاء على آى أرض // هيئة الأمم المتحدة ودعمها للصهاينة	٤٠
١٥٦	الصهاينة والعدوان الثلاثى // بغض الصهاينة لمصر وللرئيس عبد الناصر	٤١
١٦٧	الصهاينة ونكسة يونيو	٤٢
١٧١	الباب التاسع - حرب اكتوبر وكسر شوكة الصهاينة	٤٣
١٧٣	الصهاينة وحرب اكتوبر // كامب ديفيد فى عيون الصهاينة	٤٥
١٨٤	الصهاينة وانهميار الاتحاد السوفيتى	٤٦

١٨٦	الصهاينة ورؤساء امريكا	٤٧
١٩٠	الباب التاسع - العلاقة بين الماسونية والصهيونية	٤٨
١٩٤	نظام التعليم في إسرائيل	٤٩
١٩٩	الباب العاشر - نظام الحكم في إسرائيل	٥٠
٢٠٥	الباب الحادى العشر - التلمود والتلموديون	٥١
٢١٦	المستوطنات الإسرائيلية // مفاعل ديمونة الإسرائيلي	٥٢
٢٢٣	الباب الثانى عشر - الصهيينة والإرهاب	٥٣
٢٣١	الباب الثالث عشر - الأندلس وبنوا إسرائيل	٥٤
٢٣٥	اتحاد فرديناند وإيزابلا	٥٥
٢٣٨	القائد موسى بن غسان	٥٦
٢٣٩	خداع النصارى لمسلمى الأندلس	٥٧
٢٣٩	إقتداء النصارى بإبليس	٥٨
٢٤٣	تعذيب النصارى لمسلمى الأندلس بلا رحمة	٥٩
٢٤٥	محاكم التفتيش	٦٠
٢٤٧	شارل الخامس والتنصير الإجبارى	٦١
٢٦٠	الباب الرابع عشر - الصهيينة ومذابح فلسطين	٦٢
٢٦٢	كلمة حق من أجل فلسطين	٦٣

٢٦٥	المذابح	٦٤
٢٦٧	مذبحة دير ياسين	٦٥
٢٦٩	مذابح الأقصى	٦٦
٢٧٤	مذبحة قبية	٦٧
٢٨٠	معركة جنين	٦٨
٢٨٣	محرقة غزة	٦٩
٢٨٨	الخاتمة	٧٠
٢٨٩	المراجع	٧١
٢٩٧	الفهرس	٧٢